يوليو ٢٠١٤/ العدد ١٠

النور

للدراسات الحضارية والفكرية

الأخلاق والورائة

- أواصر العناصر الكونية من منظور الأستاذ بديع الزمان النورسي
- البناء النصي للقرآن الكريم بين الوفاء للحقيقة واتّساع المعنى
- المجاهدة والتوريث عند بديع الزمان النورسي
- قاعدة "الفناء في الإخوان" في فكر بديع الزمان
- حوار مع الأستاذ أديب إبراهيم الدبّاغ

al-Nur

Academic Studies on Thought and Civilization

An Academic Biannual Journal (January-July)
Published by the Istanbul Foundation for Science and Culture
Year 5, Number 10 (July 2014)
ISSN 1309 4424 (En-Nur)

Annual Subscriptions (2 issues)

Turkey:	TL 20
Individuals outside Turkey:	US$ 15
Institutions outside Turkey:	US$ 30

Addresses for Subscriptions and all Communications

Istanbul Ilim ve Kultur Vakfi,
Kalendarhane Mahallesi, Delikanli Sk. No: 6
Vefa 34134 Fatih, ISTANBUL – TURKEY
Tel : +90 212 527 81 81 (pbx)
Fax: +90 212 527 80 80
info@nurmajalla.com

Abdulkerim Baybara: kerimbaybara@gmail.com
Sozler Publications,
30 Gafar al-Sadiq Street, al-Hayy al-Sabi',
Nasr City, Cairo, Egypt.
Tel. / Fax: +20 2 22 602 938

www.nurmajalla.com

للدراسات الحضارية والفكرية

تصدر عن مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم

THE ISTANBUL FOUNDATION FOR SCIENCE AND CULTURE

صاحب الامتياز والمدير المسؤول: كنعان دميرطاش kenan@nurmajalla.com

رئيس التحرير: أ.د. عمار جيدل editor@nurmajalla.com

المشرف العام: إحسان قاسم الصالحي ihsankasim@gmail.com

هيئة التحرير

أ.د. ثروت أرماغان؛ أ.د. محمد خليل جيجَك؛

د. سعاد الناصر؛ د. محمد جنيد شِمشَك

اللجنة الاستشارية

أ.د. حسن الأمراني؛ أ.د. سليمان عشراتي؛ أ.د. عبد العزيز برغوث؛ أ.د. عبد العزيز خطيب؛
أ.د. عبد الكريم عكيوي؛ أ.د. عبد المجيد النجار؛ أ.د. عماد الدين خليل؛ أ.د. محسن عبد الحميد؛
أ. د. محمد عبد النبي؛ د. بوكاري كيندو؛ د. سمير بو دينار؛ د. محمد كنان ميغا.

الإخراج الفني

سعيد طاقطاق، حسن الحفيظي

رقم الإيداع الدولي

ISSN: 1309 – 4424 (En-Nur)

الطباعة

يوليو ٢٠١٤

İmak Ofset Basım Yayın Ticaret ve Sanayi Ltd. Şti.
Atatürk Caddesi Göl Sok. No: 1. Yenibosna/Bahçelievler–İstanbul
Tel: +90 (212) 656 49 97

المركز الرئيسي

Kalendarhane Mahallesi, Delikanli Sk. No: 6
Vefa 34134 Fatih, ISTANBUL – TURKEY
Tel: +90 212 527 81 81 (pbx)
Fax: +90 212 527 80 80
info@nurmajalla.com
www.nurmajalla.com
www.iikv.org

بسم الله الرحمن الرحيم

النور للدراسات الحضارية والفكرية

١– التعريف بالمجلة:

مجلة علمية أكاديمية محكّمة نصف سنوية (يناير– يوليو)، تصدر عن مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم.

تُعَد مجلة ''النور للدراسات'' مجلة الباحث والمفكر المجدد فضلا عن من يتمرّس بالبحث من شباب هذه الأمة، وهي منبر علمي أكاديمي مفتوح أمام كلّ المفكرين والباحثين الجادين.

تعمل المجلة على توجيه النظر إلى الجمع بين أصالة الأمة ممثلة في أستاذها الأول ''مصادر الإسلام'' (القرآن الكريم والسنّة المطهّرة) وثقافة العصر فيما لا تتعارض وحقيقة ثقافة الأمة وأصالتها، كما تعمل على الإفادة منها في التأسيس لبعث معرفي وحضاري، إنساني البعد إسلامي الروح، يسعى إلى فحص المتداول في الدرس الاجتماعي والإنساني بقصد تمحيصه والتأسيس للبديل المنبثق عن التصور التوحيدي للعالم والحياة والإنسان، وتَعَهُّد هذا الكسب (العلم المنجز) بالمراجعة والاستدراك المستمر، وتدريب المثقف الرسالي على التوقّف المنهجي والمعرفي عند ''الكونية'' التي يراد من خلالها تمرير مشاريع التحكّم في المعرفة ومن ثمَّ الهيمنة على مؤسسات صناعة الوعي في برامجها ومناهجها، والحيلولة الموضوعية دون ضياع سائر موارد القرار في مختلف مجالات الحياة.

٢– تتناول المجلة وفق الخط العام المشار إليه أعلاه:

قضايا المنهجية الإسلامية الجامعة بين مخاطبة العقل والقلب في ذات لحظة التذكير، حتى يغدو الفصل بينهما في عداد المحال المنهجي والمعرفي على السواء.

قضايا المعرفة من حيث خلفيتها النظرية، ومصادرها ونظمها وفلسفتها وإنتاجها.

العودة بالأمة إلى أستاذها الأول ''القرآن الكريم''، مبعث نهضتها، ومؤسس فعاليتها في شعاب الحياة المعرفية.

الحث على البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية في إطار النظرة الإسلامية وفي كنف تكاملها مع سائر علوم الشريعة، بقصد بعث الفعالية الحضارية المنشودة.

دراسة وفحص ثم تمحيص مناهج التعامل مع الخبرة المعرفية الإسلامية (التراث) والإنسانية في مختلف مجالات التدين (العقيدة، والشريعة، والأخلاق) بالإسلام.

الإفادة من مشاريع النهضة والإصلاح في العالم الإسلامي، ولاسيما مشروع بديع الزمان النورسي المبيّن في رسائله الموسومة بـ ''رسائل النور''، سعيا منا إلى الاستفادة من هذه التجربة وغيرها من خبرتنا في مجال النهضة والتغيير، بغرض المساهمة في فهم الحاضر والتخطيط الجيّد للمستقبل.

ما تنشره المجلة يعبّر عن رأي صاحبه، وليس رأي المجلة ضرورة.

المحتويات

- كلمة العدد العاشر ..... أ.د. عمار جيدل ٣

الدراسات والبحوث

- البناء النصيّ للقرآن الكريم بين الوفاء للحقيقة واتّساع المعنى
دراسة في إشكالية المجاز عند بديع الزمان سعيد النورسيّ... أ.د. عزيز محمد عدمان ٧
- النورسي رجل الحوار والإقناع أو فصل المقال، فيما بين الحوار
والحجاج والاختلاف من اتصال ..... أ.د. أبو بكر العزاوي ٣٧
- توحيد القلوب في رسائل النور (رؤية أصولية فقهية) ..د. أميد نجم الدين جميل المفتي ٥٥

ملف العدد :

- المجاهدة والتوريث عند بديع الزمان النورسي
من خلال رسائل النور ..... د. سرحان بن خميس ٨٧
- أواصر العناصر الكونية
من منظور الأستاذ بديع الزمان النورسي ..... د. عثمان محمد غريب ١٠٣
- قاعدة ''الفناء في الإخوان'' في فكر بديع الزمان
(دراسة تأصيلية مقاصدية للوحدة الإسلامية) ..... د. فرهاد إبراهيم أكبر الشواني ١٣١

الحوار والإصدارات والمؤتمرات

- حوار مع الأستاذ أديب إبراهيم الدبّاغ ١٦٥
- الإصدارات: قراءة في كتاب: قضايا وتجليات في رسائل النور ١٦٩
- المؤتمرات والحلقات الدراسية:
١- سلسلة ندوات رسائل النور بالهند ١٧٢
٢- ندوة إحياء الحضارة في ضوء رسائل النور في إندونيسيا ١٧٦
٣- الندوة العلمية الدولية بمدينة فاس بالمغرب ١٧٨
٤- الندوة العالمية السادسة للأكاديمين الشباب في رسائل النور باسطنبول– بورصة ١٨٤
- معلومات عن النشر في المجلة ١٩٢
- الإشتراك السنوي / Contents ١٩٣

• ترتيب الدراسات والبحوث يخضع لاعتبارات فنية صرف.

كلمة العدد العاشر

أ.د. عمار جيدل

ظهر العدد العاشر من مجلتكم ''النور للدراسات الحضارية والفكرية'' بتوفيق من الله، فله الحمد والشكر على نعمه وامتنانه، وقد استقطب العدد ثلة من الباحثين المهتمين بدراسة رسائل النور، تنوّعت بحوثهم فاستغرقت جملة من مجالات المعرفة المنبجسة من ينبوع فكر الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي (رحمه الله).

اشتمل العدد على بحوث نوعية في مجالات المعرفة الإنسانية، فاستهلت الدراسات ببحث الأستاذ عزيز عدمان المدرس في السعودية، الذي تناول فيه مسألة كانت ومازالت مثار جدل وأخذ ورد في المجالات العلمية المتخصصة في الدراسات اللغوية، فكان بحث مسألة ''الوفاء للحقيقة مع الإقرار باتساع المعنى في بناء النص القرآني'' من القضايا المعرفية الدقيقة في مجال البحوث المتعلّقة بالمجاز، والبحث حَرِي بالقراءة المتمعّنة لما فيه من لفت نظر إلى الوسطية والاعتدال التي افتقدت في عرض مشكلة المجاز في البيئات الشرقية، وأدرجنا بعد هذا البحث دراسة في موضوع الحوار والحجاج والإقناع للأستاذ أبو بكر العزاوي من المغرب، ويعد بحثا مفصليا في العصر الراهن، وخاصة في ظل الظروف التي تعرفها الإنسانية، فكان البحث محاولة للتأسيس لفكر تواصلي من خلال رسائل النور، ثم جاء الدور على بحث ''توحيد القلوب في رسائل النور''، ولكن بنَفَس علمي عميق ومسلك منهجي دقيق، درس فيه الأستاذ أميد نجم الدين من العراق، موضوعا أخلاقيا صرفا من أصولية فقهية، وهو مسلك منهجي قمين بالعناية في ظل التجزيئية التي تعرض بها معارف الوحي وتوجيهات الشريعة الشريفة.

آثرنا أن يكون موضوع العدد مؤسسا للربط بين الأخلاق وأبعادها الوظيفية، المتجلية في العناية المركزية بالمخرجات التي تتوخى رسالة الإسلام التأسيس لها فالأخلاق ليست مقولة معرفية صرف، بل هي مقالة تتشابك فيها المعارف العقلية بالقلبية والنفسية، بحيث يصعب الفصل بينها بنظر وظيفي، فكان عنوان الملف دالا على المقصود، فاخترنا ''الأخلاق والوراثة'' عنوانا له، فاستهل الملف ببحث الأستاذ سرحان بن خميس من الجزائر الموسوم بـ ''المجاهدة والتوريث عند بديع الزمان'' للدلالة على أنّ الوراثة ليست سلعة مرمية على قارعة الطريق يخطف من شاء ما شاء، كما أنها ليست سلعة تسوّق هنا أوهناك، بل هي صناعة وكسب ومكابدة، فطريق الوراثة المجاهدة، والمجاهدة مقام أخلاقي بامتياز يؤكّد أهمية الأخلاق في تحقيق التغلّب على الخلود إلى الأرض والارتباط بالسماء المؤسس لعمارة

الأرض بالخير، وعمارتها مبناه الأساس استعادة ''أواصر العناصر الكونية'' وخاصة في ظل ثقافة تؤسس لغربة المسلم بل الإنسان عن الكون، فعوض أن يكون الإنسان منسجما مع الكون وفق أصل برنامج الخلقة ''الفطرة''، جاءت خطط البشر في التعليم والتربية والسياسة والثقافة والاهتمامات الحضارية مؤسسة لغربة الإنسان عن المحيط الحيوي الذي يبقى ببقاء الإنسان المحافظ على جملة الأواصر المادية والمعنوية، فكان بحث الأستاذ عثمان محمد غريب من العراق غنيا بالإشارات والعبارات التي تحتاج الإنسانية كلها إجالة النظر فيها، لأجل استعادة الإنسان إنسانيته فيتحوّل من مستعبد موحش إلى عبد مؤنس بالأخلاق التي طلب الشارع الحكيم التحلي بها في جملة أواصره بالعوالم المادية والمعنوية. اشتمل الملف في مقالته الأخيرة على بحث متعدد المداخل، فالبحث وإن كان أخلاقيا باطنيا روحيا في العمق، فهو بحث أصولي، حيث تناول الأستاذ فرهاد إبراهيم أكبر الشواني قاعدة ''الفناء في الإخوان'' في فكر بديع الزمان، من زاوية تأصيلية مقاصدية، ترمي إلى استرداد الأمة الإسلامية وحدتها. وهو بدوره كغيره من البحوث السالفة المدرجة في الدراسات أو التي وضعت في الملف تُعْنى بالمخرجات الوظيفية للدين في شعاب الحياة، فيكون القصد الكلي إحداث نهضة كلية في الإنسان الفرد والجماعة والأمة.

استضفنا في العدد العاشر الأستاذ أديب إبراهيم الدباغ الأديب الذائع الصيت في حوار ماتع، حاولنا من خلاله التعرف على تجربة التعرف على رسائل النور وأهم ما استوقفه فيها من وجهة معرفية ومنهجية وأخلاقية، فضلا عن المناحي المتعلقة بالاستشراف.

عرفنا في العدد بالجهود العلمية التواصلية التي تقوم بها المؤسسة شرقا وغربا، فعرضنا تجارب التواصل مع رسائل النور في الهند وإندونيسيا والمغرب والسودان وتركيا من خلال الملتقى الدوري للباحثين الشباب، زيادة إلى تعريفنا بآخر ما جادت به القرائح في مجال التأليف المعرف برسائل النور.

وأخيرا ونظرا للعناية الفائقة التي لقتها المجلة في عامها الخامس على التوالي، ورغبة منا في تلبية طلبات كثير من الباحثين الراغبين في النشر في مجلتكم ''النور للدراسات الحضارية والفكرية'' فقد فكّرنا جديا في استقطاب أكبر عدد من البحوث من خلال جعل المجلة تصدر كلّ أربعة أشهر، أملنا كبير في أن تكون المجلة عنوان الجدية والجدة، ولكنها لن تنال المقصود بغير توفيق الله، فنسأله تعالى توفيق الباحثين ليكونوا أصحاب اليد الطولى في تطوير المجلة، فتكون منارة في البحث الأكاديمي الرسالي ببعده الإنساني في إطار الرؤية التوحيدية للإنسان والكون والعلم.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

* * *

الدراسات والبحوث

البناء النصيّ للقرآن الكريم بين الوفاء للحقيقة واتّساع المعنى
دراسة في إشكالية المجاز عند بديع الزمان سعيد النورسيّ

–ABSTRACT–

The Qur'an's Textual Structure Between Fidelity and Literal Meaning and the Expansion of Meaning. A Study of Badi'uzzaman Said al-Nursi's Approach to the Problems of Figurative Language

Prof. Dr. 'Aziz Muhammad 'Udman

This research deals with the study of the problematism of reality and metaphor in the "Nur letters", focusing on the stance of the textual infrastructure of the Holy Quran between the fulfilment of reality and the breadth of meaning. After an accurate scientific journey, the researcher was obliged to refer to the various opinions ranging from a lavish party in using metaphor to a lavish party in neglecting it, and a third party between both of them. Scholar Said Nursi is the one that lies between them.

The "Nur letters" have solved the matters of reality and metaphor according to rhetorical premises of faith. It doesn't only focus on the sayings of the ancient; but it also enters the depths of problematism of the metaphor. This is based on a comprehensive cosmic vision which reflects Nursi's cognitive consciousness regarding the critical, rhetorical, political & intellectual dimensions of metaphor. The researcher concluded with some results, briefly as following: That knowledge of the metaphor is a tool to keep the religion from superstition and illusion as long as there is knowledge of the rules of Arabic Rhetoric and the purposes of the Islamic law. The fulfillment of the reality is fundamental, as well as the noble sense in understanding the metaphor which avoids slipping in the maze of religious and sectarian interpretation.

– ملخص البحث –

أ.د. عزيز محمد عدمان[1]

يتناول البحث دراسة إشكالية الحقيقة والمجاز في رسائل النور، مركّزا على الفصل في البناء النصي للقرآن الكريم بين الوفاء للحقيقة واتّساع المعنى، وبعد رحلة علمية دقيقة، اضطر فيها الباحث إلى الإشارة إلى مختلف الآراء المتراوحة بين مسرف في إعمال المجاز ومسرف في إهماله، وثالث مقتصد بينهما أعمل المجاز بضوابط، من هؤلاء الأستاذ النورسي.

عالجت رسائل النور موضوع الحقيقة، والمجاز من منطلقات بلاغية إيمانية، فلم تكتف بمقالات القدماء في المسألة؛ بل ولجت في عمق إشكالية المجاز؛ مؤسسة على رؤية كونية شاملة تعكس وعي النورسي المعرفيّ بأبعاد المجاز النقدية، والبلاغية، والسياسية، والفكرية. وخلص الباحث إلى جملة من النتائج موجزها، إنّ العلم بالمجاز أداة لحفظ الدّين من الخرافة، والوهم، بشرط مراعاة قواعد البلاغة العربية، ومقاصد الشريعة الإسلامية، والوفاء للحقيقة نواة، والإحساس النبيل في فهم المجاز، عاصم من الانزلاق في متاهات التأويل المذهبيّ والطائفيّ.

مقدمة:

من شرف العلم وقداسته، وحرمته الإقرار بأن الحقائق العظيمة لها على النّفوس سلطان، ومن المركوز في العقل والثابت في النفس أنَّ جمالَ توجيه النصوص، وتفسيرها وفق معطيات النقل والعقل مما يكشف الحُجب عن المطمور والمخبوء ليفصح عن هويته، ويرفع النقاب عن مكنوناته. ولعل غياب البصيرة أو طمسها يفضي إلى قراءات مغرضة مسيئة للنص، ومعتدية على فضيلته.

ولما كان الحرصُ على القراءة الواعية، والمبصرة للنص القرآنيّ مطلبَ كل شريف لبيب باحث عن الحقيقة انبرى العلاّمة بديع الزمان النورسي لتقديم قراءة مستنيرة عن أعقد إشكالية في الدرس البلاغيّ؛ وهي إشكالية المجاز التي قادت الكثير من الباحثين قديماً وحديثاً إلى إنجاز قراءات فيها الكثير من الانحراف والتمحل؛ بل زلّت أقدامهم في وحل التأويل المذهبيّ، والإيديولوجيّ.

ولعل قراءة تاريخية عجلى للمسار التاريخيّ الذي سلكه القائلون بالمجاز بضوابط[2] أو المسرفون[3] في القول به والعمل بمقتضاه، والمانعون[4] له تؤكد أن هذه المقاربات سلكت مسالك مختلفة، ومتباينة حرّكت جملة من الأفكار احتضنها الصراع المذهبيّ الذي ساد مختلف البيئات الدينية والفلسفية والبلاغية والنقدية. فما موقع النورسي من هذه الآراء المتباينة؟ وما مفهومه للمجاز؟ وما منهجه في مقاربة إشكالية المجاز؟ وهل كان واعياً بأبعاد المجاز العقدية والسياسية والنقدية والجمالية؟ وهل استطاع أن ينقل المجاز من الصراع العقديّ والكلاميّ إلى فضاء جماليّ إيمانيّ؟ وما هي المصادر

المعرفية التي شكّلت وعيه البلاغيّ في نظرته إلى المجاز؟ وهل انفرد برأي غير مسبوق في معالجته لمعضلة المجاز؟

أولاً: العلم بحقيقة المجاز أداة لحفظ الدين

نستطيع أن نقرر في كثير من الاطمئنان المعرفيّ أن رؤية بديع الزمان النورسيّ للمجاز صَاحَبها إدراك جماليّ عميق، وحرص عقديّ دقيق. ويشهد على هذا الوعي الفنيّ، والإيمانيّ ربطه فهم المجاز، والتمسك بمقتضياته بالعلم، والجهل به قتل لحقيقة المجاز، واغتيال لوجوده. وفي هذا الصدد يعلّق النورسيّ على خطورة وقوع المجاز في يد الجاهل قائلاً:"إذا وقع المجاز من يد العلم إلى يد الجهل ينقلب إلى حقيقة، ويفتح الباب للخرافات، إذ المجازات والتشبيهات إذا ما اقتطفتهما يسار الجهل المظلم من يمين العلم المنور، أو استمرتا وطال عمرهما، انقلبتا إلى "حقيقة" مستفرغة من الطراوة والنداوة، فتصير سراباً خادعاً بعدما كانت شراباً زلالاً، وتصبح عجوزاً شمطاء بعدما كانت فاتنة حسناء".[5]

وربما كان من العدل أن نصف يد العلم باليد الآمنة التي تدرك حقيقة المجاز، وتعي مسالكه، ومداخله وتقوده إلى فضاءات من الإشراق الجماليّ، والاستنارة الإيمانية. ففي كلام بديع الزمان كثير من الأفكار التي تحدّد تحديداً حازماً المسار السنني (الطبيعيّ)، والمجرى الفطريّ للمجاز بوصفه زينة جمالية، وحلية فنية تستهوي عشّاق الجمال وتستدرجهم للقاءٍ من المودة والصفاء الروحيّ. فَلِمَ قيد النورسيّ سلامة المجاز بارتباطه بيد العلم؟ وما مصير وقوعه بيد الجهل؟ وما مفهوم العلم، والجهل في هذا السياق التمثيليّ؟

لا ريب أن عملية الانقلاب، والاستفراغ التي تحدَّث عنها النورسيّ مصدرها وقوع المجاز في غير موضعه ونزوله في غير موطنه؛ ذلك أن المجاز إبداع، وتحويله إلى حقيقة إفراغ لمضامينه الجمالية والفنية، وفقدان لشحنته الأسلوبية.

فالعلم بالمجاز مرادف لقوة الإحساس بالجمال البيانيّ، وعصمة من الانزلاق في متاهات لتزييف، والتحريف؛ كما أن الجهل بالمجاز سلب للشعور الإنسانيّ النبيل، وحجب لقيم فلسفة الجمال.

ولا مرية في أن تغيير مسار المجاز، وإقحامه في حقيقةٍ لا تناسب جوهره هو قضاء

على عناصر الجمال والخلود فيه، ونقله من فضاء الرونق، والرواء إلى فضاء الجفاف والعدم.

وخليق بالإشارة أن النورسيّ قد استلهم فكرة الجهل بالمجاز من شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجانيّ –وهو المعجب بمؤلفاته -؛ بيد أن الفرق بينهما أن النورسيّ قيّد الجهلَ بالمجاز بفقدان الشعور الإنسانيّ بجمال العبارة وطراوتها؛ في حين ركزّ الجرجانيُّ –رحمه الله– على البعد العقديّ والجماليّ معاً. وأغلب الظن أننا نستطيع أن نزعم في هذاالمقام أن الجرجانيّ لامس معضلة المجاز ملامسة فيها كثير من العمق، والحكمة وجمال التوجيه الذي ينّم عن شعور بموقع المجاز في تشكيل العبارة القرآنية. وقد كشف الجرجانيُّ -رحمه الله- عن غرضه من الرد على منكري المجاز في اللغة والقرآن بقوله: ''وإنما غرضي بما ذكرتُ أن أُرِيَكَ عِظمَ الآفة في الجهل بحقيقة المجاز وتحصيله، وأن الخطأ فيه مورِّطٌ صاحبَه، وفاضحٌ له، ومُسقِطٌ قَدْرَهُ، وجاعله ضُحْكَةً يُتَفَكَّهُ به، وكاسيه عاراً يبقى على وجه الدهر''.[6]

واضح من كلام الجرجاني أن إنكار المجاز هو إنكار لمعلوم من البلاغة العربية؛ بل إن عدم تحصيله والوقوف عليه موجب لخزي قد يلازم صاحبه، ويغدو عنواناً على قلة مؤونته، وضحالة بضاعته. وأكبر الظن أن هذا التشنيع الذي ورد في أسرار البلاغة لا يمكن أن يُفهم في سياق التعصّب لمذهب أو نِحلة؛ بل إن شيخ البلاغيين أَفصحَ عن خطورة منع المجاز الذي هو مدار الاستقامة البيانية، وقطب رحاها؛ ذلك أن الإنكار هدر لروح البلاغة، وخنق لمسالك التأمل في جماليات التعبير اللغويّ والقرآنيّ. ولم يقف الجرجانيّ عند إبراز موقع المجاز في التشكيل الجماليّ؛ بل ذهب إلى أبعد من ذلك حينما ربط حاجة المفسّر إلى المجاز بوصفه أداة لحفظ الدين، وحمايته من التأويلات الباطلة. فكيف يكون المجاز حافظاً للدين، وقد وصفه ابن قيم الجوزية بالطاغوت؟

من الثابت في العقول والقائم في النفوس أن من جهل شيئاً عاداه، وسعى إلى الرغبة عنه والخشية منه؛ آية ذلك أن التوجّس من المجاز في تأويل بعض الآيات القرآنية، والتحرّج من الوقوع في محظور التفسيرات المستبدة بالنص قد يوهم بالسلامة من الزلل والخطل. والتحقيق أن التوجّس قد يوقع في التفريط في إبراز جماليات النص وكشف حقيقته البيانية، والعقدية؛ وربما استنكف بعض المفسرين من

المجاز في تأويل الصفات والأسماء فخرجوا إلى تأويل ما يتحرّجون منه تأويلاً منافياً لمكونات النص. وفي هذا المقام يكشف الجرجانيُّ عن ضرورة التمسك بالمجاز في حفظ الدين قائلاً: ''ولو لم يجب البحث عن حقيقة المجاز والعناية به، حتى تُحصّل ضروبه، وتُضبطَ أقسامه، إلا السلامة من مثل هذه المقالة، والخلاص ممّا نحا نحوَ هذه الشُّبهة، لكان من حقّ العاقل أن يتوفَرَ عليه، ويصرف العناية إليه، فكيف وبطالب الدّين حاجةٌ ماسّةٌ إليه من جهات يطول عدُّها، وللشيطان من جانب الجهل به مداخلُ خفيّةٌ يأتيهم منها، فيسرق دينهم من حيث لا يشعرون، ويلقيهم في الضلالة من حيث ظنّوا أنهم يهتدون''.[7]

إن الحرص الشّديد في غير موضعه يورث أهله الضلالة؛ ذلك أن المجاز إن ضُبِطت معالمه، وعُرفت رسومه وضروبه، وبلغ فيها المفسّر مبلغ العارف بأسرار العبارة كان له ذلك بمثابة المنقذ من الخرافة، والتلبيس.

ولعل من الأدلة التي يحرص عليها المانعون للمجاز زعمهم بأن المجاز كذب، وتزوير لحقائق النص وتشويه لخلاياه، واعتداء على نسيجه بالتحكم والإكراه والقسر؛ وهو جهل بمكامن الإبداع في المجاز. وفي هذا الصدد يردُّ الجرجانيّ على هذا الزعم بقوله: ''ومن قبّح المجاز، وهمَّ أن يصفَه بغير الصدق، فقد خَبَط خَبْطاً عظيماً، ويَهْرِفُ بما لا يخفى''.[8]

وإذا تقررت مكانة المجاز عند بديع الزمان النورسيّ كما فهمها من معايشته للخطاب القرآنيّ، ومخالطة آراء السابقين مخالطة فكرية ونفسية مستفيضة؛ وجب النظر في الممارسة العملية للمجاز؛ إذ قدّم نموذجاً تفسيرياً عن الآية الأولى من سورة الفاتحة، وهي آية لها تعلق بالبعد العقديّ بقوله: ''إنْ قلتَ: 'الرحمن' و 'الرحيم' كأمثالهما بمبادئهما محالٌ في حقه تعالى كرقّةِ القلب.. وإنْ أُريد منها النهايات فما حكمة المجاز؟ قلتُ: هي حكمة المتشابهات؛ وهي التنزلات الإلهية إلى عقول البشر؛ لتأنيس الأذهان وتفهيمها، كمن تكلم مع صبيّ بما يألفه ويأنس به. فإن الجمهور من الناس يجتنون معلوماتهم عن محسوساتهم ولا ينظرون إلى الحقائق المحضة إلا في مرآة متخيلاتهم ومن جانب مألوفاتهم.. وأيضا المقصود من الكلام؛ إفادة المعنى، وهي لا تتم إلاّ بالتأثير في القلب والحس، وهو لا يحصل إلا بإلباس الحقيقة أسلوب مألوف المخاطَب وبه يستعد القلب للقبول''.[9]

يلاحظ على كلام النورسيّ منهج المساءلة في معالجة الأسماء والصفات من منطلقين: منطلق الحقيقة التي سمّاها بالمتشابهات أي محال استعمال الصفات والأسماء في معناها الحقيقيّ بحقه تعالى، ومنطلق المجاز الذي سماه النهايات إن قصد الإنعام الذي هو نتيجة ولازم لمعنى حقيقتهما.[10]

ومقتضى تفسير النورسيّ للآية الأولى من سورة الفاتحة تنزيه الله تعالى، وتقديسه سواء حُملت هذه الصفات والأسماء محمل المجاز، أو تُركت على أصل حقيقتها. وإن وُجّهت الآية توجيهاً مجازياً فمن باب مراعاة أفهام المستمعين، وعقول عامة المخاطبين من البشر الذين يستأنسون بالمشاهَد المألوف. ولعل أقرب وسيلة لتجسيد معاني الرحمة، والإنعام هو الحقيقة التي تتقبّلها العقول السليمة، وتنشرح لها الطباع المستقيمة.

واللافت للنظر في نص النورسيّ أنه ربط المجاز بالحقيقة في تأويل الصفات والأسماء بمقصدين هما:

أ- مراعاة مستويات المتلقين، وأفهامهم الحسية.

الغاية المثلى من الكلام إحداث التأثير الوجدانيّ في نفس المتلقي، وإيصال المعنى إلى الفؤاد في أجمل صورة من الإقناع الوجدانيّ؛ ومن ثم يتم التأثير المنشود.

وقد أومأ النورسيّ إلى طبيعة التواصل، ومقتضياته ومكوناته؛ مسترشداً بمفهوم التواصل كما هو مقرر في الدراسات اللسانية الحديثة، ونظريات التلقي المعاصرة حيث إن: "عملية التواصل تحصل بنجاح إذا اجتمعت لها ثلاثة أركان أساسية هي المتكلم والمخاطَب ومراعاة المقتضيات المختلفة، وهي الطبيعة البشرية ومتطلباتها الفيزيولوجية والنفسيةوالعقلية".[11]

ثانياً: شروط المجاز:

لقد أقرّ بديع الزمان سعيد النورسيّ بمركزية المجاز في تشكيل العبارة القرآنية؛ إذ قيّد هذا الاعتراف بجملة من الضوابط والقيود؛ حماية للنص من الخرافة والتحكم في الرأي والاستبداد بألفاظ الخطاب، واللعب الحر بمدلولاته، ومن أبرز هذه الضوابط ما يأتي بيانه:

أ- مراعاة قوانين البلاغة وقواعدها في كل مجاز:

لا مرية في أنّ توظيف المجاز في القرآن الكريم، واللغة مما يوجب التقيد بالبلاغة وضوابطها. ولعل مما يزكّي هذا التقييد حصر مجال التأويل في نطاق النص، ونسيجه التعبيريّ، وكل محاولة لتغيير مسار التواصل البلاغيّ، وتحويل المجاز إلى حقيقة، والحقيقة إلى مجاز هو اعتداء على حرمة النص، وإساءة لمضامينه الجمالية. يقول النورسيّ: ''أما جواز المجاز فيجب أن يكون على وفق شروط البلاغة وقواعدها، وإلاّ فرؤية المجاز حقيقة والحقيقة مجازاً، أو إراءتهما هكذا، إمدادٌ لسيطرة الجهل ليس إلاّ''.[12]

فالجهل بمواطن الحقيقة، ومواضع المجاز أو الخلط بينهما هو انحراف عن أصول البلاغة، وزيغ عن إطار الجمال. وأغلب الظن أن التداخل الحاصل بين الحقيقة، والمجاز عند الجاهل بأصولهما، ورسومهما يفضي إلى قلب موازين التذوق الجماليّ، وفلسفة البيان.

وكأنّ النورسيّ يشير من طرف خفيّ إلى حصول ملكة التمييز بين الحقيقة، والمجاز للعارف بخبايا البلاغة وشروطها؛ ولعل القدرة الجمالية، والقوة الفنية هي الفيصل بين العالم بأسرار المجاز، والجاهل بأمور التشكيل الفنيّ والجماليّ.

ب- ملازمة فلسفة الشريعة للبلاغة شرط في الوسطية:

إن القراءة الاستكشافية المتأنية لآراء النورسيّ توحي بعمق مقاربته لمعضلة المجاز، وتؤكد وعيه المعرفيّ بالصراع المذهبيّ الذي احتضن إشكالية المجاز. وقد اقترح إجراءً عملياً للحدّ من الانحراف العقديّ، واللغويّ، والفنيّ. ويتعلق هذا الاقتراح بمراعاة مقاصد الشريعة الإسلامية في الوسطية والاعتدال دون تفريط أو إفراط؛ ذلك أن الاعتدال في كل شيء مطلب كل فاضل، ومسعى كل شريف يرى بنور الحقيقة. وفي هذا السياق يقول النورسيّ منتقدا الظاهرية والباطنية: ''إنّ ميل التفريط من شأنه حمل كل شيء على الظاهر.. حتى لينتهي الأمر تدريجياً إلى نشوء مذهب الظاهرية مع الأسف. وإنّ حب الإفراط من شأنه النظر إلى كل شيء بنظر المجاز، حتى لينتهي الأمر تدريجياً إلى نشوء مذهب الباطنية الباطل. فكما أنّ الأول مضرّ فالثاني أكثر ضرراً منه بدرجات. والذي يبين الحد الأوسط ويحد من الإفراط والتفريط إنما هو فلسفة الشريعة مع البلاغة، والحكمة مع المنطق''.[13]

ومن المعلوم في أصول الشريعة الإسلامية أن الأخذ بالاحتياط واجب في الحكم على الأشياء؛ فالنفس إليه أسكن، وملازمة الاقتصاد، والتأني في قراءة النص القرآنيّ من موجبات النظر الحصيف، والتأمل الجاد العميق. وقد أشار النورسيّ –رحمه الله– إلى الفِرقة الظاهرية التي ضيّقت من فضاء التفسير وحاصرته؛ بل وقفت عند حدود الظاهر مكتفية بقراءة سطحية، ومن ثم فرّطت في استكشاف جماليات النص، وأسراره. وفي المقابل وسّعت الفِرق الباطنية من مجال المجاز، وأمدته بكل وسائل الاستنطاق الفظّ الغليظ، وأدوات التحكم والإكراه البغيض؛ فانتشرت مقاربات منحرفة عن أصول النقل والعقل. وحجة هؤلاء بنية النص الباطنية التي تستجيب لكل القراءات المتاحة؛ وبهذا الاعتبار أفرطت في التأمل، وخرجت بالنص إلى متاهات التأويلات المغرضة، والتفسيرات المقيتة. وللحدّ من تقصير المفرِّطين، وجرأة المُفْرِطين، وسدّ منافذ الانزلاق، والانحراف عن التأويل الأعدل المنضبط على إيقاع النص، والشرع قيّد النورسيّ التأويل بميزان الوسطية والاعتدال، وهو ميزان فلسفة الشريعة. فهل الانقياد لفلسفة الشريعة يفضي إلى التقليل من شأن البلاغة في قراءة النص؟

التحقيق أن عمق اطلاع النورسيّ على المِلل والنّحل في الفكر الإسلاميّ، وقوة استئناسه بمقاصد الشريعة الإسلامية يجعلنا نعترف له بالفضل، والسبق ورسوخ القدم في التأصيل، والتأسيس لضوابط التأويل المستقيم الذي لا يفرّط في أدبية النص، وجمالياته من جهة، ولا يُفرِطُ في الولوج في تخوم قراءات مضللة بعيدة عن روح النص تحركها الخرافة وتوجّهها الإسقاطات المذهبية من جهة أخرى. وأغلب الظن أن ملازمة البلاغة لفلسفة الشريعة القائمة على الاقتصاد هو السبيل إلى الاهتداء إلى فضاء القراءة الموضوعية.

فالبلاغة أصل المجاز ومفتاحه، والإعجاز القرآنيّ نابع من البلاغة كما أجمع على ذلك أهل النظر في الإقرار بمركزية البلاغة في الكشف عن مغايرة النظم القرآنيّ لكل نظم بشريّ. ولا يمكن استجلاء جوهر هذه المغايرة والمباينة إلا بالظفر بوسائل البلاغة، وطرقها وأدواتها، والاسترشاد بهديها. ومن هذا المنطلق تعدُّ البلاغة وسيلة الكشف الأسلوبيّ وأداة وظيفية لإدراك مكنونات النص، وخفاياه.

ولا جرم أن الاستئناس بأصول البلاغة العربية في التأويل هو الشهادة الأصلية على سلامة مقصد التفسير، وكل تأويل بمعزل عن البلاغة هو إهدار لكرامة النص، واعتداء

على حرمته وشرفه. وبعبارة أكثر وضوحاً: فإن تجاوز أهل التفسير للبلاغة في قراءة النص هو سلب لحق من حقوق القرآن الأزلية. وفي هذا المعنى يقول النورسيّ: ''إن الخاصية المميزة للتنزيل، الإعجاز، والإعجاز يتولد من ذروة البلاغة، والبلاغة مؤسسة على مزايا وخصائص، لا سيما الاستعارة والمجاز. فمن لم ينظر بمنظارهما لا يفوز بمزاياها.. فكم في التنزيل من 'تنزلات إلهية إلى عقول البشر' تسيّل ينابيع العلوم في أساليب العرب تأنيساً للأذهان. والتي تعبّر عن مراعاة الأفهام واحترام الحسيات ومماشاة الأذهان. ولما كان الأمر هكذا.. فلا بد لأهل التفسير ألاّ يبخسوا حق القرآن بتأويله بما لم تشهد به البلاغة''.[14]

ويستفاد من كلام النورسيّ أن العلاقة بين القرآن، والإعجاز علاقة محكمة، وصلة أزلية، ومصدر الإعجاز هو البلاغة التي تتأسّس على جملة من السمات الأسلوبية، والفنية التي تعدُّ مفاتيح النظر الجماليّ في النص. ومن موجبات التذوق الفنيّ الاسترشاد بالاستعارة، والمجاز بوصفهما من ركائز البلاغة. ولعل من خصوصيات التنزيل أنه جاء مراعياً لأساليب العرب، وطرقهم في التعبير، وسننهم في التصوير الأدبيّ؛ ومن ثم راعى الخطاب القرآنيّ مستويات المتلقين، ومداركهم، وقدراتهم الاستيعابية من خلال مطابقة الكلام لمقتضيات الأحوال، والمقامات.

فما هي أصول البلاغة التي ارتضاها النورسيّ مفتاحاً كاشفاً عن أسرار ما في مكنونات النصوص القرآنية؟

قد يبدو هذا السؤال من باب الترف العلميّ؛ ولكن نظرة حصيفة ثاقبة تزكّي مسلك هذا الاستفساربالنظر إلى ما آلت إليه البلاغة العربية على أيدي بعض الشّراح الذين حوّلوها إلى جثة هامدة بكثرة التلخيصات والتعليقات وهي البِكر التي تزخر بالغرر والدرر. وقد زاد من ركود البلاغة وجفافها اختلاط العرب بالأعاجم. فالبلاغة المقصودة من كلام النورسيّ هي البلاغة العربية اليافعة التي حافظت على رونقها وجمالها وبِكارتها. وقد حدّد النورسيّ تحديداً صارماً المراد بالبلاغة المطلوبة للكشف الأسلوبيّ عن إعجاز القرآن بقوله: ''إنّ مفتاح دلائل إعجاز الآيات وكشّاف أسرار البلاغة، هو في معدن البلاغة العربية، وليس في مصنع الفلسفة اليونانية''.[15]

فما وجه اعتراض النورسيّ على الفلسفة اليونانية؟

لا ريب أن العلاقة الأزلية بين القرآن واللغة العربية مما هو مجمع عليه بين القدماء

والمحدثين؛ فعربية القرآن تعني من وجوه نقاء لغة التواصل، وصفاء معدنها. ولا يحتاج الأمر إلى أكثر من مراجعة بسيطة لتاريخ البلاغة في عصور الانحطاط بسبب اختلاط العرب بغيرهم من الأعاجم، وتأثر البلاغة العربية بالمنطق اليونانيّ، وفلسفته. ولعل من تجليات هذا التأثير كثرة التفريع، والتقسيم، والإغراق في الصنعة اللفظية، والزخارف.

ت- التخصص المعرفيّ عُمدة التفسير ومِلاك التأويل:

يشير النورسيّ إلى قضية مركزية في التراث العربيّ الإسلاميّ، وهي مراعاة التخصص المعرفيّ؛ ذلك أن من دواعي الانزلاق العلميّ والشرعيّ الذي وقع في كثير من المقاربات التراثية، والحداثية المعاصرة الخوض في التفسير مثلاً دون امتلاك أدوات المفسّر، والتحكم في آليات التأويل. فكما هو مقرر في تاريخ العلوم أنَّ لكل حرفة أو صناعة أهلاً يُفزع إليهم في فكّ ما استغلق، واستعصى، وغمُض من مسائل العلم وفروعه. وقد جنت بعض الفِرق الإسلامية جناية عظمى على القرآن بسبب الانضمام الصوريّ للمعرفة دون تحصيل أو معاناة أو ألم في طلب المعارف والعلوم. ومن آثار هذا السلوك ظهور التعصب والاستعلاء والجبروت العلميّ. ومن ثم يرى النورسيّ أن حرمة العلم، وشرف نيله، والانتساب إليه ينطلق من تقديس التخصص، واحترامه. وإقرار العالم ببضاعته العلمية، ومعرفته بمؤهلاته يجعله يمسك عن الخوض في فضاءات معرفية قد تكشف عواره العلميّ، وتعرّي سوءته المعرفية. ومن ادّعى ما ليس فيه كشفته شواهد الاختبار، كما هو مقرر في أصول التحصيل المعرفيّ، وأدبيات الارتقاء، والسّمو العلميّ.

وإن تبجيل التخصص لا ينتقص من قيمة العالم، وهيبته ووقاره؛ بل يضاعف من جلاله، ويمدّ في ظلاله، وهي حقيقة لامسها العلاّمة قاضي القضاة بدر الدّين بن جماعة [ت ٧٣٣هـ] -رحمه الله- بقوله: ''وإنما يأنف من قول 'لا أدري' مَن ضَعُفت ديانته/ وقلّت معرفته؛ لأنه يخاف من سقوطه من أعين الحاضرين، وهذه جهالة، ورقّة دين وربما يشتهر خطؤه بين الناس فيقع فيما فرّ منه، ويتصف عندهم بما احترز عنه''.[16]

فادّعاء المعرفة، والتظاهر بالعلم من غير سند معرفيّ؛ خشية الوقوع في ذمّ الناس هو وقوع في المحظور الذي تحاشاه مدّعي العلم؛ ذلك أن الإحجام عن قول لا أدري

ليس عجزاً معرفياً كما يتوهم أدعياء العلم؛ وإنما هو تقديس للعلم وتوقيره. فكلما أيقن العالِمُ بصعوبة مسلك طلب العلم، وعلوّ مقام التحصيل ازداد حرصاً على احترام تخصصه، والوقوف عند حدّه. ولعل الذي جعل النورسيّ يشترط التخصص في التفسير هو كثرة الفِرق المبتدعة التي اتخذت من المجاز أداة لتحقيق مآرب مذهبية عاجلة، وقضاء منافع سياسية فانية. ولو أن المجاز تعاطته أيادٍ متخصّصة، وأدركت كنهه ومسائله ولطائفه لما ظهرت المِلل والنِّحل المتطرفة التي ساقت المجاز إلى فضاء موحش، وأنزلته منزلة الغريب الدخيل. وفي هذا المضمار يقول النورسيّ؛ مسترشداً بالتمثيل؛ لأنه أقدر على تجسيد المعاني، وتصويرها في قالب من الإقناع: "إنّ كل ما يرد في التفسير لا يلزم أن يكون منه، إذ العلم يمدّ بعضه بعضاً. فما ينبغي التحكم 'في الرأي' [...] فكما لا تشتري لوازم البيت المتنوعة من صناع واحد فقط، بل يجب مراجعة المختص في صنعة كل حاجة من الحاجات؛ كذلك لا بد من توفيق الأعمال والحركات مع ذلك القانون الشامخ بالكمالات 'قانون الفطرة'. ألا يشاهد أن من انكسرت ساعته، إذا راجع خياطاً لخياطتها فلا يقابل إلا بالهزء والاستخفاف؟"[17]

ولا نزاع في أن السنن الكونية، وقوانين الفطرة هي التي تيسّر تحصيل الاختصاص على البشر بما ينسجم مع مؤهلاتهم، واستعداداتهم الفطرية؛ وكلما رام المرء إقحام نفسه في تخصص لا يحسنه انحرف عن قانون الفطرة، وحاد عن نواميس الجِبّلة.

فالتّخصّصات متشابكة ومتداخلة أحياناً؛ إلا أن الميل الفطريّ لتخصص دون آخر هو المحدّد للشخصية الإنسانية في بعديها العلمي الأكاديميّ، والأخلاقيّ. فقد يرد في تفسير القرآن ما له نسبب، وسبب بالفقه أو العقيدة، وهي علوم متداخلة بصناعة التفسير إلا أنّ القول الفصل في الخطاب التفسيريّ يرجع إلى ذوي حرفة التفسير، وأرباب هذا الفن، وعلومه.

وربما كان من الفضيلة العلمية الإقرار بأن الاهتداء إلى الصناعة أو الحرفة المنسجمة مع طبيعة الإنسان، واهتماماته الفكرية هو مفتاح الفلاح، وآلة النجاح.

ثالثاً: المبالغة في المجاز انحراف عن المقاصد:

يقدّم النورسيّ قراءة نفسية، وجمالية لمفهوم المبالغة في المجاز؛ معتبراً إياها من باب التجاوز، والانحراف عن الحقيقة الثابتة؛ بيان ذلك أن بعض النفوس البشرية أميل إلى ربط الحقيقة بالخيال في كثير من الأمور، وهي طبيعة فاسدة؛ لأنها تقلب موازين

النظر المستقيم، وتخفي جمال الحقيقة من منطلق عدم تحري الاقتصاد في التعبير والوصف، والجنوح إلى الاستزادة في موطن ألصق بالإيجاز، وأقرب إلى بلوغ الغاية من المجاز.

ولئن كانت المبالغة من طبائع بعض البشر الذين يتلذّذون بمعانقة فضاء الخيال المطلق إلا أنّ فلسفة الجمال تأبى هذا الانفلات، والحقيقة الناصعة موجبة للانقياد لأوامر النص، والامتثال لحدوده؛ آية ذلك أن تجاوز الحد، وتخطي عتبة الحقيقة هو تشويه لجوهر الحسن القائم على التناغم والانسجام. وفي هذا السياق يقول النورسيّ: ''المبالغة تشوش الأمور وتبلبلها؛ لأن من سجايا البشر: مزج الخيال بالحقيقة، بميل إلى الاستزادة في الكلام فيما إلتذ به، والرغبة في إطلاق الكلام جزافاً فيما يصف، والانجذاب إلى المبالغة فيما يُحكى... وبهذه السجية السيئة يكون الإحسان كالإفساد، ومن حيث لا يعلم يتولد النقصان من حيث يزيد، وينجم الفساد من حيث يصلح، وينشأ الذم من حيث يمدح، ويتولد القبح من حيث يحسن.. وذلك لإخلاله -من حيث لا يشعر- بالحسن الناشئ من الانسجام والموازنة (في المقاصد)''.[18]

والحقيقة أن في كلام النورسيّ بعض الخفاء يحتاج إلى إبانة وتوضيح؛ ولعل مما يسوغّ لهذه الإضاءة المعرفية أن يعتقد بعض الناس أن مفهوم المبالغة مذموم على إطلاقه، ولكن الواقع خلاف ذلك.

فالمبالغة المذمومة هي المبالغة المطلقة السقيمة التي تتجاوز إطار النص إلى خيال كاذب لا يعضده عقل أو جمال أو ذوق سليم أو حسّ صادق. وفي بعض النثر والشّعر تبدو المبالغة حميدة؛ لأن الشعر تعبير جماليّ عن معاناة إنسانية في صورة من الإيحاء؛ ومن ثم فإن القدر اليسير من المبالغة لا بد منه في صياغة النص وتشكّله، ولطالما اختلف نقاد العربية في اعتبار أعذب الشّعر أكذبه. وقد أورد النورسيّ بعض الشواهد على المبالغة العليلة؛ مستأنساً بتفسير القرآن الكريم قائلاً: ''فمثلاً ! الزيادة التي زيدت في معجزة انشقاق القمر الباهرة بالمبالغة في الكلام، وهي أن القمر قد نزل من السماء ودخل تحت إبط الرسول صلى الله عليه وسلم ثم رجع إلى السماء. هذه الزيادة، جعلت تلك المعجزة الباهرة كالشمس، مخفيةً كنجم السهى، وجعلت ذلك البرهان للنبوة الذي هو كالقمر، مخسوفاً، وفتحت أبواب حجج تافهة للمنكرين''.[19]

وظاهر كلام النورسيّ أن المبالغة تحجب حقائق الدّين الساطعة النيّرة، بسبب

غياب المحاكمة العقلية التي تزن الأمور بميزان الشرع والعقل، وتضع الأشياء في نصابها. وأغلب الظن أن مقاصد الشريعة الإسلامية تتفاوت قيمة وقدراً ومكانةً، والمبالغة هي التي لا تقدّر حقيقة التفاوت في أمور الدين؛ فتنقلب موازين الحكم، ويتوارى الجمال، ويستتر الفاضل، ويظهر العاطل.

وقد يكون من باب الفضيلة، والاستقامة أن نقول: إن المبالغة في تقدير الأمور تفضي إلى الاعتداء على فلسفة الجمال والكمال، وتنتقص من قيم الحسن؛ بل إن النورسيّ يرى أن التجاوز في النظر إلى الأشياء هو اختراقٌ للسنن الكونية، وتعدٍ على قانون الفطرة. فالكون المنظور خُلق على أجمل صورة، وأبدع منوال، والمبالغة تحريف لهذه الخِلقة وتزييف لانسجامها. وبعبارة أكثر إشراقاً: فإن الزيادة في الكلام دون فائدة تشويش لنظام الكون المحكَم؛ ذلك أن المبالغة في المجاز تحريف لأصول الحقيقة الثابتة، ومن ثم: ''يجب على كل محبّ للدين وعاشق للحقيقة: الاطمئنان بقيمة كل شيء وعدم إطلاق الكلام جزافاً وعدم التجاوز. إذ المبالغة افتراء على القدرة الإلهية. وهي فقدان الثقة بالكمال والحسن في العالم واستخفاف بهما''.[20]

فالمجاز المطلق تزييف للحقيقة الكونية، وتقييده إقرار بمقاصد الشريعة، وفلسفة الجمال معاً؛ لأن الجري في تقدير الأمور مجرى التثبّت والتبيّن هو اعتراف بالوسطية، وتعلق بالحقيقة التي هي أصل الكمال، والرونق والإبداع.

ومن تجليات الانحراف عن أصول الحقيقة، والمروق عن ضوابط التحري المبالغة في الاستعانة بالزخرف اللفظيّ الكاذب؛ لأن الديباجة اللفظية، وتحسين الكلام ما لم يتطلّبه المعنى، ويقتضيه السياق، وترتضيه سنن الحقيقة هو اعتداء على الشريعة التي سّنت للبشر دستور القراءة الأمينة الخالية من الاستنطاق الجاف، ومحاولة تحريك الثابت لنزوة عابرة أو شهوة نافرة. ومن هذا الطريق ثَبت أن الشرع حدّد الإطار العام للقراءة المنتجة، والمثمرة التي تسعى للظفر بالمطلوب من كل كشف أصيل عن الحقيقة بمعزل عن مغالطات الألفاظ، وألاعيب الحذلقة. ويفضي بنا هذا التحليل إلى تقرير الهاجس المعرفيّ الآتي: كيف يطمئن الباحث في الشريعة إلى أحكام الشرع ما لم يقم الدليل الناصع على حصول دواعي هذا الاطمئنان النفسيّ والعقليّ؟

يجيب النورسيّ عن هذا الخاطر إجابة نابعة من رحم مفهوم القراءة الجادة الحصيفة دون أن يُفهم من كلامه أنه يشرّع لمفهوم القراءة الأحادية، والانغلاق على

حدود النص. يقول النورسيّ: ''إنّ الشارع سبحانه وتعالى قد وضع سكته وختمه المعتمد على كل حكم من أحكام الشرع. ولا بد من قراءة تلك السكة والختم. فذلك الحكم مستغن عن كل شيء سوى قيمته وسكته. فهو في غنًى عن تزيينِ وتصرّفِ الذين يلهثون وراء المبالغين والمغالين والمنمقين للّفظ. وليعلم هؤلاء الذين يطلقون الكلام جزافاً، كم يكونون ممقوتين في نظر الحقيقة في نصحهم الآخرين''.[21]

إن التنميق، والتزيين من شأنه أن يحيد عن مسلك الحقيقة الربانية التي هي المعتمَد، وعليها مدار النظر القويم الذي ينطلق من الختم الإلهيّ على الأحكام الشرعية القطعية التي تستغني عن حمل اللفظ محمل التجاوز والمبالغة. فكيف يمكن التوفيق بين مرونة الشريعة، وانضباطها، ومجال الاجتهاد والتأويل؟

من المتفق عليه في الشرع أن الأحكام القطعية هي مجال الحقيقة الثابتة التي شبّهها النورسيّ بالختم؛ ولعل في دلالة الختم ظلال، وإيحاءات دلالية بالصرامة والشهادة الأزلية التي لا تسمح لمجتهد أن يجتهد خارج الإطار، والختم المعتمَد؛ ويبقى النظر في مسائل الظنيات، والفروع مجالاًفسيحاً واسعاً للتأمل.

ولا يمكن أن تُفهم هذه الصورة التّشبيهية التي قدّمها النورسيّ إلا في إطار الاحتراز عن التأويلات النافرة التي تتعدى على قداسة هذا الختم الإلهيّ الذي يُعدّ نبراساً مضيئاً لكل شريف حرّ رامَ الاعتدال، والوسطية في قراءة النصوص دون تحسين لأوجه النص، وتزيين لملامحه؛ خدمة لرغبة التحكّم، وتزيف الحقائق كما هو مشاهد في بعض القراءات التراثية والحداثية المعاصرة التي لا تؤمن بالأختام، والمراكز الثابتة؛ بل كل النصوص قابلة للقراءة التناسلية، والانفتاح المطلق كما هو صنيع بعض المنهجيات النقدية كالبنيوية، والتفكيكية وغيرهما.

ولا ريب أن لزوم الختم لا يعني الاحتماء بالظاهر بقدر ما يؤسّس لمفهوم الانضباط بسياج النص، وإطاره التاريخيّ دون الانفلات إلى سكك أخرى غير مأمونة تتخذ من حرية الاجتهاد المطلق، والقراءة الحفرية مسوغاً لكل منهج يزعم تجديد الخطاب الدينيّ، وتحديث الوعي؛ وهي شعارات ظاهرها الحرية الأكاديمية، والتعبير الحرّ، وباطنها مجرد الدعوى وتمكن الهوى. وقد عبّر عبد القاهر الجرجانيّ عن هذا الادعاء الباطل، والافتراء المتهافت بلغة بلاغية فيها تصوير جماليّ في منتهى الإيجاز والإعجاز. وفي هذا الصدد يقول -رحمه الله-: ''فأمَّا الإفراطُ، فما يتعاطاه قوم يُحبّون

الإغرابَ في التّأويل، ويَحْرصون على تكثير الوجوه، وينسوْن أن احتمال اللفظ شرطٌ في كل ما يُعدلُ به عن الظاهر، فهمْ يستكرهون الألفاظ على ما لا تُقِلُّه من المعاني، يَدَعون السليم من المعنى إلى السقيم، ويرونَ الفائدة حاضرةً قد بدأت صفحتها وكشفت قِناعَها، فيُعرضون عنها حبّاً للتشوُّف، أو قصداً إلى التمويه وذهاباً في الضلالة''.[22]

لقد أفاض الله تبارك وتعالى على الجرجانيّ والنورسيّ من نور هدايته، وخصّهما من سائر البشر بإلطاف النظر، ونفاذ الخاطر ما فتح عليهما فتوح العارفين بأسرار التأويل، ودقائق التفسير. ولعل في إشارة الجرجانيّ –رحمه الله– إلى مزالق التأويل المنحرف عن الختم الإلهيّ المعتمَد ما يكفي للتدليل على أن الختم الذي ذَكَره النورسيّ –رحمه الله– هو الذي يمنع من الإغراب في التأويل، واستكراه الألفاظ على ما لا تتحمّله نواة المعاني؛ حباً في الظهور، ورغبة في الاستعلاء، وتحايلاً على مقاصد النص لتمديد المتاهة، وتبديد الفائدة لتحقيق متعة الاعتداء، وشهوة الانتقام.

رابعاً: ردّ النورسيّ على شبهات الظاهريّين وتفنيدها:

تصدّى بديع الزمان سعيد النورسيّ في كليات رسائل النور للردّ على شبهات الظاهريين من منطلق قراءة عقلية وجمالية، ولا يتسع المقام للاستفاضة في التفاصيل الكلامية، ولا لبسط الكلام في المسائل العقدية[23] وحسبنا أن نشير هنا إلى كشف النورسيّ لجملة من عيوب الظاهريين التي وصفها بالبلاء؛ وهي إجمالاً كالآتي:

أ- بلاء تحرّي الحقيقة في كل مجاز:

لا جدال في أنّ التحرّي في العلم من مقوّمات النظر المنهجيّ السليم، والتأمّل القويم؛ إلا أن المبالغة في إقحام المجاز في كل حقيقة هو التكلّف، وسوء تقدير لموطن المجاز، وإطاره الطبيعيّ؛ فتُطْلبُ الحقيقة إذا اقتضاها السياق، والمقام وأَذنت بذلك مكونات النص، وارتضاها مقصود النص، وغرضه. وفي إرغام الحقيقة على ملاحقة كل مجاز هو تشويش للنظام اللغويّ الذي يتحكم في الصياغة التعبيرية. فكيف السبيل إلى الاهتداء إلى تحديد موطن الحقيقة، والمجاز، وإنزال كل واحد منهما المنزلة المناسبة له؟

من المسلّم به في الدرس البلاغيّ أن عنصر الحقيقة ركن مكين في تشكيل الصورة

البلاغية؛ لأن الاكتفاء بالمجاز دون الحقيقة ينتج صورة موغلة في الخيال، والخرافة؛ كما أن تغييب المجاز في تشكيل النص هو سقوط في متاهة القراءة السطحية النمطية التي تفتقر إلى الإحساس الوجدانيّ الصادق، والوهج العاطفيّ المتأجج، ولعل التكامل بين الحقيقة والمجاز هو سرّ الإبداع.

ولايشترط في كل موضع من المجاز أن يتضمن قدراً كبيراً من الحقيقة حتى يستوليَ على المجاز، ويستحوذ عليه؛ بل إن اليسير من الحقيقة يكفي مؤونة لبناء النص، وتشييده. وأغلب الظن أن فعالية السياق الدلاليّ هي التي تحدّد مسلك اختيار الحقيقة دون المجاز، ومن ثم فإنّ الحرص على رصد الحقيقة يسدّ مسالك الاتساع التعبيريّ. وفي هذا المضمار يقول النورسيّ بعد أن تناول بلاء الظاهريين في مسائل العقيدة، وعلم الكلام: ''البلاء الخامس: هو تحري الحقيقة في كل موضع من كل مجاز ممّا أخذ بيد أهل التفريط والإفراط إلى الظلمات نعم لا بد من وجود حبة من حقيقة لينمو وينشأ منها المجاز ويتسنبل. أو أن الحقيقة هي الفتيلة التي تعطي الضوء. أما المجاز فهو زجاجها الذي يزيد ضياءه. نعم، المحبة في القلب... والعقل في الدماغ وطلبهما في اليد والرِجل عبث''.[24]

فالتّحري الحقيقيّ هو الذي يحدّد تحديداً صارماً مواطن الحقيقة، والمجاز دون إخلال بهدي هذا التحديد؛ لأن الخلط بينهما مما يفضي إلى التفريط والإفراط. وللحفاظ على وسطية الاختيار المراعية لضوابط النص، وتجلياته التعبيرية المختلفة ينبغي الاسترشاد، والاستئناس بقانوني التمايز، والتداخل بين الحقيقة والمجاز. وفي مدلول هذين القانونين إجمال يحتاج إلى إبانة.

إن تداخل الحقيقة بالمجاز في كل تشكيل فنيّ أمر مسلم به؛ لسبب قريب وهو: استحالة الانطلاق من البناء النصيّ للقرآن الكريم من المجاز فقط؛ ذلك أن الحقيقة عنصر مركزيّ في البنية النصية؛ بل هي مصدر الضوء –على حد تعبير النورسيّ–، والتمايز بينهما تحدّده قابلية النص لتعدد القراءات لخصوبة مادة الوحي وثرائها واتساعها لقراءات مضيئة مشرقة تضيء زوايا النص. فلا يمكن الفصل بين الفتيلة، والزجاجة للعلاقة الوطيدة بينهما؛ إلا أنّ التمييز بينهما ضروريّ في كل بناء لغويّ. فمعرفة وظيفة الحقيقة التي هي مصدر الإضاءة موجب لمعرفة المجاز الذي هو فضاء اتساع الإشراق، وامتداده. ومتى عُلمت هذه الوظيفة الحيوية للحقيقة، والمجاز أَمِن

البناء النصيّ من الشطط والخطل والزلل، وسوء التأويل. فمن البلاء الذي وقع فيه أهل الظاهر عدم الإقرار بهذا التمييز بين منبع الإضاءة (الحقيقة) بكل ما تحمله الكلمة من دلالات الإشراق والإنارة، والتجلّي، وبين امتداد هذا الشعاع في فضاء المجاز.

ب- بلاء قصْرُ النظر على الظاهر، والاكتفاء بالقرينة العقلية في التمسّك بظاهر النص:

ينتقل النورسيّ إلى بلاء آخر له تعلق بمسألة بلاغية. وهي مفهوم القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقيّ. وفي هذا الصدد يقول: ''البلاء السادس: هو قصر النظر على الظاهر، مما طمس على النظر، وستَر البلاغة فلا يتجاوزون إلى المجاز، ما دامت الحقيقة ممكنة في العقل. وحتى لو صاروا إلى المجاز يمسكون عن معناه. وبناء على هذا فإن تفسير أو ترجمة الآيات والأحاديث لا يُبينانِ حسن بلاغتهما. وكأن لديهم أن قرينة المجاز امتناع الحقيقة عقلاً... بينما القرينة المانعة كما يمكن أن تكون عقلاً يمكن أن تكون حساً وعادةً ومقاماً وبأشياء أخرى''.[25]

جليّ من كلام النورسيّ -رحمه الله- أن مستند الظاهرية في عدم جواز المجاز في القرآن القرينة المانعة من إرادة المعنى على حقيقته؛ وهي حجة واهية لا تصمد أمام حقيقة القرينة كما حدّدها علماء البلاغة العربية. فما المقصود من القرينة؟ وهل قرينة المجاز عقلية فقط؟

تشير المصادر البلاغية المعتبرة في الدرس البلاغيّ إلى أنّ القرينة هي: الأمر الذي يجعله المتكلم برهاناً على أنه أراد باللفظ غير ما وُضع له أصلاً في اللغة العربية؛ وهي حالية ومقالية أو لفظية ومعنوية. فاللفظية مثلاً هي التي يلفظ بها في التركيب، أو الجملة، أو تظهر أثناء النطق. والحالية هي التي تُفهم من حال المخاطَب أو من الواقع. فالأمر الدال على الشيء من غير استعمال هو القرينة بمفهومها الاصطلاحيّ؛ ومن ثم يرى محمد بن علي الجرجاني -رحمه الله- [ت ٧٢٩ه] أن: ''قرائن المجاز وإن كانت كثيرة، لكن يجمعها أمر واحد، وهو ما يدل على تعذر حمله على معناه الحقيقي، وهي قرينة صارفة، ولا يكفي ذلك في الاهتداء إلى المراد؛ لأن علم إرادة شيء لا يستلزم إرادة شيء آخر بعينه، فلا بد من قرينة هادية: والهادية هي نسبة من النِسب الآتي ذكرها بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي''.[26]

يُستفاد من كلام محمد بن علي الجرجانيّ أن العدول عن الحقيقة إلى المجاز يتم

بجملة قرائن، والقرينة في جوهرها صارفة وهي غير كافية في إدراك المقصود؛ بل لا بد من الهادية التي هي المناسبة بين المعنى المنقول عنه، والمنقول إليه.

فتشترك القرائن اللفظية، والحالية، وغيرهما من القرائن في صرف اللفظ عن معناه الحقيقيّ إلى المعنى المجازيّ لمناسبة جلية ظاهرة أو خفية.

ج- بلاء الجمود على الظاهر جحود بحق البلاغة، وجناية على نظام العالم:

لقد رسم بديع الزمان النورسيّ لنظرية المجاز في القرآن الكريم معالمها، وشدّ معاقلها بنماذج تطبيقية فاضلة عن الكفاية؛ بل هي في ذروة الإحسان والبيان؛ ولعل قليلاً من النماذج يغني عن الإفاضة في بسط نظرية النورسيّ في المجاز.

ومن منطلق إيمان النورسيّ بجماليات العبارة القرآنية، ورونقها، واستحالة التمسّك بالظاهر الذي يراه عاملاً مساعداً على محاصرة البيان القرآنيّ، وسّع من مجال الممارسة التطبيقية على آيات القرآن الكريم؛ للتدليل على مفهوم تعدد القراءات الذي ينسجم مع طبيعة الخطاب القرآنيّ في إعجازه، وثراء دلالاته، وخصوبة معانيه، وكثافته الأسلوبية.

ويرى النورسيّ أن القراءة الأحادية للنص القرآنيّ جمود، وتعسف ينافي توهج البلاغة، وحرارتها. ومما له دلالة في هذا السياق استشهاده بالآية الثالثة، والأربعين من سورة النور، والآية الثامنة، والثلاثين من سورة يس.

وأغلب الظن أن اختيار هاتين الآيتين يعكس حسّاً جمالياً راقياً، ويكشف عن ذوق فنيّ أصيل. وسوف نتوقف في بعض الإطالة عند بعض الشواهد القرآنية. يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾.[النور:٤٣] ويقول الله تعالى أيضاً: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.[يس:٣٨]

يشعر الإنسان وهو يتأمّل في خفايا هذا الانتقاء -أنَّ اختيار المرء رائدُ عقله-؛ ويشهد على رجاحة فكر النورسيّ -رحمه الله- أنه ساق شواهد لظواهر كونية تبرز قدرة المولى في الخَلق، وقد صيغت صيغة جمالية متماسكة. وفي هذا المضمار يقول النورسيّ معلقاً تعليقاً أسلوبياً على الآيتين: "هاتان الآيتان الكريمتان جديرتان

بالملاحظة والتدبر. لأن الجمود على الظاهر جحود بحق البلاغة، إذ الاستعارة البديعة في الآية الأولى تتوقد بحيث تذيب الجمود المتجمد، وتشق كالبرق ستار سحب الظاهر. أمّا البلاغة في الآية الثانية فهي مستقرة وقوية ولامعة بحيث تقف الشمس لمشاهدتها''.[27]

ويزيد النورسيّ من استجلاء جمال الاستعارة اللطيفة الواردة في الآية الثالثة، والأربعين من سورة النور، ويرى أنها تقوم على التسابق، والمحاكاة بين الأرض والسماء؛[28] وهو توجيه بديع يستند إلى رؤية جمالية قوامها الإحساس بروعة الكلمات، وسحر المفردات؛ فالأرض في مقابل السماء تتزين بجبالها المغطاة بالبَرَد، والثلج، كما تتوشّح السّماء بالسّحاب الذي يكسوها ويغطيها، وهنا نكتة ينبغي التفطن لها؛ وهي: أن هذه المحاكاة دالة على دقة الصنعة، وقدرة المولى على تقدير المخلوقات على أحسن صورة، وأجمل وجه.

ويؤصّل النورسيّ لمفهوم تعدد القراءات في رحاب الآية الثامنة والثلاثين من سورة يس؛ إذ يرى أنها تُحمل على وجهين، وكلاهما مقصود من الآية؛ حيث: ''إن جريان الشمس كما يكون على سبيل الحقيقة يمكن أن يكون على سبيل المجاز أيضاً، وكما أن جريان الشمس حقيقيّ وذاتيّ يمكن أن يكون عرضياً وحسياً أيضاً. والمنار على المجاز كلمة 'تجري' والملوح للعقدة الحياتية لفظ ''لمستقر لها''.[29]

فالآية المتضمنة لحركة فلكية تدل على حقيقة كونية لا تخطئها عين مبصرة متأملة في مخلوقات الله تعالى؛ بيد أن في النص قرائن لفظية تؤسس لمفهوم مجازيّ، وهي أمور دالة على خلاف المراد المقصود من أصل وضع ''تجري'' و ''لمستقر لها'' في العربية. فجري الشمس دليل على نظام حركة الكون الدقيقة المنتظمة وفق الحكمة الإلهية، والمشيئة الربانية.

وعلى هدى هذه القراءة الجمالية التي قدّمها النورسيّ يؤكد أن التمسّك بتلابيب ظاهر النص في تفسير الآيات السابقة يندرج ضمن التكلف البارد، والتعسف الجامد؛ بل إنه جناية على نظام الكون المنظور الذي يشهد بقدرة الخالق وينطق بجمال الخِلقة، وروعتها. يقول النورسيّ: ''فمع هذه التصويرات فإن الجمود البارد والتعصب على الظاهر ينافي حرارة البلاغة ولطافتها كما أنه يجرح ويخالف استحسان العقل الشاهد على الحكمة الإلهية التي هي أساس نظام العالم الشاهد على الصانع''.[30]

ولهذا كله، فليس ثمة غرابة في اعتبار التمسّك بالبنية السطحية للنص، والتعصب لها يفضي إلى جنايتين:

الجناية الأولى لها تعلق بالطبيعة التكوينية للبلاغة العربية القائمة على الوهج الجماليّ، والجذوة الفنية.

الجناية الثانية لها سبب، ونسب بالطعن في شهادة العقل السليم على نظام الكون القويم، والخَلق المستقيم.

خامساً: الحدس الكاذب تزييف لحقائق النص القرآنيّ:

من الاستبصارات اليافعة التي اهتدى إليها النورسيّ بفكره الثاقب، وسرعة بديهته مفهوم الحدس، وأثره في قراءة النصوص وتأويلها. ونستطيع أن نزعم في هذا المقام بكثير من الثقة العلمية أن النورسيَّ اقترب من عمق مسألة المجاز اقتراباً موضوعياً مكّنه من تشريح الأسباب الجوهرية التي أفضت إلى ظهور قراءات تراثية، وحداثية قائمة على الاستفزاز. فما المقصود بالحدس؟ وكيف يكون الحدس كاذباً؟ وهل هناك حدس صادق؟ وما أثره في إضاءة النص القرآنيّ؟ وهل يصلح الحدس آلية لقراءة النصوص؟

من الغريب الواقع أن يتحدث النورسيّ عن الحدس الذي هو أقرب إلى الاستبطان لتعلّقه بمعرفة نفسية غير محدّدة الملامح والقسمات؛ بيد أن العملية التأويلية في كثير من جوانبها قراءة نفسية، وإحساس داخليّ بالكلمات، وشعور بجمال العبارات؛ فإذا كان محرّك الإحساس رغبة صادقة في الكشف عن مكنونات النص بلغ المؤول درجة من الصفاء التأويليّ؛ وإذا تحرّك المفسّر من منطلق الإحساس بالانتقام من النص، والتلذذ باستنطاقه خرج إلى فضاء القراءة المغرضة التي لا تؤمن بسلطة النص، ومؤلفه.

وقد عرّف التهانويّ الحدس بقوله: ''هو تمثّل المبادئ المرتّبة في النفس دفعةً من غير قصد واختيار، سواء كان بعد طلب أو لا، فيحصل المطلوب''.[31]

فالحدس (Intuition) هو شعور داخليّ، وإحساس وجدانيّ بمعرفة غير محددة الصورة، وقد تكون مضلّلة. وفي هذا الإطار حذّر النورسيّ من هذا الضرب من المعرفة القائمة على التمويه، والتشويه قائلاً: ''واعلم! أن مفتاح حجة الله المتجلية في أساليب العرب هو البلاغة التي هي أصل الإعجاز والمؤسسة على الاستعارة والمجاز،

لا ما يلتقط من خرزٍ –بالحدس الكاذب– من المشهورات وتختبئ في أصداف الآيات دون رضاها''.[32]

هذا النص محوج إلى قدر كبير من الأناة، والرفق؛ لأنه يؤصّل لجملة من المفاهيم البلاغية والنقدية، وسنحاول استجلاء معالم هذه المصطلحات، وتقديمها في خلاصات ظاهرة، ومن أبرزها:

البلاغة هي الحجة الدالّة على الإعجاز القرآنيّ، ووسيلة لكشف تفوق النظم القرآني على غيره من نظوم البشر.

١. الحدس الكاذب ليس وسيلة أمينة للكشف عن بلاغة القرآن، وبيانه؛ لأنه قائم على معرفة منحرفة تستنطق النص استنطاقاً فجًّا، وتقتحم أسواره دون إذْنٍ أو رضىً من الآيات القرآنية.

فالقراءة التي لا ترجع إلى أصل النص غير معتبرة؛ ذلك أن الاستئذان في مقاربة القرآن شرط لبلوغ الحقيقة، وهو استئذان تسوغّه طبيعة الخطاب القرآنيّ التي تحكمها قواعد الانضباط، والامتثال، والحزم.

وكأنّ النورسيّ أراد أن يقول: إن النص القرآنيّ ليس كلأً مباحاً، ولا نهباً لقراءات متناسلة لا نهائية تحرّكها نزوات الهوى الإيديولوجيّ، والنزعات الانعكاسية الضيقة، ورغبات الانتماء الفكريّ المريض؛ فالنص القرآنيّ منارة طاهرة لكل عاشق للحقيقة، ومريد للحجّةالناصعة.

والمستقرئ لأصول الممارسة التأويلية المعاصرة يلفي حرص الكثير من النقاد على ضرورة الاسترشاد بضوابط القراءة العادلة، والموضوعية للنص. ومن ثم يرى مصطفى ناصف أنه: ''حوربت رغبة بعض الناس في الهيمنة والتسلط على الكلمات، ونشأ الشعور بأن الكلمات لها حقوق وعليها واجبات، وما ينبغي أن يترك التوسع بلا ضابط أو رقابة أمينة''.[33]

قد لا يسمح المقام للاستفاضة في كثير من التفسيرات التراثية، والمعاصرة التي يحرّكها الحدس الكاذب؛ وهي كثيرة لا يدركها الإحصاء، ولا يحصرها الاستقصاء. ولعل بعض الشواهد تقوم دليلاً على أن العدول عن أصول البلاغة العربية إلى الإسقاطات المذهبية، والفكرية في تأويل النصوص جناية، وافتراء. ونسوق شاهداً من

حدس كاذب؛ بل بارد من افتراءات الباطنية والجهمية والرافضة. يقول ابن تيمية – رحمه الله– : ''من عجائب تحريفات الملاحدة الباطنية، كما يتأولون العلميات مع العمليات، ويقولون: الصلوات الخمس معرفة أسرارنا، وصيام رمضان كتمان أسرارنا، والحجّ هو الزيارة لشيوخنا المقدسين. وفتح لهم هذا الباب 'الجهمية'، و 'الرافضة' حيث صار بعضهم يقول: الإمام المبين علي بن أبي طالب، والشجرة الملعونة في القرآن بنو أمية ..... واللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين''.[34]

هذا هو الإسقاط المذهبيّ، والطائفيّ المقيت على آيات القرآن الكريم، وهي آيات واضحة الدلالة لا تحتاج إلى هذا التعسف، والإكراه والتحكّم. ولو ابتعد بعض هؤلاء المفسرين عن دائرة الحدس الكاذب، ونظروا نظرة حصيفة أمينة مبصرة لهذه الآيات لوجدوا أنها لا تخرج عن إطار أركان الدين الإسلاميّ، كما أنّ الشخصيات الإسلامية الطاهرة المذكورة على جلالة قدرها وعلو مقامها لها ارتباط ببيت النبوة الشريفة بمعزل عن هذا التوظيف السياسيّ والتاريخيّ.

ومما له دلالة في السياق أن تتحول طهارة الأبدان إلى العلم بالباطن، ورؤية هلال رمضان إلى كتمان الأئمة في وقت استتارهم، وغيرها من التفسيرات السقيمة الضالة.[35]

وقد يُفهم ضمنياً من تحذير النورسيّ من الحدس الكاذب في مقاربة النصوص القرآنية وجود حدس صادق أمين يروم كشف الحقيقة المتجلية في أسرار البلاغة، وخصائصها البيانية. وربما يكون من المفيد أن نشير إلى قضية مركزية لها نسب بالحدس بفرعيه. فهل يمكن الاستغناء عن ذواتنا في قراءة النصوص المختلفة؟ وما حدود التحكّم في كبح جماح الذات، وطغيانها، وجبروتها؟

الواقع أن هذه المعضلة النقدية طرحت في كثير من المقاربات التراثية، والمنهجيات الأدبية النقدية المعاصرة، والإجماع المسلَّم به أنه لا يمكن الاستغناء عن التدخل الشخصيّ في قراءة النصوص الأدبية خاصة، وبدرجة أقل بكثير في النصوص القرآنية. فما مشروعية هذا الحدس أو الاستبطان الذاتيّ؟

يجيبنا عن هذا الإشكال الناقد الحصيف مصطفى ناصف بقوله: ''كل الناس يسلّمون بأن الفهم رهن أفق خاص. لكن هذا الأفق ليس مطلق اليد ولا مستبداً، ولو قد أطعنا استبداد القوالب بنا لما حدث تغيير حقيقيّ في أنفسنا''.[36]

٢. فالحدس المشروع هو الذي ينضبط على أوامر النص، ويلتزم بحدوده دون استبداد أو استغلال لمكوناته، وتحويله لأغراض مذهبية منافية لروح النص، وهديه. ومن ثم فإن: ''المرء يستطيع أن يخرج بقدر هائل من الاستجابات لنص بعينه، هي استجابات قُهمت فهماً رديئاً، وغالباً ما تكون ساذجة على نحو لا يقبله العقل؛ وذلك عندما يُنتزع النص من سياقه ويُستخدم على أنه مجرد مثير لاستجابات ذاتية تلتمس بصورة مبهمة''.[37]

ومن المقرر في الدراسات الأسلوبية الحديثة أن الحدس المبهم هو الخلاصة الطبيعية لفحص لغويّ للنص يقصد تصيد عثراته دون الوفاء لمقاصده؛ وبهذا الاعتبار فإن الحدس الصادق هو إقحام للذات في فهم الكلمات دون أن يهيمن الأفق الخاص للقارئ على النص، ويتسلّط عليه، ويحرمه من المحاورة التأويلية المثمرة.

ولا جرم أن الحدس الصادق هو حدس مضيء مشرق يسعى جاهداً لقراءة النص في جو من الألفة والأنس بمعزل عن الإكراه الذي يمارسه الحدس الكاذب الذي لا يقدّر الحقيقة. فالفرق بين الحدسين هو: في القيمة الأخلاقية التي توجّه الممارسة التأويلية، وهناك بون شاسع بين قارئ يخضَع لصوت النص، وقرارته، وبين قارئ آخر يُخضِع النص لنزواته ورغباته؛ ومن ثم شدّد الكثير من نقاد العربية على التفرقة بين معالجة تتلذذ بالكشف عن سرّ العبارة بأدوات وفية صادقة، وبين معالجة فظّة غليظة تروم التقاط عيوبه، وتصيد هناته. ومن هذا المنطلق ذهب مصطفى ناصف إلى أنه: ''قد سُمي إخضاع الكلمات عند المفسرين المتخصصين باسم البدعة والكِبر والهوى. أي أنّ إخضاع الكلمات لغير ما تطيق عمل لا حظ له من الاستقامة والتعفف. [...] إنّ القدماء فرّقوا بين ما قد يُسمى الآن نمو الكلمات وتضخم الإحساس بالكلمات''.[38]

إن الشواهد القرآنية التي ساقها النورسيّ، وانتقاها لمشروع إثبات الحقائق الإيمانية، وتثبيتها في كليات رسائل النور تعضد إحساسه القويّ بضرورة التفرقة الحاسمة بين رؤية نقدية قوامها الإحساس الصادق بنمو الكلمات في فهم النص القرآنيّ، وبين الأحاسيس المضلّلة التي تضخّم الكلمات، وترغمها على الذوبان في فضاءات غريبة موحشة.

سادساً: مفهوم الحقيقة عند النورسيّ:

لا ريب أن الحقيقة صنو المجاز، وقسيمه كما هو مقرر في البلاغة العربية؛ إلا أن

مفهوم النورسيّ لها يتجاوز الإطار البيانيّ إلى الحقيقة الإلهية التي هي منبع كل حقيقة في هذا الوجود. وقد أعطى النورسيّ للحقيقة بعداً مجرداً. وفي هذا المعنى يقول: ''يجب أن يكون للمعنى الحقيقي ختم خاص وعلامة واضحة متميزة. والمشخّص لتلك العلامة هو الحسن المجرد الناشئ من موازنة مقاصد الشريعة''.[39]

فخصوصية المعنى الحقيقيّ نابعة من وحي الشريعة الإسلامية، وروح الوسطية والاعتدال؛ ومن ثم لا مكان للمعاني التي لا تنسجم مع حكمة الوحي. ويفسّر النورسيّ تفرّد الحقيقة بهذه الصفات المميزة في رحاب الحق حيث: ''إنّ معاني القرآن الكريم حق، كما أن صور إفادته للمعاني، بليغة ورفيعة. فمن لا يُرجع الجزئيات إلى ذلك المعدن ولا يلحقها بذلك النبع يكن من المبخسين حقه''.[40]

وليس من الغرابة أن نزعم في هذا المقام أن مفهوم الحقيقة كما يطرحه النورسيّ يتجاوز المفهوم النمطيّ إلى رؤية كونية شاملة تتخذ من القرآن المنبع الصافي لكل حقيقة؛ ذلك أن معاني القرآن حق لارتباطها بمصدر الوحي من جهة، ولتعلقها بالبيان، والبلاغة الرفيعة من جهة أخرى.

وإذا تقرر هذا، ظهرت الحاجة إلى تحديد موقع الحقيقة في تشكيل النسيج اللغويّ للعبارة القرآنية. فهل الحقيقة ركن هامشيّ في صناعة الكلام، وتركيبه؟ وهل يُشترط في كل خيال حضور عنصر الحقيقة؟

دفعاً لكل انزلاق في الممارسة التأويلية، وسداً لمسالك الوهم اشترط النورسيّ توظيف الحقيقة في كل تشكيل جماليّ أو فنيّ؛ إيماناً منه بأن البلاغة العربية لا تنهض إلا بالمزج بين الحقيقة والمجاز؛ ذلك أن الإغراق في المجاز دون الاتكاء على الحقيقة في أبسط تجلياتها يقود إلى الخرافة والوهم؛ لأنه يستحيل عملياً بناء الصورة الفنية دون عنصر الحقيقة، ومن ثم فإنّ إخفاء الحقيقة أو الاستغناء عنها تشويه لحقيقة الكون. ومن هنا يرى النورسيّ أنه: ''لو لم تكن في الكلام حقيقة ففي الأقل لا بد فيه من شبيه للحقيقة وما يستمد من نظامها والتسنبل على نواتها. ولكن لكل حبة سنبلها الخاص فلا تتسنبل الحنطة شجرة فإن لم تؤخذ فلسفة البيان بنظر الاعتبار، فالبلاغة تكون كالخرافة لا تغني السامع غير الحيرة''.[41]

فالخيال الذي هو القوة التركيبية بين الأشياء الحسّية المتفرقة في الواقع ينصهر في الأسلوب لمحاكاة حقائق الكون، ولا بد لهذا الخيال أن يتضمن قدراً من الحقيقة

تناسب مقداره؛ ذلك أن غياب الحقيقة هو إخفاء لحقائق الوجود؛ كما أنّ تضخيم الحقائق هو تغيير للحسن، وتبديل للجمال، ومن ثم: ''لا بد في كل خيال من نواة من حقيقة''.[42]

وعلى هذا الهدي نوضح أنّ الحقيقة شريكة المجاز في صنع العبارة القرآنية، ونسيجها، وهي حقيقة منسجمة مع الحقيقة الإلهية التي تعكس حقائق الكون؛ كما أن المجاز هو منبع البلاغة الرفيعة العالية التي هي أساس الإعجاز ومِلاكه وقِوامه. وقد خلُص النورسيّ إلى معادلة في غاية الإحسان والبيان مفادها: أن مزج الحقيقة بالبلاغة بوسيط الحدس الصادق يفضي إلى فهم العقيدة الإسلامية فهماً صحيحاً. وقد عبّر عن هذه المعادلة الكيميائية بقوله: ''امزج عنصر الحقيقة -قوة كبرى- وعنصر البلاغة -قوة صغرى- وامرر في المزيج الحدس الصادق الذي هو كشعاع الكهرباء. لينتج لك عنصر العقيدة المضيئة، وليمنح ذهنك استعداداً لفهمها''.[43]

لا يسعنا في هذا المقام إلا الإقرار في عدالة واعتدال بأن النورسيّ بلغ فضاء الاستبصار المعرفيّ، والروحيّ بصياغة هذه الخلاصة الجامعة التي تنّم عن قدرة تحليلية، وتركيبية عزّ نظيرها.

ويحسن بنا أن نقف عند مكونات هذا المزج الذي نراه قاعدة ثابتة يسترشد بها كل باحث عن الحقيقة النورانية. ولعل اللافت للنظر في هذا التركيب الكيميائيّ وسيط المزج الذي هو الحدس الصادق، وليس الكاذب؛ لأن مكونات هذا المجموع تستند إلى الإضاءة، والاستنارة، والإشراقة. فالحقيقة نور، والبلاغة نبراس، والحدس الصادق إشعاع، والعقيدة ضياء؛ فاجتمع نورالحقيقة بوهج البلاغة فسطعت شمس العقيدة الإسلامية. ويمكن بإيجاز توضيح مجموع هذه المعادلة وفق المخطط الآتي:

عنصر الحقيقة (قوة كبرى) + عنصر البلاغة (قوة صغرى) + الحدس الصادق (وسيط التفاعل).

عنصر العقيدة.

الخاتمة:

وجماع الرأي في هذه الدراسة أن النورسيَّ عالج موضوع الحقيقة، والمجاز من منطلقات بلاغية إيمانية، ولم يكتف بما ردّده القدماء في المسألة؛ وإنما ولج في عمق

إشكالية المجاز؛ مستأنساً برؤية كونية شاملة تعكس وعيه المعرفيّ بأبعاد المجاز النقدية، والبلاغية، والسياسية، والفكرية. بيد أن ضخامة كليات رسائل النور، وقلة البضاعة، وكثرة الإضاعة حالت دون الأماني، فأرجو العفو عن القصور. فالرسائل بحر لا ساحل له، ولو استقصينا آراءه كاملة لأدت الدراسة إلى الإسهاب -والله أعلم بالصواب-، ويمكن أن نستخلص من هذا البحث سبع ملاحظات:

١. يقوم البناء النصيّ للقرآن الكريم من منظور النورسيّ على دعامتين: الحقيقة والمجاز.
٢. العلم بالمجاز أداة لحفظ الدّين من الخرافة، والوهم.
٣. مراعاة قواعد البلاغة العربية، وسننها شرط في صحة المجاز، وصوابه.
٤. يشترط في سلامة المجاز مراعاته لمقاصد الشريعة الإسلامية.
٥. الوفاء للحقيقة نواة كل مقاربة بلاغية، والقدر اليسير من الحقيقة ضروريّ في بناء العبارة القرآنية، والشعرية.
٦. الحدس الصادق، والإحساس النبيل شرط في فهم المجاز، ووسيلة عاصمة من الانزلاق في متاهات التأويل المذهبيّ والطائفيّ.
٧. الحدس الكاذب انحراف عن شرف الفضيلة البلاغية، ونبل المقاصد الإيمانية.

والله الموفق للصواب، والمرشد للحق.

* * *

مصادر البحث ومراجعه:

١- القرآن الكريم، مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبيّ.

٢- ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وساعده ابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، عام ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م للاستزادة في موقف ابن تيمية من المجاز. ينظرالدراسة القيّمة التي أنجزها الباحث عبد العظيم المطعني، بعنوان: ''المجاز في اللغة والقرآن بين الإجازة والمنع عرض وتحليل ونقد''، مكتبة وهبة، القاهرة [د ت]. والتحقيق أن هذه الدراسة من أعمق الدراسات التي تناولت موقف ابن تيمية من المجاز بمعزل عن الشحن العاطفيّ أوالتعصب المذهبيّ؛ بل إن الباحث تتبع آراء ابن تيمية، وغيره من العلماء تتبعاً في منتهى التدقيق، وناقشها مناقشة العالم المتواضع الذي يسعى للكشف عن الحقيقة العلمية لاغير.

٣- ابن القيم الجوزية، أعلام الموقعين عن ربّ العالمين، تحقيق وضبط عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب

الحديثة، [د. ت].
٤- أبو حامد الغزالي، فضائح الباطنية، حقّقه وقدّم له عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت، [د. ت].
٥- التهانويّ، موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة رفيق العجم، تحقيق علي دحروج، نَقل النص الفارسيّ إلى العربية عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية جورج زيناتي، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦م، الطبعة الأولى.
٦- بدر الدين بن جماعة، تذكرة السّامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلّم، حَقّق نصوصه وخَرّج أحاديثه وعلّق عليه عبد السّلام عمر علي، تحقيق مكتب الضياء لتحقيق التراث، مكتبة ابن عباس، مصر، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، الطبعة الأولى.
٧- بديع الزمان سعيد النورسيّ، كليات رسائل النور، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، مصر، ٢٠٠٢م، الطبعة الثالثة.
٨- بديع الزمان سعيد النورسيّ، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، مصر، ٢٠٠٢م، الطبعة الثالثة.
٩- بديع الزمان سعيد النورسيّ، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلرللنشر، مصر، ٢٠٠١م، الطبعةالثالثة.
١٠- روبرت هولب، نظرية التلقي، ترجمة عز الدين إسماعيل، النادي الأدبي الثقافي بجدة، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٤م، الطبعة الأولى.
١١- عبد العظيم المطعني، المجاز في اللغة والقرآن بين الإجازة والمنع عرض وتحليل ونقد، مكتبة وهبة، القاهرة [د, ت].
١٢- عبد القاهر الجرجانيّ (ت ٤٧١هـ)، كتاب أسرار البلاغة، قرأه وعلّق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، [د. ت].
١٣- محمد بن علي بن محمد الجرجانيّ (٧٢٩هـ)، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، ١٤١٨ه-١٩٩٧م.
١٤- محمد مفتاح، مجهول البيان، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٠م، ط ١.
١٥- مصطفى ناصف، اللغة والتفسير والتواصل، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير ١٩٩٥م.

* * *

الهوامش:

[1] أستاذ البلاغة والأسلوبية بقسم اللغة العربية، بجامعة نجران بالمملكة العربية السعودية.

[2] القائلون بالمجاز وفق ضوابط صارمة مانعة من الانزلاق في متاهات التّشبيه والتعطيل والتجسيم، ومنهم بعض البلاغيين واللغويين والنقاد؛ وعلى رأسهم شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجانيّ [ت ٤٧١هـ]، وخطيب أهل السنة والجماعة ابن قتيبة الدينوري [ت ٢٧٦هـ]. وسنتناول لاحقاً رأي عبد القاهر الجرجاني – رحمه الله –، وسوف نجلي هذا في موضعه من البحث.

[3] المفْرِطون بالقول في المجاز كالباطنية والجهمية وغلاة الشيعة، ومن لفّ لفهم وجرى مجراهم من الفِرق التي عمّقت من طرح إشكالية المجاز، وسلكت فيها مسلك الانحراف العقديّ، واللغويّ، والفنيّ.

[4] الدائرة الأولى يمثّلها المانعون للمجاز وعلى رأسهم: داود الظاهريّ وابنه محمد، وأبو إسحاق الإسفرائينيّ، وهؤلاء جميعاً لا نجد لهم مصنفاً جامعاً يكشف عن رؤيتهم؛ وإنما هي آراء نقلت عنهم، أو رويت عن بعضهم. ولعل قطب الرحى في هذه الدائرة شيخ الإسلام ابن تيمية [ت ٧٢٨هـ] في كتابيه: (الإيمان)، (ومجموع الفتاوى)، وتلميذه ابن قيم الجوزية [ت ٧٥١ هـ] في كتابه: (الصواعق).

وقد لا يسمح المقام بالاستفاضة في تحرير رأي ابن تيمية بوصفه حامل لواء المانعين كما بدا لكثير من الباحثين؛ وحسبنا إبداء الملاحظات الآتية على مقاربته للمجاز -رحمه الله-:

١- من الإنصاف والعدل، والالتزام بالفضيلة العلمية، والخُلقية أن نشير إلى أن معالجة كثير من الباحثين قديماً، وحديثاً لموقف ابن تيمية من المجاز فيه ميل عن الموضوعية؛ ولعل منشأ هذا المسلك المجافي للحقيقة العلمية القفز على الدواعي الحقيقية التي جعلت ابن تيمية يستفرغ طاقته المعرفية والدينية والكلامية في منع المجاز وهي أسباب إذا نُظر إليها بعين البصيرة كشفت الأستار عن حقيقة موقف شيخ الإسلام. ويقف على رأس هذه الأسباب الحرص الشديد على سلامة العقيدة، ونقائها من الضلال والزيغ في جو مشحون بالفِرق المبتدعة كالباطنية والجهمية والرافضة، وغلاة الصوفية والشيعة الذين استباحوا النص القرآنيّ، واتخذوه وسيلة للدفاع عن معتقداتهم الفاسدة، وتزييف وعي الأمة الإسلامية بتأويلات ممجوجة واضحة الفساد، بيّنة الاستبداد.ويشهد على هذا الرأي أن تلميذ ابن تيمية ابن قيم الجوزية أفرد الفصل الرابع من كتابه: "إعلام الموقّعين عن رب العالمين"لموضوع التأويل سمّاه: "التأويل عدو كل الأديان". وأكبر الظن أن في هذه التعميم ما يوحي بحجم الضرر العقدي والمعرفيّ، والإنسانيّ الذي تسبّبت فيه بعض الفِرق المبتدعة.

٢- لا جرم أن القراءة العادلة لمصنّفات ابن تيمية تؤكد تردّده في الفصل بين المنع والإجازة؛ وهو تردد ينبغي أن يفهم في السياق الحضاريّ، والمعرفيّ، والسياسيّ الذي احتضن هذه المؤلفات الشامخة شموخ ابن تيمية – رحمه الله –؛ فهو وإن لم يصرّح بلفظ جواز المجاز؛ فإن الكثير من عباراته في كتابيه: الإيمان، والفتاوى لا يمكن فهمها إلا في رحاب جواز المجاز، وإن تحرّج من القول بذلك صراحة؛ ولعل هذا التحرّج الدينيّ له ما يزكّيه، ويعضده بالنظر إلى حجم الانزلاق العلميّ والكلاميّ الذي صاحب الكثير من التأويلات الباردة النافرة في زمانه.

٣- من مكامن القصور في مقاربة ابن تيمية لمعضلة المجاز أنه تناولها في إطارها العقديّ الضيق، ولا تثريب عليه في ذلك -كما تقدم تقريره -؛ ولم ينظر إلى المجاز بوصفه وسيلة أسلوبية، وجمالية كاشفة عن أسرار التعبير القرآنيّ، وإعجازه.

[5] بديع الزمان سعيد النورسيّ، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلرللنشر، مصر، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٢ م، ص: ٤٠. ولقد تردّد مفهوم الجهل في حديث النورسيّ عن المجاز في كليات رسائل النور في موضع آخر بالعبارة نفسها مع زيادة لفظية مفيدة فيقوله: "إذا وقع المجاز من يد العلم إلى يد الجهل، ينقلب إلى حقائق مادية، ويفتح الباب إلى الخرافات". المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، بمصر، ٢٠٠١م، الطبعة الثالثة، ص: ٦٠٦.

[6] عبد القاهر الجرجانيّ، كتاب أسرار البلاغة، قَرأه وعلّق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، [د. ت]، ص: ٣٩٣ .

[7] المصدر نفسه، ص: ٣٩١

[8] المصدر نفسه، ص: ٣٩١

[9] بديع الزمان سعيد النورسيّ، كليات رسائل النور، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلرللنشر، مصر، ٢٠٠٢ م، الطبعة الثالثة، ص: ٢٦.

[10] ينظر هامش ص: ٢٦ من كلام محقق إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز

[11] محمد مفتاح، مجهول البيان، دار توبقال، الدارالبيضاء، المغرب، ١٩٩٠، ط١، ص: ٩٩.

[12] بديع الزمان سعيد النورسيّ، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ص: ٤١ .

[13] المصدر نفسه، ص: ٤١.

[14] المصدر نفسه، ص: ٤١.

[15] المصدر نفسه، ص: ٩٤.للإحاطة الشاملة برأي النورسي ّفي أثرالفلسفة اليونانية في البلاغة العربية. ينظر كتابه: صيقل الإسلام، ص: ٩٧.

[16] بدر الدين بن جماعة، تذكرة السّامع والمتكّلم في أدب العالِم والمتعلّم، حَقّق نصوصه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه عبدالسّلام عمرعلي، تحقيق مكتب الضياء لتحقيق التراث، مكتبة ابن عباس، مصر، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، الطبعة الأولى، ص: ١٣٠- ١٣١.

[17] بديع الزمان سعيد النورسيّ، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ص: ٤٢، ٤٣.

[18] المصدر نفسه، ص: ٤٦.

[19] المصدر نفسه، ص: ٤٦.

[20] المصدرنفسه، ص: ٤٦-٤٧.

[21] المصدر نفسه، ص: ٤٧.

[22] عبد القاهر الجرجانيّ، كتاب أسرار البلاغة، ص: ٣٩٣.

[23] الراغب في الاستزادة في التعرف إلى رأي بديع الزمان سعيد النورسي في الرد على الظاهريين في المسائل الكلامية والعقدية الاستعانة بكتابه: صيقل الإسلام، ص: ٨٨، ٨٩.

[24] بديع الزمان سعيد النورسيّ، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ص: ٨٩- ٩٠.

[25] المصدر نفسه، ص: ٩٠.

[26] محمد بن علي بن محمد الجرجانيّ، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق عبد القادرحسين، مكتبة الآداب، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ص: ١٨٥. والمقصود بالنِسب في نص الجرجانيّ: الاستعارة –نِسبة السبب إلى المُسبب– نِسبة الكل إلى الجزء –نسبة اللازم إلى الملزوم– نِسبة المطلق إلى المقيد –نسبة العام إلى الخاص– نسبة الناقص إلى الزائد –نسبة الحال إلى المحل– نسبة الشيءإلى غير زمانه –نسبة الشيء إلى ضده– نسبة المصدر إلى فاعله– نسبته إلى مفعوله. ينظرالإشارات والتنبيهات، ص: ١٨٥-١٨٦.

[27] بديع الزمان سعيد النورسيّ، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ص: ٩٠. للتوسّع في تفسير النورسي لبعض الآيات القرآنية تفسيراً بلاغياً، وجماليا ينظر كتابه: صيقل الإسلام، ص: ٨٧، ٩١، ٩٢؛ ففي هذه الآيات إشراقات بيانية، وتخريجات فنية مشبعة لمن رام الوقوف على أسرار الإعجاز البيانيّ في القرآن الكريم.

[28] للإحاطة الشاملة بمفهوم المحاكاة في توجيه الآية الرجوع إلى صيقل الإسلام، ص: ٩١.

[29] بديع الزمان سعيد النورسيّ، صيقل الإسلام، ص: ٩٢.

[30] المصدر نفسه، ص: ٩٣. يقترح النورسيّ مفهوماً آخر لقرينة المجاز؛ وهي الاستقراء التام الذي يشهد بحقيقة

ناصعةعلى دقة الخالق فيصنع مخلوقات الكون. ينظر صيقل الإسلام، ص: ٩٣

[31] التهانويّ، موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة رفيق العجم، تحقيق علي دحروج، نَقلا لنص الفارسيّ إلى العربية عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية جورج زيناتي، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦ م، الطبعة الأولى، الجزء الأول أ- ش، ص: ٦٢٦.

[32] بديع الزمان سعيد النورسيّ، صيقل الإسلام، ص: ٨٢ .

[33] مصطفى ناصف، اللغة والتفسير والتواصل، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير ١٩٩٥م، ص: ٧٣.

[34] ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بنقاسم وساعده ابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربيةالسعودية، عام ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، المجلد الخامس، ص ٥٥١ .

[35] للمزيد من التبحّر في تفسيرات الفِرق المبتدعة ينظر كتاب: فضائح الباطنية، لأبي حامد الغزاليّ، حقّقه وقدّم له عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت، [د.ت]. فقد أفرد أبو حامد الغزاليّ –رحمه الله- الباب الخامس بعنوان: ''في إفساد تأويلاتهم للظواهر الجلية واستدلالاتهم بالأمور العددية''.

[36] مصطفى ناصف، اللغة والتفسير والتواصل، ص: ١٥٠

[37] روبرت هولب، نظرية التلقي، ترجمة عزّ الدين إسماعيل، النادي الأدبي الثقافي بجدة، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٤م، الطبعةالأولى، ص: ٣١٥.

[38] مصطفى ناصف، اللغة والتفسير والتواصل، ص: ٧٤.

[39] بديع الزمان سعيد النورسيّ، صيقل الإسلام، ص: ٤١ .

[40] المصدر نفسه، ص: ٨٥.

[41] المصدر نفسه، ص: ١٠٨. يقول النورسيّ –رحمه الله– مبرزاً أثر الحقيقة في الخيال: ''اعلم! أن الخيال المندمج في أسلوب لابد أن يتسنبل على نواة حقيقة، ويكون كالمرآة في أن ينعكس به –في المعنويات– القوانين والعلل المندرجة في سلسلة الخارجيات''. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص: ١٢٣ .

[42] بديع الزمان سعيد النورسيّ، صيقل الإسلام، ص: ١٠٠.

[43] المصدر نفسه، ص: ١١٦.

النورسى رجل الحوار والإقناع
أو فصل المقال، فيما بين الحوار والحجاج والاختلاف من اتصال

-ABSTRACT-

al-Nursi, Man of Dialogue and Persuasion or Apposite Discourse, on the Link Between Dialogue, Argument, and Opposition

Prof. Dr. Abu Bakr al-'Azawi

This research aims to highlight the importance of dialogue and persuasion and their relevance to disagreement , unity and agreement through the Risale-i Nur Collection. This research will try to answer the following questions: What is dialogue? What is its role and importance? What is its relationship to debate and to the qualities of persuasion and disagreement? How do we deal with all its different types and patterns? How do we solve the problems how do we deal with internal and external crises? Do we deal with them using persuasion, communication and dialogue, or by severing relations and rivalry? Was Nursi a man of dialogue and persuasion? What is his position on controversy and disagreement? What is the vision of our relationship with the West and/or non-Muslims? What are the principles underlying his position? What support did he offer from the Koran and the Hadith? These questions are the tip of the iceberg that this research will try to tackle.

- ملخص البحث -

أ.د. أبو بكر العزاوي[1]

يهدف هذا البحث إلى إبراز أهمية الحوار والإقناع وصلتهما بالاختلاف والوحدة والاتفاق من خلال رسائل النور. وحاول الباحث أنْ يجيب عن الأسئلة الآتية: ما هو الحوار؟ ما دوره وأهميته؟ وما علاقته بالحجاج والإقناع والاختلاف؟ كيف نتعامل مع الاختلاف بكل أنواعه وأنماطه؟ وكيف نواجه المشاكل والأزمات الداخلية والخارجية؟ هل نواجهها بالإقناع والتواصل والتحاور، أم نواجهها بالتقاطع والتنابذ؟ هل كان النورسي رجل حوار وإقناع؟ ما هو موقفه من الخلاف والاختلاف؟ وما هو تصوره لعلاقتنا بالغرب أو بغير المسلمين؟ ما هي المبادئ التي يقوم عليها موقفه؟ وما سند ذلك من القرآن الكريم والحديث النبوي؟ هذه الأسئلة -وهي غيض من فيض- هي ما سيحاول هذا البحث الإجابة عنها أو عن بعضها ولو بشكل جزئي.

أولا: معنى الحوار وأهميته:

١- معنى الحوار:

الحوار فعالية خطابية، وهو الأصل في الكلام، ويرى المنطقي السويسري الشهير جان يليز غريز (J.B.Grize) أن كل خطاب هو حوار، سواء أكان هذا الحوار مباشرا أم غير مباشر، صريحا أم مضمرا. وهو يرى أن الجملة الشارحة لأي قول: ''ق'' ليست هي: (أقول: ''ق'') ولكن هي: (أقول لك: ''ق'').[2] ولأهمية الحوار وفوائده الكبرى في تحقيق التواصل والتفاعل وحل المشاكل وتدبير الاختلاف، فقد وجدنا الباحثين يهتمون به في كل المجالات الفكرية والعلمية والثقافية.

٢- أهمية الحوار:

لقد أصبح الحوار ضرورة ماسة يقتضيها التعدد اللغوي والتنوع الثقافي واختلاف المصالح الاقتصادية والسياسية، وأضحى اللجوء إليه أساسيا لحل المشاكل والأزمات الدولية العديدة وإدارة الصراعات الحضارية القائمة وتدبير الاختلافات الداخلية والخارجية. ومن هنا أصبحت بعض العبارات كثيرة الاستعمال، متّسعة الرواج في عصرنا هذا من قبيل: حوار الحضارات، حوار الشمال والجنوب، الحوار الإسلامي المسيحي، الحوار العربي الأوربي، الحوار الاجتماعي، المفاوضات وغيرها. فحيث يكون الاختلاف والصراع والصدام والنزاع، ينبغي أن يكون الحوار والنقاش والتفاوض والإقناع.

والإنسان كائن حواري يحيا بالحوار وداخل الحوار، والدليل على أهمية الحوار أن القرآن كله ذو طبيعة حوارية، والحوار كان هو الأسلوب الذي اتبعه الأنبياء في الدعوة والتبليغ والتعليم والإرشاد.[3] لقد عني القرآن الكريم عناية كبيرة بالحوار لأنه الأسلوب الأفضل للإقناع.

٣- الحوار في الأصول الإسلامية:

أورد القرآن الكريم نماذج عديدة من الحوار نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر: حوار الله عز وجل مع الملائكة، حواره عز وجل مع إبراهيم الخليل، وحوار نوح عليه السلام مع قومه، حوار إبراهيم الخليل مع النمرود، قصة صاحب الجنتين، قصة المجادلة... الخ. والسنة النبوية والسيرة العطرة زاخرتان بالنماذج الحوارية الرائعة التي حاور فيها الرسول صلى الله عليه وسلم قومه وحاجهم.

ثانيا: موقف بديع الزمان سعيد النورسي من الحوار

نتساءل في المستهل، ترى هل كان النورسي رجل حوار وإقناع؟ نعم إنه كان كذلك. إنه كان يدعو إلى الحوار والتواصل والحجاج والإقناع، وكان في الوقت نفسه يحاور ويحاجج، يقنع ويقتنع، يتفاعل ويتواصل، ويتحاور مع الذات ومع الغير، مع الطلاب والعلماء، مع المسلمين وغير المسلمين، مع الحكام والمحكومين.

إذا كان النورسي رجلا قرآنيا وكان منهجه بالتالي هو منهج القران، وإذا كان القرآن الكريم قد عني عناية فائقة بالحوار، فكيف لا يكون النورسي رجل حوار، وكيف لا تكون رسائل النور حوارية في منهجها وأسلوبها وهي تفسير قيم للقرآن الكريم.

إن المرجعية القرآنية والحديثية، كما أشرنا إلى ذلك في بحث سابق،[4] حاضرة في رسائل النور حضورا قويا وبارزا، نكاد نلمسها في كل قول وفي كل شرح أو تفسير.

١- يستشف دارس رسائل النور أنّنا أمام نص استلهم معانيه ومقاصده من القرآن الكريم، وموضوع الحوار في الرسائل لم بمنأى عن هذه الخصيصة، ذلك أنّ من درس رسائل النور بعمق وتمعن يتوصل إلى النتائج التالية:

أ- المدقق في رسائل النور يلاحظ أنّها ذات بنية حوارية واضحة، إنّها بعبارة أخرى، مجموعة من الحوارات المباشرة وغير المباشرة، الحوارات الصريحة أو المضمرة، الحوارات المنجزة الفعلية أو المفترضة المتخيلة.

ب- الحوار في رسائل النور له أشكال عديدة وأنماط متنوعة، فقد جاء تارة على شكل مناجاة أو مونولوغ Monologue (حوار مع النفس)، وجاء تارة أخرى على شكل مكاتيب ومراسلات مع الطلاب (الملاحق). وقد جاء أيضا على شكل مناظرة أو مناقشة أو نقد أو جوابا عن أسئلة.

ج- اشتملت رسائل النور على معجم حواري ثري. فنحن نجد فيها مصطلحات كثيرة من قبيل: الحوار، المحاورة، النقاش، الجدال، المناقشة، المناظرة، المذاكرة، الإقناع، الاقتناع، المناجاة، التشاور، الرسائل، المكاتيب، الأسئلة والأجوبة، الخطاب، إلى غير ذلك.

د- المؤشرات الحوارية التي تدل دلالة أكيدة على أن رسائل النور هي مجموعة من الحوارات، ميزتها الكثرة والتنوّع.

٢- مميزات مجموعة حوارات رسائل النور:

أ- هناك مجموعة من العبارات أو على الأصح مجموعة من العناوين الفرعية الداخلية التي ترد في مطلع بعض الفقرات أو المباحث من قبيل: حوار في رؤيا، حوار مع الشخصية المعنوية لأوربا، حوار مع المؤمنات أخوات الآخرة، حوار مع النفس، حوار مع فريق من الشباب، محاورة مع نفسي، محاورة مع وزير العدل والحكام الذين لهم علاقة برسائل النور، خطاب إلى أوربا، خطاب إلى الذين يغالون في العنصرية... الخ.

ج- العبارات الإشارية الإحالية، أي الضمائر وظروف الزمان والمكان، وأيضا لفظ القول بمشتقاتها، وألفاظ أخرى من قبيل: اعلموا، تعلمون، وتعابير مثل: إخوتي الأعزاء، أخي العزيز المحترم، أيها الإنسان ويا نفسي... الخ.

٣- نماذج من الحوارات في رسائل النور:

ويمكن أن نورد في هذه العجالة نماذج من الحوارات التي تزخر بها رسائل النور، منها على سبيل المثال لا الحصر.

أ- نبدأ بهذا النموذج الذي يخاطب فيه الشخصية المعنوية لأوربا، وبالضبط أوربا الثانية، غير النافعة للبشرية. يقول النورسي: ''يا أوربا الثانية، اعلمي جيدا أنك قد أخذت بيمينك الفلسفة المضلة السقيمة، وبشمالك المدنية المضرة السفيهة، ثم تدعين أن سعادة الإنسان بهما. ألا شلت يداك، وبئست الهدية هديتك، ولتكن وبالا عليك، وستكون. أيتها الروح الخبيثة التي تنشر الكفر وتبث الجحود، ترى هل يمكن أن يسعد إنسان بمجرد تملكه ثروة طائلة، وترفله في زينة ظاهرة خادعة، وهو المصاب في روحه وفي وجدانه وفي عقله وفي قلبه بمصائب هائلة؟ وهل يمكن أن نطلق عليه أنه سعيد؟ (...) فأي سعادة يمكنك أن تضمني لمثل هذا المسكين الشقي؟ وهل يمكن أن يطلق لمن روحه وقلبه يعذبان في جهنم، وجسمه فقط في جنة كاذبة زائلة، أنه سعيد؟''[5]

ب- يحاور أوربا الثانية ليدفعها إلى مراجعة نفسها وللقيام بنقد ذاتي تكون الغاية منه العمل على إسعاد الإنسان روحا وجسما. وهناك أيضا الحوار الذي أجراه مع بطريرك الروم ''آشنو كراس'' سنة ١٩٥٣ في الاحتفال الذي أقيم بإسطنبول بمناسبة مرور خمسمائة عام على فتحها. وقد التقى النورسي، في هذا الاحتفال، ببطريرك الروم، فجرى بينهما الحوار التالي:[6]

- سعيد النورسي: يمكن أن تكونوا من أهل النجاة يوم القيامة إذا آمنتم بالدين النصراني الحق بشرط الاعتراف بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالاعتراف بالقرآن الكريم كتابا من عند الله.

- البطريرك: إنني أعترف بذلك.

- سعيد النورسي: حسنا، فهل تعلنون ذلك أمام الرؤساء الروحانيين الآخرين؟

- البطريرك: أجل إنني أقول ذلك ولكنهم لا يقبلون.

ليس بإمكان النورسي وهو الذي آمن بأهمية الحوار واتخذه أسلوبا في الحياة للتواصل مع الغير، ومسلكا في حل المشاكل وتدبير الاختلاف إلا أن يحاور ويحاور باستمرار، ولقد حاور كل الفئات والطوائف البشرية، وحاور أصحاب الديانات التوحيدية المختلفة. وهو هنا يحاور -من خلال بطريرك الروم- أتباع النصرانية الحقيقية مركزا على عناصر الوحدة والاتفاق، وكأني بالنورسي يطبق قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾،[آل عمران:٦٤] وقوله عز وجل في سورة العنكبوت: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.[العنكبوت:٤٦]

ج- تشتمل رسائل النور، إلى جانب هذه الحوارات التي أجراها النورسي مع الآخر، الذي نختلف معه فكريا أو عقديا أو ثقافيا، على نمط آخر من الحوار، إنّه الحوار البيداغوجي التعليمي، ونقصد به الحوارات التي كان يجريها باستمرار مع طلبته والتي تضمنها المجلد السابع من رسائل النور: ''الملاحق في فقه دعوة النور''.

هذه الملاحق عبارة عن مجموعة مكاتيب جرت بين الأستاذ النورسي وطلابه الأوائل، وطابعها العام توجيهي إرشادي يبيّن أهمية رسائل النور ومنهجها في الدعوة إلى الله في هذا العصر، وتكتنفها مكاتيب ودية يبين فيها الطلاب مدى استفاضتهم الروحية من رسائل النور واستفادتهم العقلية منها وكيف أنها حولت مجرى حياتهم وفتحت أمامهم آفاقا معرفية واسعة.[7]

ثم إنه كان يأخذ بمنطق الأولويات وبمبدأ السياق، فحاور أوربا النافعة وحاور النصرانية الحقة وحاور المدنيين من غير المسلمين مستندا إلى الدليل العقلي والنقلي، ومستندا إلى الحجاج وقوة الإقناع.

٤- شروط الحوار في رسائل النور:

ثم إننا وجدنا النورسي يضع لنا قواعد الحوار والمناقشة وضوابطهما بعد أن أثير نقاش وجدال حول صحة أحد الأحاديث يقول: ''إن الشرط الأول في مناقشة هذه المسائل وأمثالها هو: أن تكون المذاكرة في جو من الإنصاف وأن تجري بنية الوصول إلى الحق.. وبصورة لا تتسم بالعناد.. وبين من هم أهل للمناقشة.. دون أن تكون وسيلة لسوء الفهم وسوء التلقي. فضمن هذه الشروط قد تكون مناقشة هذه المسألة وما شابهها جائزة. أما الدليل على أن المناقشة هي في سبيل الوصول إلى الحق فهو: أن لا يحمل المناقش شيئا في قلبه.. ولا يتألم ولا ينفعل إذا ما ظهر الحق على لسان الطرف المخالف له، بل عليه الرضى والاطمئنان، إذ قد تعلم ما كان يجهله، فلو ظهر الحق على لسانه لما ازداد علما وربما أصابه الغرور. ثانيا إن كان موضوع المناقشة حديثا شريفا فينبغي معرفة مراتب الحديث.. والإحاطة بدرجات الوحي الضمني وأقسام الكلام النبوي. ولا يجوز لأحد مناقشة مشكلات الحديث بين العوام من الناس.. ولا الدفاع عن رأيه إظهارا للتفوق على الآخرين ولا البحث عن أدلة ترجح رأيه وتنمي غروره على الحق والإنصاف''.[8]

ومعلوم أن الحوار له قواعد وضوابط لغوية وتأدبية وأخلاقية. وهناك نظريات ونماذج حوارية عديدة طرحت في هذا المجال،[9] نذكر منها نظرية التعاون الحواري (la coopération conversationnelle) لبول غرايس (P. Grice) ومفادها أن الحوار لا يتم بين شخصين إلا إذا تعاونا على إنجازه، وقد ركزت بالخصوص على القواعد اللغوية التي تتعلق بِكَم الخبر وكيفه وجهته ومناسبته، وهناك أيضا نظريات كل من روبين لايكوف (R. Lakoff) وليتش (Leech) وبراون ولفنسن التي أبرزت لنا كثيرا من القواعد التأدبية الأخلاقية، ثم إن التراث العربي الإسلامي زاخر بالمباحث والمصنفات التي تعالج ضوابط الحوار وآدابه.

وقد اقترح النورسي في النص السابق مجموعة من القواعد الحوارية نذكر بعضها - بعد إعادة صياغتها- على سبيل التمثيل:

أ- قاعدة الشمولية، ونجدها في قوله (ينبغي معرفة مراتب الحديث... والإحاطة بدرجات الوحي الضمني وأقسام الكلام النبوي).

ب- قاعدة التأدب: فالمناقشة لا ينبغي أن تتسم بالعناد، وأن تجري في جو من الإنصاف.

ج- قاعدة الورود أو المناسبة: أن تكون المذاكرة في المسائل المتخصصة بين من هم أهل للمناقشة، أي أن نأخذ بعين الاعتبار مسألة السياق والمقام، فلكل مقام مقال كما يقال.

د- القاعدة المتعلقة بالهدف والغاية من الحوار، فالمناقشة ينبغي أن تجري بنية الوصول إلى الحق، وأن يكون هناك تعاون حواري فعلي من أجل تحقيق هذا الهدف المنشود والغاية المرجوة.

وقد فصل النورسي القول بخصوص القاعدة الثالثة فقال: ''ولكن لما كانت المسألة قد طرحت، وأصبحت مدار نقاش، فستؤدي تأثيرها السيء في أفهام العوام الذين يعجزون عن استيعاب أمثال هذه الأحاديث المتشابهة، إذ لو أنكرها أحدهم فقد فتح لنفسه بابا للهلاك والخسران، حيث يسوقه هذا الإنكار إلى إنكار أحاديث صحيحة ثابتة، ولو قبل بما يفيد ظاهر الحديث من معنى، وتحدث به ونشره بين الناس، فسيكون سببا لفتح باب اعتراضات أهل الضلالة على الحديث الشريف، وإطلاق ألسنتهم بالسوء عليه، وقولهم: إنه خرافة''.[10]

والحديث الشريف الذي أثار الإشكال هو الذي يذكر فيه أن سيدنا موسى عليه السلام لطم عين سيدنا عزرائيل عليه السلام، فهل ننكر الحديث أم نأخذ بظاهر المعنى أم نؤول، أي نبحث عن معنى ضمني سياقي، وهذه المسألة تندرج هي الأخرى ضمن قواعد الحوار والنقاش العلمي.

ولهذا يقول النورسي: ''لا ينبغي فتح باب المناقشة في الأمور الفرعية الجزئية التي تسبب الخلاف''.[11]

ثالثا: الحوار والاختلاف في رسائل النور:

١- صلة الحوار بالاختلاف:

لقد قلنا آنفا إن الأصل في الكلام الحوار، ونقول الآن إن الأصل في الحوار الاختلاف فلولا الاختلاف ما كان الحوار ولولا الحوار ما كان الكلام. ومعنى هذا أن ثمة علاقة وثيقة بين الحوار والاختلاف، ونحن نلجأ إلى الحوار والإقناع لرفع الخلاف وتدبير الاختلاف وتحقيق الاتفاق.

الاختلاف ظاهرة طبيعية وسنة كونية، والناس مختلفون في كل شيء لاختلاف مصالحهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية.

٢- كلمة الاختلاف في المصادر الأصلية:

لقد وردت كلمة الاختلاف في القرآن الكريم أكثر من ثلاثين مرة وبصيغ لغوية متعددة، وقد ألف العلماء الأقدمون والمحدثون مصنفات عديدة في موضوع الاختلاف، وبينوا فيها أنماطا عديدة منه. فهناك من تحدث عن الاختلاف المشروع والاختلاف الممنوع، وهناك من قسم أنواع الاختلاف إلى ثلاثة: اختلاف تضاد واختلاف تنوع واختلاف أفهام. وما يعنينا هنا بالخصوص هو العلاقة القائمة بين الحوار والاختلاف والإقناع والاتفاق والسعي إلى الوصول إلى الحقيقة.[12]

٣- أنواع الاختلاف في رسائل النور:

أشار النورسي إلى أنواع عديدة من الاختلاف:

أ- أوربا النافعة وأوربا الفاسدة.
ب- النصرانية الحقيقية والنصرانية الزائفة.
ج- المدنية والهمجية.
د- المسلمون والأجانب.
هـ- المذاهب المختلفة.
و- الخلاف والاختلاف.
ح- الاختلاف والاتفاق.
ط- الاختلاف الإيجابي والاختلاف السلبي.
ي- الخلاف الداخلي والاختلاف الخارجي.
ص- الضروريات والفرعيات... الخ.

تعامل مع كل نمط تعاملا خاصا، فأيّد الاختلاف الإيجابي وحارب الاختلاف السلبي وبيّن أهمية الوحدة والاتحاد والاتفاق، ودعا إلى تدبير الاختلاف بالحوار والحجاج والإقناع وخاصة عندما يتعلق الأمر بالمدنيين من غير المسلمين.

ولنأخذ هذا النص الجميل الذي يذكر فيه بعض فوائد الاختلاف، ويبين فيه الفرق بين الاختلاف الإيجابي والاختلاف السلبي، فيقول: "الاختلاف يقتضي التفرق والتحزب والاعتداد بالرأي. ولكن داء التفرق والاختلاف هذا فيه وجه من الرحمة لضعفاء الناس من العوام، إذ ينقذهم من تسلط الخواص والظلمة الذين إذا حصل بينهم اتفاق في قرية أو قصبة اضطهدوا هؤلاء الضعفاء ولكن إذا كانت ثمة تفرقة بينهم

فسيجد المظلوم ملجأ في جهة، فينقذ نفسه. ثم إن الحقيقة تتظاهر جلية من تصادم الأفكار ومناقشة الآراء وتخالف العقول.'' ثم يزيد المسألة وضوحا، فيقول في سياق بيان نوعية الاختلاف المشار إليه في الحديث فقال: ''إن الاختلاف الوارد في الحديث هو الاختلاف الإيجابي البناء المثبت ومعناه: أن يسعى كل واحد لترويج مسلكه وإظهار صحة وجهته وصواب نظرته، دون أن يحاول هدم مسالك الآخرين أو الطعن في وجهة نظرهم وإبطال مسلكهم، بل يكون سعيه لإكمال النقص ورأب الصدع والإصلاح ما استطاع إليه سبيلا. أما الاختلاف السلبي فهو محاولة كل واحد تخريب مسلك الآخرين وهدمه، ومبعثه الحقد والضغينة والعداوة، وهذا النوع من الاختلاف مردود أصلا في نظر الحديث، حيث المتنازعون والمختلفون يعجزون عن القيام بأي عمل إيجابي بناء.'' ثم يختم بالتوقف عند احتمال آخر يقول: ''إن كان التفرق والتحزب لأجل الحق وباسمه، فلربما يكون ملاذ أهل الحق، ولكن الذي نشاهده من التفرق إنما هو لأغراض شخصية ولهوى النفس الأمارة بالسوء، فهو ملجأ ذوي النيات السيئة بل متكأ الظلمة ومرتكزهم''.[13]

فالنورسي يرفض الاختلاف السلبي الهدام الذي لا فائدة منه ولا يساعد على الوصول إلى الحقيقة، والاختلاف يصبح هنا خلافا، فكل خلاف اختلاف وليس كل اختلاف خلافا لأن الخلاف أقرب ما يكون إلى الصراع والنزاع. قال النورسي: ''يا عاشق الحقيقة إن كنت تتحرى الحقائق بمطالعة وجداني أنا، فطهر قلبك، تلك اللطيفة الربانية، من الصدأ، أي الرغبة في المعارضة والخلاف. والتزام طرف المخالف والمعارض''.[14]

أما الاختلاف الإيجابي الذي يساعدنا على الوصول إلى الحق وإدراك الحقيقة فهو مطلوب، لأن الحقيقة إنما تظهر لنا جلية واضحة عند مناقشة الآراء ودراسة المواقف وتصادم الأفكار وتخالف العقول. والمناقشة والمذاكرة وتصادم الآراء والأفكار حوار، والحوار لا يكون إلا عند حصول الاختلاف. وبعبارة أخرى فإن الاختلاف يستدعي الحوار والحوار يقتضي الكلام. ومن جهة أخرى فإن النورسي يأخذ بمبدأ النسبية: الفهم البشري نسبي والإدراك جزئي، والعجز عن الإدراك إدراك، والحقيقة متعددة الجوانب والمظاهر والسمات، فلا بد من الحوار والمناظرة والنقاش والحجاج والإقناع حتى تتجلى لنا جوانب عديدة ومتكاملة من جوانب الحقيقة، وخاصة إذا كانت الغاية واحدة بين المتناظرين وكان الهدف المنشود مشتركا وهو الوصول إلى

الحق. وهذا ما عبر عنه النورسي بقوله: ''إن تصادم الآراء ومناقشة الأفكار لأجل الحق وفي سبيل الوصول إلى الحقيقة إنما يكون عند اختلاف الوسائل مع الاتفاق في الأسس والغايات فهذا النوع من الاختلاف يستطيع أن يقدم خدمة جليلة في الكشف عن الحقيقة وإظهار كل زاوية من زواياها بأجلى صور الوضوح، ولكن إذا كانت المناقشة والبحث عن الحقيقة لأجل أغراض شخصية والتسلط والاستعلاء وإشباع شهوات نفوس فرعونية ونيل الشهرة وحب الظهور، فلا تتلمع بارقة الحقيقة في هذا النوع من بسط الأفكار بل تتولد شرارة الفتن. فلا نجد بين أمثال هؤلاء اتفاقا في المقصد والغاية، بل ليس على الكرة الأرضية نقطة تلاق لأفكارهم، ذلك لأنه ليس لأجل الحق.''[15]

يبيّن النورسي في هذا النص العلاقة بين الحوار والاختلاف، سواء أكان هذا الاختلاف فكريا أم عقديا أم سياسيا، لكن بشرط أن تكون الغاية هي الوصول إلى الحق، فهنا الاختلاف يقتضي الحوار والنقاش.

وهو يدعو المسلمين إلى عدم التركيز على الخلاف والاختلاف، لأنّ هذا لا يكون إلا في المسائل الفرعية الاجتهادية، أما المسائل الضرورية فهي ثابتة محددة.

قال الأستاذ النورسي: ''إن أركان الدين وأحكامه الضرورية، نابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية المفسّرة له، وهي تشمل تسعين بالمائة من الدين، أما المسائل الخلافية التي تحتمل الاجتهاد فلا تتجاوز العشرة منه، فالبون إذن شاسع بين أهمية الأحكام الضرورية والمسائل الخلافية، فلو شبهنا المسائل الاجتهادية بالذهب لكانت الأحكام الضرورية وأركان الإيمان أعمدة من الألماس. ترى هل يجوز أن تكون تسعون عمودا من الألماس تابعة لعشرة منها من الذهب؟ وهل يجوز أن يوجه الاهتمام إلى التي من الذهب أكثر من تلك التي من الألماس؟''[16]

لقد بيّن النورسي الفرق بين الاختلاف الإيجابي والاختلاف السلبي، وبيّن أيضا أنّ الاختلاف الإيجابي يقتضي الحوار والنقاش لأنّه يعين على بلوغ الحقيقة. وأشار إلى أنّ الاختلاف في الأمور الدينية والفقهية إنّما هو في الأمور الفرعية التي تقبل الاجتهاد، ونسبتها لا تتجاوز ١٠% أما الأمور الضرورية، وهي كثيرة، فهي موضع اتفاق. ولنأخذ هذا النص البليغ الذي يقارن فيه بين الاتفاق والاختلاف، يقول: ''إن كان الاتفاق في الحق اختلافا في الأحق، يكون الحق أحيانا أحق من الأحق، والحسن

أحسن من الأحسن. ويحق لكل امرئ أن يقول في مذهبه: (هو حق، هو حسن)، ولكن لا يحق له القول: (هو الحق، هو الحسن)''.[17] ففي هذا النص كلام عجيب ومنطق أعجب، فيه دعوة إلى الاتفاق واجتناب الاختلاف لتحقيق الوحدة والانسجام بلغة علمية حجاجية استدلالية، وكأني بالنورسي هنا يستلهم القاعدة الأصولية المعروفة: ''درء المفاسد مقدم على جلب المصالح''.[18]

يبيّن الأستاذ النورسي في هذا المقام أنّ الحق مع الاتفاق أفضل من الأحق مع الاختلاف، وطبعا، فالحق هنا مقدم على الأحق، والحق أحق بأن يختار ويتبع، ولولا مسألة الاتفاق والاختلاف لكان الأحق مقدما على الحق.

فلو تعاملنا مع الحق والأحق مجردين لكان الأحق أحق من الحق، ولكن لما كانا غير مجردين، فكان الحق متفقا عليه وكان الأحق فيه اختلاف، أصبح الحق أحق من الأحق. فهناك مراتب ثلاث نوردها كالآتي:

- الحق: أي الحق بما هو حق، أو الحق المجرد.

- الأحق من الحق: وهو كذلك بموجب معايير موضوعية. ولكنّه أصبح دون الحق منزلة لأنّ الاختلاف حاصل بشأنه والحق متفق عليه.

- الأحق من الأحق: وقد يكون كذلك بموجب الموضوعية، أو أنّ الحق المتفق عليه أصبح –كما قال النورسي- أحق من الأحق.

يأخذ النورسي هنا بمبادئ الواقعية والانسجام والورود والملاءمة والسياق.

إن الاتفاق والاتحاد هو ما ينبغي العمل على تحقيقه والتمسك به أما التفرق والنزاع والخلافات الداخلية بين المسلمين فينبغي تركها ونبذها، وخاصة في الظروف العصيبة: ''إنّ أشدّ القبائل تأخرا يدركون معنى الخطر الداهم عليهم، فتراهم ينبذون الخلافات الداخلية وينسون العداوات الجانبية عند إغارة العدو الخارجي عليهم. وإذا تقدر تلك القبائل المتأخرة مصلحتهم الاجتماعية حق قدرها، فما للذين يتولون خدمة الإسلام ويدعون إليه لا ينسون عداوتهم الحزبية الطفيفة فيمهدون بها سبل إغارة الأعداء الذين لا يحصرهم العد عليهم؟ فلقد تراصف الأعداء حولهم وأطبقوا عليهم من كل مكان''.[19]

رابعا: مجالات الحوار وأساليبه وضوابطه.

١- مجالات الحوار:

لم يتوقف الأستاذ النورسي في مجال الحوار والتواصل عند التنبيه إلى أهميته بين المسلمين فحسب، بل جاوزه إلى العناية به وتنميته في علاقات المسلمين بغيرهم، لهذا يدعو إلى تواصل وتحاور المسلمين وغير المسلمين، وإلى اللجوء إلى أسلوب الإقناع والحجاج والاستدلال، فقال: ''وليطمئن غير المسلمين بأن اتحادنا هو الهجوم على هذه الصفات الثلاث (الجهل والحاجة والنفاق) ليس إلا، وبالنسبة إليهم فسبيلنا الإقناع، لأننا نعتقدهم مدنيين، وأننا مكلفون بأن نظهر الإسلام بمظهر الجمال والحسن المحبوب لأننا نظن فيهم الإنصاف''.[20] وذكر في نص آخر: ''إن الظهور على المدنيين من منظور الدين إنما هو بالإقناع وليس بالإكراه، وبإظهار الإسلام محبوبا وساميا لديهم وذلك بالامتثال الجميل لأوامر وإظهار الأخلاق الفاضلة. أما الإكراه والعداء، فهما تجاه وحشية الهمجيين''.[21]

٢- أساليب الحوار الناجع:

في ظل التوجيهات السابقة كان النورسي داعيا إلى اعتماد قوة المنطق لا منطق القوة لأن الإسلام دين الحوار والحجاج والإقناع، لا دين الإكراه والعداء وهو ما نجده في قوله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾،البقرة:٢٥٦ و ''لا'' الوارد هنا هي ''لا'' النافية وليست الناهية كما ذهب إلى ذلك علماء كثيرون منهم سعيد رمضان البوطي وجودت سعيد وغيرهما.

وإذا كان النورسي يدعو إلى استعمال أسلوب الإقناع والحجاج مع المدنيين من غير المسلمين، فإنّه يدعو ضمنا إلى الحوار والتفاعل والتواصل معهم ضمن الشروط الحوارية والتخاطبية المطلوبة، وهذا بحكم العلاقة القائمة بين الحوار والحجاج، فالأصل في الحجاج إنجاح الحوار وتدبير الاختلاف ورفع الخلاف وتحقيق الاتفاق. فلولا الاختلاف ما كان الحوار، ولولا الحوار ما كان الإقناع والحجاج، ولولا الحجاج ما كان الخطاب والكلام. ولا شيء أفضل من التواصل والحوار والحجاج والإقناع والاقتناع لفض الخلاف ونبذ الاختلاف.[22]

ومعلوم أن الحجاج نسبي والإقناع جزئي، والمطلوب منا أن نحاور ونحاجج ونبرهن ونقنع باستمرار، فإن اقتنع الغير فذاك، وإن لم يقتنع فلنحاول مرة تلو أخرى.

قال بديع الزمان سعيد النورسي: ''إن وظيفتنا العمل والإيمان والقرآن بإخلاص، أما إحراز التوفيق وحمل الناس على القبول ودفع المعارضين، فهو مما يتولاه الله سبحانه، نحن لا نتدخل فيما هو موكول إلى الله، حتى إذا غلبنا فلا يؤثر هذا في قوانا المعنوية وخدماتنا''.[23]

والسؤال المطروح هو كالتالي: ما هو دور الإقناع والحجاج؟ وما علاقته باللغة والكلام؟ ولم يتشبث به النورسي ويدعو إليه؟

الجواب هو أنّنا نتكلم عادة بقصد التأثير في الغير، وأن الكلام له سلطة لا ينكرها أحد، ولقد قال جورج تشامبان: ''ما أقوى النفوذ الذي تحدثه الكلمات في مواضعها الصحيحة''. إنّ الكلام هو الوسيلة الأخص بالكائن البشري، وهو أبرز مقوم يميزه عن الكائنات الأخرى، وهو سلاح من أقوى الأسلحة، ووظيفته الأساسية هي الحجاج والإقناع، وهو المجال الذي يتحقق فيه أقل قدر ممكن من العنف، ويتحقق فيه، في الوقت نفسه، أكبر قدر ممكن من النفوذ والغلبة والتأثير، ويكون فيه هامش كبير للمرونة واليسر والتسامح، ومن هنا فإن الذي ينتصر عليك بقوة المنطق وسلطة الكلام وأدوات الحجاج والإقناع، يكون قد انتصر عليك انتصارا حقيقيا.[24]

وينبغي أن نفهم دعوة النورسي إلى اعتماد أسلوب الإقناع والحجاج في هذا الإطار. ولنتأمل هذا النص الذي يميز فيه بين الجهاد الداخلي الذي ينبغي أن يقوم على تحقيق الرقي المادي ومحاربة الجهل والتخلف والنزاع والفرقة، والجهاد الخارجي المتمثل في الإقناع وقوة المنطق. يقول: ''نحن سنجاهد بسلاح العلم والتقنية الجهل والفقر والخلاف الذي هو ألد أعداء كلمة الله. أما الجهاد الخارجي فنحيله إلى السيوف الألماسية للبراهين القاطعة للشريعة الغراء، لأن الغلبة على المدنيين إنما هي بالإقناع وليس بالإكراه كما هو شأن الجهلاء الذين لا يفقهون شيئا، نحن فدائيو المحبة لا مكان بيننا للخصومة''.[25]

ولكن السؤال المطروح هو: لماذا ربط النورسي الإقناع بالمدنية؟ الجواب هو أن الإنسان مدني بالطبع كما قال ابن خلدون، وهو ما أكده النورسي بقوله: ''من كانت همته نفسه، فليس من الإنسان لأنه مدني بالطبع، فهو مضطر لأن يراعي أبناء جنسه، فإن حياته الشخصية يمكن أن تستمر بحياته الاجتماعية''.[26] وإذا كان قد ربط الإقناع بالمدنية، فقد ربطه أيضا بالإنسان لأن المدنيين ينبغي إقناعهم، والإنسان مدني، إذن

الإنسان ينبغي إقناعه. ثم إنه يربط الإقناع بأخص خصائص الإنسان وهو الكلام، فلولا الحوار والخطاب ما كان الإقناع والاقتناع والحجاج.

ولهذا فإن النورسي يرى أن التواصل والتعامل مع الغرب شيء مطلوب، لكن بشرط عدم الانبهار وبشرط اتخاذ الحيطة والحذر وعدم تقليده وتبني القيم الفاسدة التي لديه، وبشرط الحفاظ على الهوية والأصالة. وهذا سيمكننا طبعا من:

– الاستفادة من علومه ومنجزاته العلمية والحضارية والتكنولوجية.

– نشر الإسلام وإعلاء كلمة الله.

ونشر الإسلام إنما يكون بالحوار والتواصل والإقناع، لا بالعنف والإكراه، لأن الإسلام سلام ولأن الإنسان مدني فطرة، والمدنيون ينبغي التحاور معهم وإقناعهم بالدليل والمحاكمة العقلية.

وينبهنا النورسي إلى أن الحوار والتواصل مع الغرب لا يعني:

أ – الانسلاخ من الدين وإهماله، لأن علاقتنا مع الدين غير علاقتهم به، يقول: ''ألا فليعلم المهملون غير المكترثين أنهم لا يحببون أنفسهم بالانسلاخ من الدين لأي أجنبي كان، وإنما يظهرون أنهم على غير هدى ليس إلا''.[27]

بل الأكثر من هذا هو أن ''التهاون في تطبيق الشعائر الدينية يفضي إلى ضعف الأمة، والضعف يغري العدو فيكم، ويشجعه عليكم، ولا يوقفه عند حده''.[28]

ب- لا يعني أيضا تقليد الأجانب واتباعهم والتأثر بهم في كل شيء، لأنهم: ''كما سلبوا أموالنا وأوطاننا بثمن بخس (...) فقد سلبوا منا قسما من أخلاقنا الرفيعة وسجايانا الحميدة والتي بها يترابط مجتمعنا وجعلوا تلك الخصال الحميدة محورا لرقيهم وتقدمهم، ودفعوا إلينا نظير ذلك رذائل طباعهم وسفاهة أخلاقهم''.[29] إن التخلف العلمي والضعف المادي والتأخر التكنولوجي والهوان المعنوي والتهميش الحضاري جعلنا ننظر إلى الغرب نظرة مغلوطة ونسلك في تعاملنا معه سلوكا يكرس تخلفنا، وجعلنا نسقط في الاندهاش والانبهار والتقليد والاتباع.

٣- ضوابط الحوار مع الغرب:

بعد السعي الدائب لأجل الإقناع بالحوار مع الإنسان المتمدن في الغرب يضع

الأستاذ بين أيدينا جملة من الضوابط الأساسية لأجل عملية الحوار، يتعلّق بعضها بتحرير مقاصد الحوار، ومسالك التعامل مع الآخر، والشروط الأخلاقية والمعرفية، لتحقيق المسعى بفعالية عالية، ولخّص النورسي ضوابط الحوار والتفاعل مع الغرب فيما يأتي:

أ- ينبغي أن يكون التواصل مع الأجانب بغاية إعلاء كلمة الله، وكل مؤمن هو مكلف بالقيام بهذا الواجب.

ب- ينبغي أن يكون الحوار والتواصل قائما على الندية والتكافؤ العلمي والرقي المادي الحضاري حتى يكون الحوار حقيقيا ومنتجا.

ج- أن يتحقق الإسلام فينا قولا وعملا، فنرفع الأوهام، ونصحح الصورة ونظهر للغرب حقيقة الإسلام وفضائله، أي أن نظهره بمظهر الجمال والحسن المحبوب.

د- الإقناع بالدليل والمحاكمة العقلية.

هـ- الاعتماد على الكتب المقدسة الصحيحة، يقول النورسي بهذا الصدد: ''إن الذي يسوق جمهور الناس إلى الاتباع وامتثال الأوامر هو ما يتحلى به المصدر من قدسية، هذه القدسية هي التي تدفع جمهور الناس إلى الانقياد أكثر من قوة البرهان ومتانة الحجة''.[30]

بعد الدعوة إلى الحوار والتواصل والنورسي مع الغرب والأجانب فقط، يسعى جاهدا لتطويره فنصل إلى الاتفاق والتعاون مع المتدينين منهم ضد العدو المشترك الذي يسعى إلى هدم الأديان وتخريب القيم والأخلاق ونشر الظلم والعدوان، وهو ما يتجلى لنا من قوله: ''إن أهل الإيمان والحقيقة في زماننا هذا ليسوا بحاجة إلى الاتفاق الخالص فيما بينهم وحده، بل مدعوون أيضا إلى الاتفاق حتى مع الروحانيين المتدينين الحقيقيين من النصارى فيتركوا مؤقتا كل ما يثير الخلافات والنقاشات دفعا لعدوهم المشترك المعتدي''.[31] ونستشف هذا الموقف أيضا من حوار النورسي مع بطريرك الروم ''اشنو كراس'' الذي أوردناه آنفا.

الخاتمة:

إعلاء كلمة الله لن تكون بغير الرقي المادي ''إذ الأجانب يسحقوننا تحت تحكمهم المعنوي بسلاح العلوم والصنائع''،[32] وهذا لن يتحقق إلا بواسطة التواصل

والحوار والتفاعل مع الغرب للاستفادة من معارفه ومنجزاته في مجال العلم والتقنية، كما أنّ الغلبة على المدنيين أو الجهاد الخارجي لن يكون إلا بالإقناع، وسبيله الحوار، وأداته اللغة، وزيادة إلى ما سلف فإنّ إعلاء كلمة الله ونشر الإسلام الذي هو دين تسامح وسلام لن يكون إلا بتحقق الإسلام وتجليه في أقوالنا وأفعالنا وأحوالنا.

عالمنا هذا متعدد الثقافات، وكثير من المجتمعات نجد فيها أنماطا من التعدديات: تعددية عرقية، تعددية دينية، تعددية فكرية، تعددية لغوية... إلى غير ذلك، وحيث يكون التعدد الثقافي والتنوع الحضاري والاختلاف الفكري تكون الحاجة ماسة إلى الحوار والتواصل والإقناع. وبتعدد الثقافات واللغات والمجتمعات تتعدد أوجه الفاعلية وتتعدد قنوات التأثير، في ظل هذه الظروف العالمية يدعو الأستاذ إلى الحوار المضبوط والتسامح المشروع والتعاون المقبول. فالتسامح في غير سياق الحرب محبوب، والتواصل من موقع الندية والتكافؤ مطلوب، إنه رجل الحوار والإقناع والحجاج.

المصادر:

- القرآن الكريم.
- إحسان قاسم الصالحي: بديع الزمان النورسي: نظرة عامة عن حياته وآثاره، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٩.
- طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، البيضاء.
- العزاوي أبو بكر: ''المنظومة الأخلاقية عند النورسي''، أعمال المؤتمر العالمي السادس ٢٠٠٢، إسطنبول.
- العزاوي أبو بكر: ''الحوار والحجاج وقبول الاختلاف أساس التربية على حقوق الإنسان ''، مجلة **عالم التربية**، العدد: ١٥، البيضاء، ٢٠٠٤.
- العزاوي أبو بكر: ''سلطة الكلام وقوة الكلمات''، مجلة **المناهل**، العدد: ٦٢-٦٣، وزارة الثقافة، الرباط.
- العزاوي أبو بكر: ''البنية الحجاجية للخطاب القرآني: سورة الأعلى نموذجا''، مجلة **المشكاة**، العدد: ١٩، وجدة.
- النورسي سعيد: المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، إسطنبول.

النورسي سعيد: اللمعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، إسطنبول.

- النورسي سعيد: صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم، دار سوزلر، إسطنبول.
- النورسي سعيد: المثنوي، تحقيق إحسان قاسم، دار سوزلر، إسطنبول.
- النورسي سعيد: الملاحق، ترجمة إحسان قاسم، دار سوزلر، إسطنبول.
- النورسي سعيد: سيرة ذاتية، ترجمة وإعداد إحسان قاسم، دار سوزلر، إسطنبول.
- النورسي سعيد: الخطبة الشامية، ترجمة إحسان قاسم، الاحمدية للنشر، الدار البيضاء، ٢٠٠١.

* * *

الهوامش:

[1] أستاذ التعليم العالي، جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال، المغرب.
[2] انظر أعمال جان بليز غريز بخصوص الحوار والحجاج.
[3] انظر الحوار الذي أجري مع كاتب البحث وهو بعنوان: ''الحوار والحجاج وقبول الاختلاف أساس التربية على حقوق الإنسان''، مجلة **عالم التربية**، العدد: ١٥، ٢٠٠٤.
[4] أبو بكر العزاوي: ''المنظومة الأخلاقية عند النورسي'' أعمال المؤتمر العالمي السادس، إسطنبول.
[5] النورسي: اللمعات، اللمعة السابعة عشرة، المذكرة الخامسة. ص١٦٢.
[6] إحسان قاسم الصالحي: بديع الزمان النورسي: نظرة عامة عن حياته وآثاره، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٩.
[7] من المقدمة التي وضعها إحسان قاسم الصالحي لكتاب ''الملاحق'' لسعيد النورسي، دار سوزلر، إسطنبول.
[8] سعيد النورسي: المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ص: ٤٥٢.
[9] انظر الحوار الذي أجري مع صاحب البحث، المشار إليه آنفا وانظر كذلك كتاب ''اللسان والميزان'' للدكتور طه عبد الرحمن، وخاصة الفصل الذي يحمل عنوان: ''التواصل الإنساني والتعامل الأخلاقي''.
[10] النورسي: المكتوبات، ص: ٤٥٢.
[11] النورسي: الملاحق، ص: ٢٩٦.
[12] انظر الحوار المشار إليه آنفا.
[13] النورسي: المكتوبات، ص: ٣٤٦-٣٤٧.
[14] النورسي: صيقل الإسلام، ص: ١٣٥.
[15] النورسي: المكتوبات، ص: ٣٤٨.
[16] النورسي: صيقل الإسلام، ص: ٣٤٧.
[17] النورسي: المكتوبات، (نوى الحقائق)، ص: ٦٠٩.
[18] قاعدة ''درء المفسدة مقدّم على جلب المصلحة'' من القواعد المتفرعة عن القاعدة الكليّة ''**الضرر يزال**''.
[19] النورسي: المكتوبات، ص: ٣٤٩.
[20] النورسي: صيقل الإسلام، ص: ٥٣٠.
[21] النورسي: الخطبة الشامية، ترجمة إحسان قاسم، الأحمدية للنشر، البيضاء، ص: ٩٠.
[22] انظر الحوار المشار إليه سابقا.
[23] النورسي: الملاحق، ص: ٣٤٥.
[24] الحوار، مصدر سابق.
[25] النورسي: الخطبة الشامية، ص: ٧٩.
[26] النورسي: نفس المصدر، ص:٥٧.
[27] النورسي: صيقل الإسلام، ص: ٥٣٠.
[28] النورسي: المثنوي، ص: ٢٠٤.
[29] النورسي: الخطبة الشامية، ص: ٥٦.
[30] النورسي: صيقل الإسلام، ص: ٣٤٧.
[31] النورسي: الملاحق، ص: ٢٩٩.
[32] النورسي: الخطبة الشامية: ص: ٧٩.

توحيد القلوب فى رسائل النور
– رؤية أصولية فقهية –

–ABSTRACT–

The Union of Hearts in the Risale-i Nur
(According to the Principles of Fiqh)

Dr. Umid Najm al-Din Jamil al-Mufti

Oftentimes, contemporary Muslims feel that it is important to find methods that can help achieve unity between them, especially given that Muslims have different methods of thinking. Although Muslim scholars and thinkers throughout Islamic history tried to achieve this noble goal, the approach characterized by Nursi seems to be more objective, in addition to the fact that it focuses more on the mental state of man and the understanding of Islam.

This study introduces excerpts from the Risale-I Nur Collection. It brings about a focus to two areas: Islamic fundamentals and jurisprudence. The study shows how Nursi utilized topics from the two areas in order to achieve unity of hearts, although those topics have been debated for centuries. This study also aims to help us reconsider how we treat the problem of differing views in Jurisprudence with particular insight from Nursi's perspective and puts before us several scientific rules that Nursi used for pushing away division and disharmony. Indeed, these rules are worthy of being considered essential for bringing hearts together.

– ملخص البحث –

د. أميد نجم الدين جميل المفتي[1]

كثيراً ما يشعر المسلمون في هذا العصر بضرورة إيجاد الوسائل والأدوية الناجعة التي من شأنها مساعدتهم لتحقيق الوحدة فيما بينهم قلباً وقالباً، على الرغم من تشتت طرق التفكير واختلاف الوجهات والمذاهب، وقد حاول العديد من أهل الفكر

والصلاح فى التاريخ الاسلامى تحقيق هذه الغاية النبيلة، إلاّ أنّ الطريقة التى رسمها بديع الزمان النورسى فى هذا العصر طريقة تتصف بالدقّة والموضوعية، المؤيّدة بالأدلة النقلية والعقلية، فضلاً عن كونها ذات قطوف دانية سلسة لمختلف الأفكار والتوجهات والمذاقات. وهذه الدراسة تضعنا أمام نصوص من رسائل النور، وهي تهدف إلى تحقيق توحيد القلوب، وركزت على الجانب الفقهي والأصولي، ودرست كيفية توظيف بديع الزمان لمسائل من العِلمين بغاية تحقيق توحيد القلوب بين المسلمين، مع أن زمن الخلاف فيها يرجع إلى مئات السنين. وكذلك تريد الدراسة هذه إعادة النظر فى مسالك التعامل مع مسائل الاختلافات الفقهية والأصولية، وترشدنا هذه الدراسة إلى الاعتماد على الرؤية النورسية. وتجعل أمامنا عدداً من القواعد العلمية اعتمدها النورسي لدفع الفُرْقَةَ والتفرّق، وهي قواعد حَرِيَّة بجعلها أساساً في توحيد القلوب في مختلف ميادين المعرفة والعلوم.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

قد يثير عنوان الدراسة استغراب بعض الباحثين، فيتساءل ما علاقة مباحث فقهية وأصولية بتوحيد القلوب والكلمة؟ ثم له أن يتساءل أيضا صلة رسائل النور بالمباحث الفقهية والأصولية؟ وهل فيما كتب النورسي ما يسعفنا في الربط بين المباحث الفقهية والأصولية من جهة وتوحيد القلوب من جهة أخرى؟ والإجابة عن هذه الأسئلة تحتاج إلى تعمق في مباحث الفقه والأصول ذات الصلة بموضوعنا، وبعدها لنا أن نتعمّق في رسائل النور بتحليل موضوعي علمي دقيق نستشف منها الربط بين القضيتين، وما الطريقة العلمية التي جمع بها النورسي الفقه وأصوله وتحقيق وحدة قلوب المسلمين على الرغم من اختلاف الوجهات.

إنّ المتمرّس برسائل النور مضمونا ومنهجا لا يستغرب ربط توحيد القلوب بمباحث الفقه وأصوله، ويكاد التعجّب أن يضمحل بسرعة البرق، بمجرد الاقتراب من رسائل النور وقراءة أولية لمضامينها، ذلك أنّ مصنّف الرسائل الأستاذ النورسي كان فقيهاً بكل ما يعنيه مصطلح الفقيه من معاني حقيقية ودقيقة،[2] ولم يكن صاحب قدم

راسخة في التنظير الفقهي فحسب، بل كان مشبعاً بالتدبير الفقهي، وكان فضلاً عن هذا رائداً متميزاً في مجال التنظير لتوحيد الصفّ والكلمة والقلب، وعاملاً بمقتضى هذه المعاني في شعاب الحياة، وقد جمعت رسائل النّور على مائدتها الثرية: الصغير والكبير، والمسلم وغيره، والذكر والأنثى، والعالِم والأميّ، فلا تُحدّ حُدودُ بركتها مع اختلاف المكان والزمان واللغات... فهي بحق ملتقى الوجهات المختلفة والآراء المتباينة، وتعالج التشتت والتشرذم بالحكمة القرآنية والأنوار الإلهية معالجة دقيقة، بحيث لا يرى بعد العلاج أي أثر للجراح.

أدرك بديع الزمان هذه الحقيقة والميزة النبيلة للرسائل، حيث قال: "... فالمتعصب في تشيعه، والمغالي في وهابيته، وأشد الفلاسفة مادية وعمقاً في العلم، وأكثر العلماء أنانية وتزمتاً، قد بدأوا بالدخول معاً في دائرة النور ويعيش قسم منهم الآن إخوة متحابين في تلك الدائرة، حتى إن هناك أمارات بدخول مبشرين نصارى من الروحانيين الحقيقيين في تلك الدائرة، لما يشعرون بضرورة الترابط والمصالحة، طارحين مواد المناقشة والمنازعة جانباً".[3]

نحاول من خلال هذه الدراسة -قدر المستطاع- إبراز اللآلئ والكنوز الموجودة في رسائل النور، والتي تخص توحيد الكلمة والصف والقلوب بين المخلوقات عموماً وأهل التكليف منهم خصوصاً، اجتهدت في التركيز على مباحث فقهية وأصولية -حسب تخصص الباحث، والتي لها صلة وثيقة وعضوية بتحقيق توحيد القلوب، سعياً لخدمة رسائل النور، فكان عنواننا المختار يشف عن مباحث التي لم تنل حقها من الدراسة والتحقيق والتحليل الملائم، ولم يكن لنا إلا التنبيه على مباحث لم تكن مطروقة في رسائل النور لكانت كافية، وخاصة إذا ما قورنت بالجوانب التربوية والفكرية والعقدية من الرسائل،[4] فأرجو من الله التوفيق.

ولأجل تحقيق القول فيما سبقت الإشارة إليه قسمت العرض إلى مبحثين، الأول: بيان المراد بتوحيد القلوب وأهميته في رسائل النور، والثاني: بيّنا فيه بعض المباحث الأصولية والفقهية ومسالك النورسي تحليلها وربطها بتوحيد القلوب.

أولاً: توحيد القلوب وأهميته في رسائل النور

عمل النورسي على استعادة سجية سرقها الأعداء من المسلمين، ولعلّها من أمتن أسس الرقي والتقدم في فكره وفي حياة المسلمين المعاصرة، وتتمثل هذه

السجية في القاعدة الذهبية المشهورة: ''إن متّ أنا فلتحيا أمتي، فإن لي فيها حياة''،[5] سعى الأستاذ من خلال رسائل النور إلى تقوية أواصر المحبة والأخوة وبناء المجتمع على هذه أسس متينة، وبناءً على القاعدة السابقة وضع بديع الزمان قاعدة: ''الفناء في الإخوان'' لتحقيق هذه الغاية النبيلة، بمعنى: العيش فكرياً في مزايا الأخوة، والسعي لسدّ حاجته ولإكمال نقصه والتألم لما يصيبه ونصحه بكل لطف، وإصلاحه من غير إظهار حب السيطرة عليه أو إبداء خشونة في حقِّه.[6]

ولأجل تحقيق التوحيد بين الصفوف والقلوب وضع النورسي جملة من القواعد والأسس، منها: الإيمان والعقيدة، وهو الأهم، ثم التعاون الذي هو من الأسس القرآنية للبناء والرقي، ونبذ الكبرياء والأنانية، والإخلاص، وغيرها.[7]

النورسي من أكثر المتحمسين لتوحيد صفوف وكلمة المسلمين، لهذا ظلّ الأستاذ يحثّ باستمرار المسلمين على نبذ التفرقة والتشرذم والاختلاف المفضي إلى الحقد وكلّ ما شأنه أنْ تكدر صفو الأخوة والتعاون، بل ذهب الأستاذ إلى أبعد من ذلك حين دعا إلى غلق باب الاختلاف حتى مع غير المسلمين.

قال الأستاذ بديع الزمان: ''إن أهل الإيمان والحقيقة في زماننا هذا، ليسوا بحاجة إلى الاتفاق الخالص فيما بينهم وحدهم، بل مدعوون أيضاً إلى الاتفاق حتى مع الروحانيين المتدينين الحقيقيين من النصارى، فيتركوا مؤقتاً كل ما يثير الخلافات والمناقشات دفعاً لعدوهم المشترك المتعدي''،[8] ويُذّكِّر النورسي المسلمَ بأمور تجعله يشعر بالحاجة إلى الوفاق والاتفاق قلباً وقالباً، وفي هذه المعاني قال رحمه الله: ''إن خالقكما واحد، مالككما واحد، معبودكما واحد، رازقكما واحد... وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ الألف. ثم، إنّ نبيكما واحد، دينكما واحد، قبلتكما واحدة، وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ المائة. ثم، إنّكما تعيشان معاً في قرية واحدة، تحت ظل دولة واحدة، في بلاد واحدة... وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ العشرة. فلئن كان هناك إلى هذا القدر من الروابط التي تستدعي الوحدة والتوحيد والوفاق والاتفاق والمحبة والأخوة، ولها من القوة المعنوية ما يربط أجزاء الكون الهائلة، فما أظلم من يعرض عنها جميعاً ويفضل عليها أسباباً واهية أوهن من بيت العنكبوت، تلك التي تولد الشقاق والنفاق والحقد والعداء. فيوغر صدره عداءً وغلاً حقيقياً مع أخيه المؤمن! أليس هذا إهانة بتلك الروابط التي توحد؟ واستخفافاً بتلك الأسباب التي توجب

المحبة؟ واعتسافاً لتلك العلاقات التي تفرض الأخوة؟ فإن لم يكن قلبك ميتاً ولم تنطفئ بعد جذوة عقلك، فستدرك هذا جيداً".[9]

وبيّن مما سلف أنّ الوحدة الإسلامية واتحاد المسلمين في هذا العصر من أوجب الفرائض عند النورسي، الوحدة التي مشربها المحبة، وعدوها الجهل والفقر والنفاق، وبنيان الاتحاد هذا مبني على الهجوم على هذه الأعداء الثلاثة.[10]

ثانياً: مباحث أصولية وفقهية لها صلة وثيقة بتحقيق الوحدة القلبية في رسائل النور.

أعلن النورسي الحرب على العداوة والتفرق بين المسلمين، وهي مقدمات ونتائج في الوقت نفسه للجهل والنفاق والفقر والابتعاد عن رضوان الله ودينه، وهي مباحث لها صلة بمباحث فقهية وأصولية، وقد أولى الأستاذ لها عناية فائقة، بدراستها وتحليلها بطريقة موضوعية وعلمية وبمنهجية صارمة، فركّز عليها من جهة صلتها بتوحيد القلوب وتحقيق الأخوة والإخلاص، والابتعاد عما يكدر صفو العلاقة الأخوية بين المسلمين عموماً وأهل العلم منهم خصوصاً، ومن جملة المباحث الأصولية التي توقّف عندها محللاً ومستثمراً: مسائل من مبحث الاجتهاد الأصولي كمسألة تصويب وتخطئة الاجتهادات الفقهية، كما نجد له عناية بمنزلة النص من الاجتهاد، والاجتهاد الجماعي والشورى، وأهمية بابي التقوى والورع للمجتهد. ومن المباحث المتعلقة بالفقه والمذاهب الفقهية التي طرقها بغاية توظيفها في توحيد القلوب وجمع الكلمة: المذاهب الفقهية بين القبول والرد، ومبحث الاختلاف الفقهي، والتعصب المذهبي، ومسائل فقهية متفرقة...

يحاول الباحث عرض ملخص ما أشار إليه النورسي في رسائل النور من قضايا فقهية وأصولية وبيان كيفيات استثمارها في توحيد القلوب وجمع الكلمة.

١- المباحث الأصولية:

أ. ترجيح اتجاه المُصَوِّبة على المُخَطِّئة في الأمور الاجتهادية:

يمثّل المُصَوِّبةُ والمُخَطِّئة اتجاهان في الفكر الأصولي، أشبعت الكتب الأصولية عرضهما وتفصيل أدلة كلّ فريق منهما،[11] انتصر الأستاذ النورسي في رسائل النور لرأي المُصَوِّبة مرجحا إياه على المخطّئة، وخاصة في سياق التعامل مع اجتهادات

المجتهدين، ومقتضى رأي المصوّبة أنّ تعدد الحق لتعدد الأعراض المرتبطة به. فالحق واحد، والحقيقة واحدة، ولكن العوامل الخارجية متعددة، وهذه العوامل تتضافر لتحدث للحق الواحد أعراضاً مختلفة ومتعددة، تؤدي في النهاية إلى القول بتعدد الحق مجازاً.

مثّل النورسي لتقرير هذا الأمر -كما هي عادته- بمثال توضيحي، فقال: ''إنْ قلت: إنّ الحق واحد، فكيف يمكن أن تكون الأحكام المختلفة للمذاهب الأربعة والاثني عشر حقاً؟ الجواب: يأخذ الماء أحكاماً خمسة مختلفة حسب أذواق المرضى المختلفة وحالاتهم: فهو دواء لمريض على حسب مزاجه، أي: تناوله واجب عليه طباً. وقد يسبب ضرراً لمريض آخر فهو كالسم له، أي: يحرم عليه طباً، وقد يولد ضرراً اقل لمريض آخر، فهو إذن مكروه له طباً، وقد يكون نافعاً لآخر من دون أن يضره، فيسنّ له طباً، وقد لا يضر آخر ولا ينفعه، فهو له مباح طباً فليهنأ بشربه''.

وبيّن من الأمثلة السالفة كما قال النورسي في السياق نفسه: ''إن الحق قد تعدد هنا، فالأقسام الخمسة كلها حق، فهل لك أن تقول: إن الماء علاج لا غير، أو واجب فحسب، وليس له حكم آخر؟. وهكذا -بمثل ما سبق- تتغير الأحكام الإلهية بسَوْقٍ من الحكمة الإلهية وحسب التابعين لها. فهي تتبدل حقاً، وتبقى حقاً، ويكون كل حكم منها حقاً، ويصبح مصلحة''.[12]

فمن ترجح لديه حسب الأدلة أنّه على حق، ورأى -في الوقت نفسه- غيره على منواله، فقد أبعد عن نفسه وعمّن جعلوه قدوة لهم الانحياز والأنانية وحبّ الذات وترجيحه، ويغلق على نفسه ومن حوله إغلاقاً محكماً باب: سوء الظن، وضيق الفكر، وانحصار الذهن، وحب النفس، واتباع الهوى،[13] ويستثمر النورسي عرض المسألة لأجل التأسيس النظري لجمع الكلمة ووحدة القلوب فيضع القاعدة الذهبية: ''يحقّ لكل امرئٍ أن يقول في مذهبه: هو حق، هو حسن، ولكن لا يحق له القول: هو الحق هو الحسن''.[14]

تلاحظ أنّ النورسي من خلال ما عرضه من أقوال أنّه رجّح رأي المُصَوِّبة لأنّه أقرب ما يكون إلى وحدة الصَّف ونبذ التعصب، لأن المُصَوِّبة يرون أنّ الحكم الاجتهادي الذي توصَّل إليه المجتهد باجتهاده ليس ملزِماً لغيره من الناس، بل يصحّ لغيره أن يتوصَّل إلى حكم مغاير لحكمه، ويكون كلا الحُكمين على الحق والصواب.

وهو خلاف ما ينتهي إليه رأي المخَطِّئة؛ إذْ يعتبر يلزم بطريق غير مباشر بالحكم الذي يتوصَّل إليه المجتهد، إذ الحكم الذي ترجَّح لديه هو حكم الله المُعَيَّن الذي لا تصح مخالفته في نهاية المطاف.[15]

قال الأستاذ بديع الزمان: ''كل من لديه استعداد وقابلية على الاجتهاد وحائز على شروطه، له أن يجتهد لنفسه في غير ما ورد فيه النص، من دون أن يلزم الآخرين به، إذ لا يستطيع أن يشرّع ويدعو الأمة إلى مفهومه. إذ فهمه يُعدّ من فقه الشريعة ولكن ليس الشريعة نفسها، لذا ربما يكون الإنسان مجتهداً، ولكن لا يمكن أن يكون مشرّعاً''.[16]

ب. مكانة النص من الاجتهاد:

الغالب في الاجتهاد الفقهي أنْ يكون في المسائل الجزئية الفرعية، وتتعلّق بالمسائل التي لم يرد في شأنها النص، أو ورد نص في شأنها ولكنه ظني في الثبوت أو الدَّلالة أو فيهما. لهذا استثنيت من مجال الاجتهاد الضروريات الدينية لقطعيتها من جهة الثبوت والدَّلالة. والاجتهاد مهما كان، لا يمكن أن يرد في مورد النصّ، لهذا ورد في القاعدة المشهورة: ''لا مساغ للاجتهاد في مورد النص''،[17] لهذا لا تقدس الاجتهادات كتقديس نصوص الشريعة، وهو مُوقِعٌ في الخلط بين الفقه والشريعة، والتسوية بين النص وفهمه، ومن مترتّبات الميل إلى هذا الرأي جعل نص المعصوم وغير المعصوم أمراً واحداً من حيث إمكان الخطأ والوقوع في الزلات.

يؤسس النورسي لهذه المعاني بقوله في حق المجتهد: ''... لا يستطيع أن يشرّع ويدعو الأمة إلى مفهومه. إذ فهمه يُعدّ من فقه الشريعة، ولكن ليس الشريعة نفسها...''[18] ذلك أنّ الإنسان عندما يعتبر نفسه مُشرِّعاً، يؤدي اعتقاده إلى المزج بين الضروريات الدينية المتحتمة، وبين الجزئيات الفرعية الخلافية، وبالتالي تظهر منه تخطئة غيره وبروز حبّ الجاه والذات والأنانية المقيتة لديه، إلى حدّ إخراجه عن حدود الدين والشريعة. وهو ما حذّر منه الأستاذ بديع الزمان بقوله: ''... وإن هناك خطراً عظيماً في مزج الضروريات الدينية مع المسائل الجزئية الفرعية الخلافية، وجعلها كأنها تابعة لها...''[19]

وما دام القرآن الكريم وصحيح السنة الشريفة هما مصدرا الضرورات الدينية المؤسسة لروح الإسلام والوحدة الإسلامية الإيمانية، وجّه الأستاذ الناس وذكّرهم بالحاجة إلى القرآن مباشرة، قال الأستاذ (رحمه الله): ''... فلو وجهت حاجات

المسلمين الدينية كافة شطر القرآن الكريم مباشرة، لنال ذلك الكتاب المبين من الرغبة والتوجه -الناشئة من الحاجة إليه- أضعاف أضعاف ما هو مشتت الآن من الرغبات نحو الألوف من الكتب، بل لكان القرآن الكريم مهيمنا هيمنة واضحة على النفوس، ولكانت أوامره الجليلة مطبقة منفذة كلياً. وما كان يظل كتاباً مباركاً يُتبرك بتلاوته فحسب''.[20]

ج. الاجتهاد الجماعي والشورى بدل جهد الفرد الواحد:

يرى النورسي فتح باب الاجتهاد، ولكنّه وضع لتحقيق هذا القصد جملة من الضوابط التي تمنع التسيّب والانحراف بالاجتهاد عن الدين نفسه، فاختار التركيز على بعض من جملة الموانع العلمية والمعرفية والخلقية التي تجعل باب الاجتهاد مسدودا أمام من ليس أهلا له،[21] وهي موانع لا يمكن تجاوزها بالجهود الفردية ولا يأمن الفرد من الوقوع في غوائلها، ولتجاوز الخلل المتوقّع من الفرد يقترح الأستاذ الاجتهاد الجماعي والشورى، فتقطع الجماعة بالشورى دابر الفوضى في الاجتهادات، وبهذا يسترجع الفرد والمجتمع القوة المسلوبة من الدين والشريعة، لأن العصر هو عصر الجماعة، ولا يسع الفرد مواجهة التحديات العصر، ولذلك دعا الأستاذ إلى إقامة مجلس الشورى للاجتهاد، يؤسس لهذه المعاني بقوله: ''... نجد أنّ المشيخة قد أودعت إلى اجتهاد شخص واحد، في وقت تعقّدت فيه العلاقات وتشابكت حتى في أدق الأمور، فضلاً عن الفوضى الرهيبة في الآراء الاجتهادية، وعلاوة على تشتت الأفكار وتدني الأخلاق المريع الناشئ من تسرب المدنية الزائفة فينا... من المعلوم أنّ مقاومة الفرد تكون ضعيفة أمام المؤثرات الخارجية، فلقد ضُحي بكثير من أحكام الدين مسايرة للمؤثرات الخارجية... لسنا في الزمان الغابر، حيث كان الحاكم شخصاً واحداً، ومفتيه ربما شخص واحدٌ أيضاً، يصحح رأيه ويصوبه. ذلك أنّ هذا الزمان هو زمان الجماعة، والحاكم شخص معنوي ينبثق من روح الجماعة. فمجالس الشورى تملك تلك الشخصية، فالذي يفتي لمثل هذا الحاكم ينبغي أن يكون متجانساً معه، أي: ينبغي أن يكون شخصاً معنوياً نابعاً من مجلس شورى عالٍ، كي يتمكن من أن يُسمعَ صوتَه للآخرين، ويسوق ذلك الحاكم إلى الصراط السوي في أمور الدين. وإلا فسيبقى صوته كطنين الذباب... نعم، إنّ كل من يجد في نفسه كفاءة واستعداداً للاجتهاد يمكنه أن يجتهد، ولكن لا يكون هذا الاجتهاد موضع عمل إلا عندما يقترن بتصديق نوع من

إجماع الجمهور. فمثل هذا الشيخ -أي شيخ الاسلام المستند إلى مجلس شورى- يكون قد نال هذا السر. فكما نرى في كتب الشريعة: أن مدار الفتوى: الإجماع، ورأي الجمهور، يلزم الآن ذلك أيضاً ليكون فيصلاً قاطعاً لدابر الفوضى الناشبة في الآراء... الحاجة أستاذ لكل أمر. هذه قاعدة، فالحاجة شديدة لمثل هذا المجلس الشوري الشرعي".[22]

ويؤكّد في السياق نفسه بأسلوب تحليلي منطقي فيربط مسألة الاجتهاد الجماعي بسرّ النصر ونبذ الكبرياء والأنانية والحقد، وهذا تجاوزه مودع في الجماعة والجهود الجماعية، قال الأستاذ النورسي في تقرير هذا التحليل: "إنّ هذا الزمان زمن الجماعة، فلو بلغ دهاء الأشخاص فرداً فرداً حدّ الخوارق، فلربما يُغلب..."[23] ذلك أنّ التعاون والتساند هو الدستور العام لجميع المخلوقات، يسجّل النورسي التأكيد على هذه المعاني بقوله: "نعم، تجاوب أعضاء الكائنات بشمسها وقمرها لمنفعة الحيوانات، وتسارع النباتات لإمداد أرزاق الحيوانات، وتسابق مواد الأغذية لترزيق الثمرات، وتزين الثمرات لجلب أنظار المرتزقات، وتعاون الذرات في الإمداد لغذاء حجيرات البدن؛ دليل قاطع ساطع على: أن الدستور العام هو التعاون، وما الجدال إلاّ دستور جزئي بين قسم من الحيوانات الظالمة..."[24] ولم يكتف النورسي بهذا فحسب، بل بيّن الدرس المستفاد من الشورى بقوله: "إن الدرس الذي تعلمته من الشورى الشرعية هو: أن سيئة امرئٍ واحدٍ في هذا الزمان، لا تبقى على حالها سيئةً واحدة، وإنّما قد تكبر وتسري حتى تصبح مائة سيئة. كما أنّ حسنة واحدة أيضاً لا تبقى على حالها حسنة واحدة، بل قد تتضاعف إلى الآلاف. وحكمة هذا وسرّه هو: أن الحرية الشرعية والشورى المشروعة قد أظهرتا سيادة أمتنا الحقيقية. إذ إن حجر الأساس في بناء أُمتنا، وقوام روحها إنّما هو الإسلام..."[25]

وبناءً على ما سلف يؤكّد النورسي على ضرورة اللجان والمجامع الفقهية، توحيداً للجهود لتجاوز الأخطاء في الاجتهاد والفتوى الفردية، ولا يتأتى ذلك بغير التكاتف بين جملة الكفاءات في مختلف الاختصاصات لإخراج الفرد المسلم والمجتمع الإسلامي من الحيرة والتشتت في أمر الدين واتباع الهوى في التدين.[26]

د. شرط المجتهد التحلي بالورع والتقوى:

معلوم في درس الأصول شر طي الورع والتقوى ليس شروط الاجتهاد، ولكنّهما قد يشترطان في قبول الفتوى من المجتهد، لأنّ العلم والاجتهاد لا يمكن تخصيصه بأهل العدالة والتقوى، وإنْ كان الأصل في المفتي أنْ يكون متقياً وعادلاً، والعادة جارية أنّ المجتهد قلما يوفق إلى الصواب ما لم يكن تقيا، ولهذا كان الأصل ألاّ يقبل من الفاسق فتوى بل لا يجوز أن يستفتى، وإنْ كان يصح منه الاجتهاد.[27]

ومما قرره النورسي أنّه من المحتاطين في القول بفتح باب الاجتهاد، حيث يحذّر من فتح باب الاجتهاد من غير ضوابط، فيلجه كلّ من هبّ ودبّ من الناس، بل -كما مرّ- قيّده بانتفاء الموانع الست.

قسّم الأستاذ بديع الزمان موانع الاجتهاد إلى قسمين: موانع علمية معرفية، وموانع خلقية، وبيّن أنّ من الموانع الخلقية في الاجتهاد في هذا العصر تخلّف شرطي العدالة والورع،[28] قال بديع الزمان: ''إن ميل الجسم إلى التوسع لأجل النمو، إن كان داخلياً فهو دليل التكامل. بينما إن كان من الخارج فهو سبب تمزق الغلاف والجلد، أي: أنّه سبب الهدم والتخريب لا النمو والتوسع. وهكذا، فإنّ وجود إرادة الاجتهاد والرغبة في التوسع في الدين عند الذين يدورون في فلك الإسلام، ويأتون إليه من باب التقوى والورع الكاملَين، وعن طريق الامتثال بالضروريات الدينية، فهو دليل الكمال والتكامل. وخير شاهد عليه السلف الصالح. أمّا التطلع إلى الاجتهاد والرغبة في التوسع في الدين، إنْ كان ناشئاً لدى الذين تركوا الضروريات الدينية، واستحبوا الحياة الدنيا، وتلوّثوا بالفلسفة المادية، فهو وسيلة إلى تخريب الوجود الإسلامي، وحل ربقة الإسلام من الأعناق''.[29]

وبهذه الطريقة برهن الأستاذ النورسي على أنّ فتوى واجتهاد غير أهل التقوى والعدالة، لا يصب في مصلحة الدين والإنماء وتوحيد صف المؤمنين، بل يؤدي إلى التمزق والتخريب وإبعاد الناس عن الدين، ومعلوم أنّ الدين والعقيدة والإيمان من أهم عوامل التوحيد والاتحاد.

فقد كانت بعض فتاوى أهل الضلال في زمانه مصدراً لبلاء كبير لحق بالأمة، من ذلك فتوى قراءة ترجمة القرآن بدل القرآن المنزل في الصلاة، فقد أحدثت هذه الفتوى شرخاً في المجتمع وفوضى عارمة كادت تردي به -لولا لطف الله-، إذ لم يكن القصد

منها التشبّث بالدين بقدر ما كانت سعياً للتنصّل من الدين نفسه، ومنبعا لشماتة الأعداء.

٢. نماذج من المباحث الفقهية في رسائل النور ذات الصلة بجمع الكلمة وتوحيد الصف:

أ. المذاهب الفقهية بين القبول والرد:

عاش النورسي في بلد انتشر فيه مذهبا الحنفية والشافعية، وقد كان الأستاذ شافعي المذهب، كما هو شأن معظم بني جلدته (الكرد) في مختلف الدول،[30] وبما أنّ الأستاذ كان فقيهاً بالمعنى الحقيقي والدقيق للفقه، ووفق المفاهيم الاصطلاحية التي كان عليها العلم في سلف الأمة المسلمة، والذي مفاده أنّ الفقه: (معرفة النفس، ما لها، وما عليها)،[31] وبيّن أنّ الفقه بهذه المفاهيم يستغرق جميع العلوم العقلية والنقلية، الاعتقادية منها والعملية،[32] فإنّ بيانه يستوعب جملة المعارف المشار إليها مباحثة ومدارسة ونظراً وعملاً بمقتضاها.

كان النورسي على العموم يجل كثيراً العلماء والفقهاء، ولا يذكرهم إلاّ بخير ما وجد إلى ذلك سبيلاً، تجد هذا الملمح في التعامل مستوعباً للقدامى والمحدثين على السواء، يفسّره تفضيله الأئمة الأربعة من القدامى، على الأقطاب والشيوخ المعروفين في التصوف والتاريخ الإسلامي في الفضيلة الكلية.[33] ومع حبّه وتقديره للفقه وأهله، كان يحتهد في منع خروج الآراء الفقهية والمذاهب الفقهية عن مسارها الصحيح، ويحذر من المسّ بتقديس النصوص الشرعية في مقابل هذه المذاهب والآراء، فيبذل وسعه لأجل الحفاظ على هيمنة القرآن والسنة على قلوب وعقول العباد وأفعالهم وأقوالهم وأحوالهم، بل كان يرى أنّ سعادة الأمة ومسلك إسعادها ونجاحها في الدنيا وفلاحها في الآخرة مستمد من هيمنة الكتاب والسنة على القلوب والعقول والأبدان، ذلك أنّ هذه الهيمنة هي نقطة تساندها وتعاونها وجمعها، ولهذا ليست الآراء الفقهية ومذاهبها إلاّ وسائل تشف عن قدسية هذه النصوص، يقرر هذه المعاني الراقية والأصيلة بقوله: ''إنّ الذي يسوق جمهور الناس إلى الاتباع وامتثال الأوامر، هو ما يتحلّى به المصدر من قدسية، هذه القدسية هي التي تدفع جمهور الناس إلى الانقياد، أكثر من قوة البرهان ومتانة الحجة، فينبغي إذن أن تكون الكتب الفقهية بمثابة وسائل شفافة -كالزجاج- لعرض قدسية القرآن الكريم، وليس حجاباً دونه، أو بديلاً عنه''.[34]

المذهب والرأي الفقهي حينما يخرج عن مساره، ويعتقد فيه القدسية، يتجاوز طوره فيعود بالإبطال على أصله الذي استمد منه "النص المقدس" وبهذا يتحول تقليده إلى فعل محرم، لأن الرأي الفقهي بهذا الفهم والتعامل قد تحوّل من وسيلة أو أداة إلى غاية في حدّ ذاته، فأصبح بهذا الفهم الرأي الفقهي الذي هو وسيلة أهم من الغاية التي هي النص واتباعه والالتزام به.

قال الأستاذ بديع الزمان: "... فالكتب الفقهية إذن، ينبغي أن تكون شفافة لعرض القرآن الكريم وإظهاره، ولا تصبح حجاباً دونه كما آلت إليه -بمرور الزمان- من جراء بعض المقلدين..."[35]

لهذا خلُص الأستاذ إلى أنّ الأساس المقبول والتعامل السليم مع التراث الفقهي والآراء الاجتهادية لعظماء المسلمين، هو التأكيد على أنّها وسيلة لفهم النصوص ومعرفة ما يأمر به الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لا غير، وشدُّ الأنظار دوماً إلى المستوى الأعلى لتلك الكتب باستمرار، وهذا المستوى الأعلى هو القرآن الكريم، وإظهاره في بوصفه الأنموذج الذي تشرئب إليه الأعناق دوما وترتبط به الهمم باستمرار، كي يعرف الناس أن الأحكام تؤخذ من منبعها الأساس، وأنّ المسائل الاجتهادية قابلة للمراجعة والاستدراك وتلافي النقص فيها من مظانها.

وبهذا السياق نؤكّد أنّه لم يكن من قصد المجتهدين من الفقهاء إلزام الناس بآراء أو تقديس الرأي على حساب النص، بل أفضى هذا الفهم السقيم، سوء التعامل مع هذه الاجتهادات الفقهية، فجعل الرأي الفقهي والمذهب حجاباً مانعا من الوصول إلى النص، إنّ إزالة هذا الحجاب لا تكون بنقد وتجريح الأئمة الأعلام، لأنه ظلمٌ في حقهم وغفلة عن فضائله وتجاوز على منزلتهم، وهي عادة سيّئة دأب عليها بعض من المتطفلة على العلم والدين.[36]

ولم يكن النورسي مع الانسلاخ من المذاهب الفقهية، بل ردّ دعوى الانسلاخ على الذين أعجبوا بأنفسهم وآرائهم وادعوا الاجتهاد وبلوغ مكانة المجتهدين، وهم في الحقيقة من أهل الضلال، إذ يقول: "... فهم أناس مغرورون جداً، ومعجبون بأنفسهم أيّما إعجاب، يريدون أن يبثوا انسلاخهم من المذاهب الفقهية تحت ادعاء أنهم في مستوى المجتهدين العظام، بل يحاولون إمرار إلحادهم وانسلاخهم من الدين بادعاء

أنهم في مستوى الصحب الكرام، فهؤلاء الضالون قد وقعوا: أولاً: في هاوية السفاهة حتى غدوا معتادين عليها، ولا يستطيعون أن يتركوا ما اعتادوه، وينهضوا بتكاليف الشرع التي تردعهم عن السفاهة. فترى أحدهم يبرر نفسه قائلاً: إن هذه المسائل إنما هي مسائل اجتهادية، والمذاهب الفقهية متباينة في أمثال هذه المسائل، وهم رجال قد اجتهدوا ونحن أيضاً رجال أمثالهم، يمكننا أن نجتهد مثلهم، فلربما يخطؤون مثلنا، لذا نؤدي العبادات بالشكل الذي يروق لنا نحن، أي: لسنا مضطرين إلى اتباعهم!! فهؤلاء التعساء يحلُّون ربقة المذاهب عن أنفسهم بهذه الدسيسة الشيطانية. فما أوهاها من دسيسة وما أرخصها من تبرير!"[37]

وما تقدّم عرضه هو جزء من رؤية النورسي المنهجية المعتمدة على تحليل علمي رصين لوجود المذاهب الفقهية المختلفة، تحليل علمي ومنهجي في غاية الدقة، ويشهد لما سبق تقريره قوله: "... ففي زمن الأنبياء السابقين (عليهم السلام) كانت الطبقات البشرية متباعدة بعضها عن بعض، مع ما فيهم من جفاء وشدة في السجايا، فكانوا أقرب ما يكونون إلى البداوة في الأفكار، لذا أتت الشرائع في تلك الأزمنة متباينة مختلفة، مع موافقتها لأحوالهم وانسجامها على أوضاعهم، حتى لقد أتى أنبياء متعددون بشرائع مختلفة في منطقة واحدة وفي عصر واحد. ولكن بمجيء خاتم النبيين وهو نبي آخر الزمان صلى الله عليه وسلم تكاملت البشرية وكأنها ترقت من مرحلة الدراسة الابتدائية فالثانوية إلى مرحلة الدراسة العالية، وأصبحت أهلاً لأن تتلقى درساً واحداً، وتنصت إلى معلم واحد، وتعمل بشريعة واحدة. فرغم كثرة الاختلافات لم تعد هناك حاجة إلى شرائع عدة، ولا ضرورة إلى معلمين عديدين. ولكن لعجز البشرية من أن تصل جميعاً إلى مستوى واحد، وعدم تمكنها من السير على نمطٍ واحدٍ في حياتها الاجتماعية، فقد تعددت المذاهب الفقهية في الفروع. فلو تمكنت البشرية -بأكثريتها المطلقة- أن تحيا حياة اجتماعية واحدة، وأصبحت في مستوى واحد، فحينئذ يمكن أن تتوحد المذاهب".[38]

فهم المذاهب الفقهية والاجتهادات الفقهية المختلفة وفق هذه الرؤية، لا يورث منه تكدير صفو المسلمين، ونشر العداوة بينهم، وخاصة إذا انتبهوا -بعد هيمنة القرآن على قلوبهم وعقلوهم- إلى أنّ الاختلاف الفقهي المعبّر عنه بمختلف المذاهب المتباينة دليل على كمال الشريعة وصلاحيتها لكل شخص وعصر، فيزيده الثبات في الإيمان والاعتقاد بقدسية النصوص.

ب. نماذج من توظيف الاختلاف الفقهي في جمع الكلمة وتوحيد الصف في رسائل النور:

تعدد الأنظار أمر مستساغ في الشريعة الإسلامية إذا كان وفق الضوابط والأسس العلمية المعتبرة، لهذا يؤكّد الأستاذ أنّه ليس من قصده توحيد المذاهب الفقهية والآراء المتباينة، لأنها بنظر موضوعي واقعة لا محالة، ذلك أنّه ليس بمقدور كل الناس التفكير وفق طريقة نمطية واحدة، هذا فضلاً عن تباين ظروفهم ومعطياتهم الزمانية والمكانية، يسجّل هذا التحليل بقوله: ''...لعجز البشرية من أن تصل جميعاً الى مستوى واحد، وعدم تمكنها من السير على نمط واحد في حياتها الاجتماعية، فقد تعددت المذاهب الفقهية في الفروع. فلو تمكنت البشرية -بأكثريتها المطلقة- أن تحيا حياة اجتماعية واحدة، وأصبحت في مستوى واحد، فحينئذ يمكن أن تتوحد المذاهب، ولكن مثلما لا تسمح أحوال العالم وطبائع الناس، لبلوغ تلك الحالة، فإنّ المذاهب كذلك لا تكون واحدة...''[39] إذاً لا بدّ من الوقوف عند نقطة يمكن من خلالها الحد من الآثار السلبية للاختلاف، والابتعاد عما يمكن أنْ يعكر صفو الأخوة وروح المساندة والتعاون بين متبعي مختلف الآراء والمذاهب المختلفة، وقد وُفِّق الأستاذ النورسي في خدمة هذا المقصد بالتوظيف الإيجابي للاختلاف عوض استعماله استعمالاً سلبياً، فجعل (رحمه الله) من الاختلاف الفقهي منطلقاً لتوحيد الفكر والقلب، وتأسيساً لقبول الرأي المخالف، فكان الخوض في هذه المسائل مدخلاً لتمتين العلاقات الأخوية بين المسلمين، سنكتفي في هذه العجالة بذكر نماذج من المسائل ذات الصلة، منها على سبيل المثال لا الحصر ما أورده في رسائل النور: ''قراءة الفاتحة في الصلاة''، و ''مسألة حول 'بسم الله الرحمن الرحيم' كآية من القرآن أو الفاتحة''،[40] وغيرهما. وطبيعة البحث من الناحية المنهجية فرضت التوقّف عند أنموذج واحد فقط ممثلاً في المسألة الأولى.

معلوم أنّ قراءة الفاتحة في الصلاة لازمة في حق الإمام والمأموم عند الشافعية، ولا يُلْزَمُ بها المأموم عند الحنفية.[41] والمسألة مع اختلاف الرأيين فيها وتباينهما، إلاّ أن الأستاذ النورسي يربط الموضوع بتعدد الحق، ويبيّن أن الرأيين على الحق، بل هما ضمن ذات الحكمة وعينها.[42] وهذا بعد عرض المسألة بطريقة علمية موضوعية، وسعى بعد التحليل إلى توظيفها توظيفاً يقبله كل من يسمعه. قال بديع الزمان النورسي: ''نجد أن أكثرية الذين يتبعون الإمام الشافعي رضي الله عنه هم أقرب من

الأحناف إلى البداوة وحياة الريف، تلك الحياة القاصرة عن حياة اجتماعية توحد الجماعة. فيرغب كلّ فرد في بث ما يجده في نفسه إلى قاضي الحاجات بكل اطمئنان وحضور قلب، ويطلب حاجته الخاصة بنفسه ويلتجئ إليه، فيقرأ سورة الفاتحة بنفسه رغم أنه تابع للإمام. وهذا هو عين الحق، وحكمة محضة في الوقت نفسه. أما الذين يتبعون الإمام الأعظم ''أبو حنيفة النعمان'' رضي الله عنه فهم بأكثريتهم المطلقة أقرب إلى الحضارة وحياة المدن المؤهلة لحياة اجتماعية، وذلك بحكم التزام أغلب الحكومات الإسلامية لهذا المذهب. فصارت الجماعة الواحدة في الصلاة كأنها فرد واحد، وأصبح الفرد الواحد يتكلّم باسم الجميع، وحيث أن الجميع يصدقونه ويرتبطون به قلباً، فإنّ قوله يكون في حكم قول الجميع، فعدم قراءة الفرد وراء الإمام بـ ''الفاتحة'' هو عين الحق وذات الحكمة''.[43]

انظر كيف وظّف الاختلاف الفقهي في توحيد القلوب، فمن تمذهب بالمذهب الشافعي عندما يقرأ رأي الحنفية من خلال هذه النافذة يسلّم بهذه الحكمة ويقبلها بكلّ قلبه، وهكذا المتمذهب بالحنفية، فصار التعرّف على الرأي الآخر وفق هذه الرؤية أمراً جوهرياً، يمكن من خلاله توحيد القلوب مع الإقرار بالحق في اختلاف الآراء. ويشير من خلال مسألة ''قراءة الفاتحة والحكمة منها'' إلى شيء آخر قريب منه من حيث المعنى والقصد، خصوصاً عندما يقرأ المصلي قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾،[الفاتحة:٥] فإنّ المصلي ينضم بقراءته لهذه الآية إلى ثلاث جماعات ودوائر، الجماعة الكبرى للمؤمنين على الأرض أولاً، ثمّ جماعة الموجودات كافة، وعالم الذرات والحواس الظاهرة للمصلي نفسه في الدائرة الثالثة، قال (رحمه الله): ''تأملت ذات يوم في ''ن'' المتكلم مع الغير في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] وتحرّى قلبي وبحث عن سبب انتقال صيغة المتكلم الواحد إلى صيغة الجمع ﴿نَعْبُدُ..﴾ فبرزت فجأة فضيلة صلاة الجماعة وحكمتها من تلك ''النون''، إذ رأيت أنه بسبب مشاركتي للجماعة في الصلاة التي أدَّيتها في جامع ''بايزيد''، يكون كلّ فرد منها بمثابة شفيع لي، ورأيت أن كل فرد من أفراد تلك الجماعة شاهدٌ ومؤيدٌ لما أظهرته من أحكام وقضايا في قراءتي. فولّد ذلك عندي الشجاعة الكافية لكي أقدم عبادتي الناقصة، وأرفعها مضمومة مع العبادة الهائلة لتلك الجماعة إلى الحضرة الإلهية المقدسة. وبينما كنت أتأمل في هذا؛ إذا بستار آخر يُرفع، ورأيت أن جميع ''مساجد إسطنبول'' قد اتصلت وترابط بعضها ببعض؛ فأصبحت تلك المدينة كهذا الجامع، واستشعرت بشرف أدعيتهم جميعاً بل تصديقهم كذلك. وهناك رأيت نفسي محشوراً

في تلك الصفوف الدائرية على مسجد سطح الأرض المتحلقة حلقات حول الكعبة المشرفة، فحمدت الله كثيراً وقلت: ﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ...﴾[الفاتحة:١] إن لي كل هذه الكثرة الكاثرة من الشفعاء، وممّن يرددون معي، ويصدّقونني في كل ما أقوله في الصلاة. وقلت: ما دام الستار قد رفع هكذا خيالاً.. وأصبحت الكعبة المشرفة بحكم محراب لأهل الأرض، فلأغتنم إذن هذه الفرصة، ولأدع فيها خلاصة الإيمان التي أذكرها في التشهد وهي، ''أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله'' وأسلمها أمانة عند الحجر الأسود. متخذاً الصفوف شهداء عليها. وهنا انكشفت حالة أخرى، إذ رأيت: أن الجماعة التي انضممت إليها قد أصبحت ثلاث جماعات ودوائر: الأولى: هي الجماعة الكبرى المؤلفة من المؤمنين الموحدين على وجه الأرض قاطبة. الثانية: هي جماعة الموجودات كافة حيث ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾[النور:٤١] فرأيت نفسي مع صلاتها الكبرى وفي تسبيحاتها العظمى... وأن ما يسمَّى وظائف الأشياء وأعمالها، إن هو إلاّ عناوين عباداتها وعبوديتها... فطأطأت رأسي حائراً أمام هذه العظمة قائلاً: ''الله أكبر''، وتأملت في نفسي وفي الدائرة. الثالثة: ورأيت عالماً يبدأ من ذرات وجودي، وينتهي إلى حواسي الظاهرة؛ فهو عالم صغير وصغير... إلاّ أنه عظيم جداً يدعو إلى الحيرة والإعجاب. وهو عالم ظاهره متناهٍ في الصغر، إلاّ أن حقيقته عظيمة، ووظائفه جليلة ''.[44]

فمن كانت صلاته بهذه الكيفية وعلى هذه المعاني الروحية واللذة المعنوية، لا يسع المنكر لقراءة الفاتحة إلا اعتبار القراءة في الصلاة من الحكمة بغض النظر عن الأدلة والبراهين التشريعية، ولا يتعصب إلى رأيه ولا يخطِّئ الآخرين، فالمصلي الخاشع يقرأ وكأنه بلسان جميع المخلوقات يتكلم مع الله، والموجودات كذلك تتكلم باسمه، وبهذا يولد لديه الربط والتساند حتى مع الجمادات وجميع المخلوقات فضلاً عن المؤمنين، وكذلك جميع الأذكار الأخرى في الصلاة، كالشهادة، والتسبيحات، والأذكار... والخ، يجعل المؤمن داخل صف الملايين من المؤمنين المتكلمين بما تكلم به، ويصدقونه ويشهدون له في دعواه، وكذلك يؤيده كل ما قام على صدق الإسلام.

قال الأستاذ النورسي: ''اعلم! أيها المؤمن المصلي الذاكر، إذا قلت: ''أشهدُ أن لا إلهَ إلاّ الله'' أو ''محمدٌ رسولُ الله'' أو ''الحمد لله''... مثلاً: حكمتَ بحكمٍ، ادّعيتَ دعوى، وأعلنت اعتقاداً، يشهد لك في دعواك في آن تلفظك ملايين، وقبلك ملايين ملايين من المؤمنين المتكلمين بما تكلمت به؛ كأنهم يصدّقونك... وكذا يؤيدك في

دعواك، ويُثبت حكمَك، ويزكّي شهداءك، كلُّ ما قام على صدق الإسلامية، وكلُّ ما أثبت حُكماً من أحكامها، وكلُّ ما استند عليه جزءٌ من أجزاء قصر الإسلام من الشواهد والبراهين ومسامير الدلائل... وكذا اندمج في ملفوظك وتوضَّعَ عليه أمرٌ عظيم، ويُمنٌ جسيمٌ من الفيوضات والبركات القدسية... وكذا اتصل بملفوظك وأحاطَ به معنىً جاذب، وروحٌ جالب، من شرارات جَذَبات توجهات جمهور المؤمنين، ومن رشاشات رشحات رشفات قلوب الموحّدين الشاربين ماء الحياة، من عيون تلك الكلمات المباركة".[45]

ج. التعصب المذهبي:

التعصب المذهبي الذي هو: "الميل مع الهوى لأجل نصرة المذهب، ومعاملة الإمامِ الآخر ومقلديه بما يَحُطُّ من قدرهم"،[46] من أبعد الأمور عن رسائل النور وفكر بديع الزمان، فهذا النمط من التفكير فيه اتباع الهوى، وإلزام الناس برأي دون آخر بدافع بعيد عن الإنصاف والموضوعية، ومعاملة الرأي المخالف وصاحبه معاملة فيها احتقار والتقليل من الشأن. وهو نمط تسعى رسائل النور إلى دفعه والتربية على خلافه، لهذا يميل الأستاذ عن هذا المنطق في توجيه الانتماء إلى المذاهب الفقهية، فتنفي رسائل النور هذه الرؤية جملة وتفصيلاً، لأن الغاية الأسمى في رسائل النور هي: اتباع الشرع، ونصرته بالبرهان والدليل، وانتشار روح الإخلاص والتعاون والتساند بين جميع الناس عموماً، والمسلمين على الخصوص. ومعلوم أن التعصب ينجم عنه التشاحن والتباغض والحقد والحسد المذموم المحرم، وعندما نقلب صفحات التاريخ نراها طافحة بمثل هذه المواقف المؤلمة الناجمة عن الجهل، أو الغلو والتطرف، أو تناسي العبودية لله، أو الجميع.[47]

ولم تكن جهود النورسي نظرية أو تنظيرية لمسالك تسيير الاختلاف فحسب، بل كانت حياته ومواقفه طافحة بتدبير شأن الاختلاف وفي ضوء هذه الرؤية المتكاملة، كما كان اقتناعه بهذا المسلك دافعاً قوياً لتحمّل الضغوط التي تعرّض لها جرّاء محاولات إجباره على اتباع الفتوى التي أصدرها في عصره بعض ممن ينتسبون إلى العلم، وأقصد بها على وجه التحديد، مسألة ترجمة الأذان الشرعي والصلاة وغيرها من الشعائر الدينية العربية، ونبّه في هذا السياق إلى أنّ المائل إلى هذا الرأي فهم فهماً خاطئاً وقصد تحريف الكلام عن مواضعه، إذ به تحريف مقصود لبعض ما صحّ نقله

من نصوص المذهب الحنفي. يسجّل هذه التنبيه في قوله: ''بأي قانون وبأية قاعدة تكلفون من هو شافعي المذهب مثلي، اتباع فتوى تنافي صفاء المذهب الحنفي وسموه، أفتى بها علماء السوء الذين باعوا ضمائرهم لمغنم دنيوي. فلو حاولتم إزالة المذهب الشافعي -علماً أنّ متبعيه في هذا المسلك يعدّون بالملايين- وسعيتم لجعلهم أحناف، ثم أكرهتموني على اتباع هذه الفتوى إكراهاً بالقوة، ربما يكون ذلك قانوناً ظالماً من قوانين الملحدين أمثالكم، وإلاّ فهو دناءة يقترفها بعضهم حسب أهوائه!. إننا لسنا تابعين لأهواء أمثال هؤلاء، ولا نعرفهم أصلاً''.[48] فبيّن (رحمه الله) أن إلزام الناس أو العلماء خصوصاً باتباع فتاوى معيّنة، إمّا ظلم، أو دناءة تابعة للأهواء.

كان النورسي مع هذه التربية الروحية المنهجية بأسلوب علمي رصين، يؤكّد لتلاميذه قاعدة ذهبية مقتضاها: ''إن أستاذكم ليس معصوماً من الخطأ...''[49] وكان مع هذا يقول: ''...حذار، حذار، من فتح باب النقد... فليكن كل منكم ناشراً لفضائل الآخرين...''[50] و: ''لا ينبغي فتح باب المناقشة في الأمور الفرعية الجزئية التي تسبب الاختلاف...'' لأنّ ''...الضلالة والزندقة تستغل الاختلاف في هذا العصر...''[51] وتأكيدا للتحذير من الشر المستطير من الخلاف كان يقول عن الخلاف بأنّه: ''...ألدّ أعداء إعلاء كلمة الله''،[52] ومعلوم أن التعصّب يحوِّل الاختلاف الجائز المشروع إلى الخلاف والتفرق الممقوت. ولهذا جعل التعصّب سبباً في التأخر والتدني أحوالهم وسوء أوضاعهم، وخاصة إن صدر عن عالم جاهل، أو جاهل عالم.[53] ودفعاً للخلط المتعمّد حيناً وغير المقصود حيناً آخر، ميّز بديع الزمان بين الصلابة في التمسك بالدِّين وبين التعصب، فانتهى إلى أنّ التعصب ناشئ عن الجهل وعدم المحاكمة العقلية، بينما التمسك بالدين والصلابة فيه هو المتانة والثبات والتمسك بالحق، وشتّان ما بينهما.[54]

ولأجل التحقق الباطني والظاهري لهذه المعاني وضع النورسي جملة من القواعد نفياً للتعصب وإبعاده عن فكر المؤمن، ونبّه إلى أنّ مصدر هذا البلاء هو الغرور بالرأي، وحبّ الذات والنفس، وتفضيل النفس والرأي والمذهب على الآخرين،[55] وكلّها تنافي قواعد عليها مدار روح التعاون والأخوة وحب الناس ونشر المحبة بينهم وتمتينا للروابط فيما بينهم، بل يوسّع الأستاذ من شبكتها فيدعو إلى إعمالها حتى بين المؤمن منهم وغير المؤمن، آثرنا في هذا المقام التوقّف عند بعض من تلك القواعد الذهبية وهي في تمتين الصلات الإنسانية، منها على سبيل المثال لا الحصر:

قاعدة: ''خذ ما صفا، دع ما كدر''.[56] وقد قال في شرحها: ''...فانظر بحسن، وشاهد بحسن، ليكون فكرك حسناً، وظن ظناً حسناً، وفكِّر حسناً، لتجد الحياة اللذيذة الهانئة''.[57]

– قاعدة: ''يحق لكل امريء أن يقول في مذهبه: هو حق، هو حسن، ولكن لا يحق له القول: هو الحق، هو الحسن''.[58]

ونختم ما كتبناه عن التعصب المذهبي بكلام نفيس للأستاذ بديع الزمان، نص بيّن فيه خطورة ما ينتهي بنا إليه التعصب، فعرض الفكرة في أسلوب تحليلي رائع ورائق، قال فيه: ''فالأدوية تتعدد حسب تعدد الإدواء، ويكون تعددها حقاً... وهكذا الحق يتعدد. والحاجات والأغذية تتنوع، وتنوعها حق.. وهكذا الحق يتنوع. والاستعدادات ووسائل التربية تتشعب، وتشعبها حق... وهكذا الحق يتشعب. فالمادة الواحدة قد تكون داءً ودواءً حسب مزاجين اثنين... إذ تعطى نسبية مركبة وفق أمزجة المكلفين، وهكذا تتحقق وتتركب. إن صاحب كل مذهب يحكم حكماً مطلقاً مهملاً من دون أن يعين حدود مذهبه، إذ يدعه لاختلاف الأمزجة، ولكن التعصب المذهبي هو الذي يولد التعميم ولدى الالتزام بالتعميم ينشأ النزاع''.[59]

د. مسائل فقهية مختلفة يبتغى منها توحيد القلوب والصفوف:

أولاً: الربا والزكاة:

مبحثان من المباحث الفقهية، أمرنا القرآن باجتناب الأول منهما، والتزام الثاني عند توفر شروطه، نبّه النورسي إلى الحكمة من هاتين العبادتين والمسألتين، بقوله: ''إن المدنية بكل جمعياتها الخيرية، وأنظمتها الصارمة، ونظمها الجبارة، ومؤسساتها التربوية الأخلاقية لم تستطع أن تعارض مسألتين من القرآن الكريم، بل انهارت أمامهما، وهي في قوله تعالى: ﴿وَآتُواْ الزَّكَاةَ﴾البقرة:٤٣ و ﴿...وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾البقرة:٢٧٥ ...إنّ أس أساس جميع الاضطرابات والثورات في المجتمع الإنساني إنما هو كلمة واحدة، كما أنّ منبع جميع الأخلاق الرذيلة كلمة واحدة أيضاً.

الكلمة الأولى: ''إن شبعتُ، فلا عليّ أن يموت غيري ''. الكلمة الثانية: ''اكتسبْ أنتَ، لآكل أنا، واتعبْ أنت لأستريح أنا''. نعم، إنّه لا يمكن العيش بسلام ووئام في مجتمع إلاّ بالمحافظة على التوزان القائم بين الخواص والعوام، أي: بين الأغنياء

والفقراء، وأساس هذا التوزان هو: رحمة الخواص وشفقتهم على العوام، وإطاعة العوام واحترامهم للخواص.

ساقت الكلمة الأولى الخواص إلى الظلم والفساد، ودفعت الكلمة الثانية العوام إلى الحقد والحسد والصراع. فسُلبت البشرية الراحة والأمان لعصور خلت كما هو في هذا العصر، حيث ظهرت حوادث أوربا الجسام بالصراع القائم بين العاملين وأصحاب رأس المال كما لا يخفى على أحد''.[60]

ثانياً: صلاة الجنازة:

صلاة الجنازة على ميت مسلم من الفروض الكفائية، بحيث إذا قام به الواحد يسقط الفرض عن الباقين. وقد تطرق النورسي إلى هذه العبادة وشجّع المسلمين من أهل السنة على حضور صلاة الجنازة على ميت العلويين من الشيعة، انطلاقاً من توحيد الصف بين الفريقين ونبذ الكراهية من القلوب، وعدم تجريحهم واعتبارهم من المنافقين، يسجّل الأستاذ هذا التقرير بقوله: ''ولوجود العلويين بكثرة في تلك القرية (على كوي) والتحاق قسم منهم بالرافضة. يلزم ألاّ يدخل أحدهم ضمن حقيقة المنافقين، لأن المنافق لا إيمان له، ولا قلب له يخفق بالإيمان، ولا ضمير له يتحرك، ويعادي النبي صلى الله عليه وسلم كما هو الحال لدى زنادقة الوقت الحاضر. أما الغلاة من العلويين والشيعة، فلا يضمرون العداء للنبي، بل يكنّون حباً مفرطًا لآل البيت. فهم يفرطون مقابل تفريط المنافقين في حبهم. وعندما يتجاوزون حدود الشريعة لا يكونون منافقين، بل فسّاقاً من أهل البدع، فلا يدخلون ضمن زمرة الزنادقة ما لم يتعرضوا للخلفاء الراشدين الثلاثة ''أبي بكر وعمر وعثمان'' الذين رضي بهم، بل عاونهم سيدنا علي ﷺ أجمعين، ويكفي أن يحترموهم كما كان سيدنا علي يحبّهم، ويؤدوا الفرائض... ولقد سمعت -قبل سنتين- استنساخ الصبيان الأبرياء لرسائل النور في تلك القرية، بهمة جادة لإخوتنا الثلاثة هناك، وبشوقهم العظيم. فأدخلت تلك القرية برمتها ضمن دعواتي. فتلك الدعوات التي دعوتها بحق تلك القرية، لن تذهب هباءً بفضل الله، ثمّ بفضل مساعي إخواننا هناك. وسيتفق أهل السنة والعلويون هناك''.[61]

وهذا درس تطبيقي من الأستاذ النورسي في نبذ الفرقة والتشجيع على الاتفاق مع العلوبين، ثم يوسّع من دائرة التلاقي والتعاون، فيدعو اقتراب المسلمين المتدينين من

النصارى.

ثالثاً: قراءة ترجمة الفاتحة في الصلاة:

يرى الحنفية -عند الحاجة- إمكان أن تحل ترجمة سورة الفاتحة مكان السورة نفسها في الصلاة، بينما يرى جمهور الفقهاء عدم جواز القراءة بغير ما أنزلت به السورة، من هنا قالوا بوجوب القراءة باللغة العربية.[62]

هذه المسألة من المسائل الخلافية في الفقه الإسلامي بين الحنفية من جهة وجمهور العلماء من الجهة الثانية، يوافق النورسي رأي الجمهور في المسألة، ويدافع عنه بالبرهان، موضحاً وجوه ترجيحه بقوله: لا يمكن ترجمة القرآن الترجمة الحقيقية، بحيث تحل الترجمة محل النص الإلهي المقدس، لأن اللفظ القرآني يحمل من الخصائص والمزايا البلاغية بدرجة استحالة أن تقوم لغة أخرى مكانه، فضلاً عن الجانب التعبدي من الأجر على كل حرف من النص الإلهي بعشر أمثالها بل أزيد، وربط الإعجاز باللفظ العربي دون غيره،[63] وهو ذات سبب إنكار النورسي على الدولة العلمانية الأذان والعبادات الأخرى بغير اللغة العربية، تلك الدولة التي حملها التعصّب للغة على حساب لغة القرآن على هذا الرأي المشين، كما يمكن أن تكون حملت على هذا الرأي بدافع الإنكار والعناد والكفر. وقد وجد هؤلاء الظلمة علماء منحرفين مخرجاً في نص نقل عن الأحناف، فهموا منه فهماً سقيماً أو حرفوه عن مراده الحقيقي. حارب النورسي هذه الفكرة جملة وتفصيلاً، لما فيها من اتباع الهوى وتفريق لصف المسلمين، فكان إنكاره الفتوى لأجل حماية وحدة صف المؤمنين أوتوحيدهم بعد تشتت، نبذاً للتعصب والأنانية، وسداً لباب القومية المقيتة التي تقصر الأفضلية في قومٍ ولغة معيّنة. وأرجع الفتوى إلى مرجعها الحقيقي ومدلولاتها المتوافقة مع ما أورده علماء الحنفية.

قال بديع الزمان: ''...فكيف تكلفوني بذلك؟ وبأي قانون؟ إن الأكراد الذين يبلغ تعدادهم الملايين، لم ينسوا قوميتهم ولا لسانهم منذ ألوف السنين، وكانوا إخوة حقيقيين للأتراك في الوطن، ورفاقهم في سوح الجهاد منذ سالف العصور، أقول: إن أزلتم قوميتهم وأنسيتموهم لسانهم، فلربما يكون تكليفكم هذا لأمثالنا -ممن يعدّون من عنصر آخر- دستوراً همجياً من دساتيركم. وإلاّ فهو مجرد هوى وتصرف اعتباطي لا غير. ألا إن أهواء الأشخاص لا تتبع، ولا نتبعها نحن''.[64] وبيّن الأستاذ أنّ الأصل

الصحيح للفتوى عند الحنفية هو أنّ ''فتوى الإمام الاعظم، فتوى خاصة بخمس جهات: الأولى: أنها تخص أولئك القاطنين في دار أخرى، وبلاد بعيدة عن مركز دار الإسلام. الثانية: أنها مبنية على الحاجة الحقيقية. الثالثة: أنها خاصة بترجمتها إلى الفارسية، التي تعد -في رواية- من لسان أهل الجنة. الرابعة: أنها حكم بالجواز خصيصاً لسورة الفاتحة، لئلا يترك الصلاة من لا يعرف سورة الفاتحة. الخامسة: لقد أظهر الجواز ليكون باعثاً لفهم العوام المعاني المقدسة -بحمية إسلامية نابعة عن قوة الإيمان- والحال إن ترك أصلها العربي، وترجمتها بدافع الهدم الناشئ من ضعف الإيمان، والنابع من فكر العنصرية والنفور من لسان العربية -الناجمة من ضعف الإيمان- ما هو الاّ دفع للناس إلى ترك الدين والخروج عليه''.[65]

يستشف مما سلف تقريره بقول الأستاذ أنّ المسألة فقهية بامتياز، وعوض أن تقرأ في سياقها الذي وردت فيه، فتكون غنية بالمعاني والأبعاد المعرفية والمنهجية، فحوّلت عن سبيلها، فاستغلت كأداة للتمييز والتفرقة والتعصب ونسف روح التعاون والمساندة والتساند بين المسلمين، وتوظيفها في مصلحة الكفر وأعوانه. فلنتخيل لو فتحنا الباب هذا على مصراعيه كما أراده الكفر كيف تتفرق الأمة، ويتبع كل قوم هواهم، ويتعصبون للغتهم، وفي مثل هذه الأحوال يصبح التدين تابعاً للأهواء والأمزجة، ويبعد الناس عن هيمنة النص الإلهي. فتبيّن أنّ النورسي بنظره العميق وتدبيره الحكيم يسعى جاهدا لتحقيق وحدة الصف ومنع كلّ ما شأنه تعكير الصفو تشتيت الجهد وتفريق الكلمة.

رابعاً: ضرر قليل النجاسة في العبادات، ونقض الوضوء بلمس المرأة الأجنبية:

معلوم في الفقه الإسلامي أنّ النجاسة عند السادة الشافعية تضر في العبادات ولو كانت قليلة، وكذلك نقض الوضوء بلمس المرأة الأجنبية عندهم، بينما اتجه السادة الحنفية اتجاهاً معاكساً في الأمرين، فيعفى عندهم عن النجاسة حتى قدر الدرهم، واللمس لا ينقض به الوضوء.[66]

والنورسي الذي يؤمن بتعدد الحق ويرجّح مذهب المُصَوِّبة يجعل من عرض المسألة وسيلة لتوحيد القلوب وجمع الكلمة، تيسيراً لاستساغة الاختلاف، وبهذا يمنع الاختلاف من التحوّل إلى آلة للتشاجر أو الغيظ والحقد بين المنتمين إلى الرأيين، لأنّ الأستاذ يؤمن في هذا المقام بأنّ الاختلاف فيه رحمة للأمة الإسلامية.

قال الأستاذ بديع الزمان: ''لما كانت الشريعة تضع حواجز لتحول دون تجاوز طبائع البشر حدودها، فتقوّمها بها وتؤدبها، فتربى النفس الأمارة بالسوء، فلابد أن: ينقض الوضوء بمس المرأة، وقليل من النجاسة يضر، حسب المذهب الشافعي الذي أكثر أتباعه من أهل القرى وأنصاف البدو والمنهمكين بالعمل. أمّا حسب المذهب الحنفي الذين هم بأكثريتهم المطلقة قد دخلوا الحياة الاجتماعية، واتخذوا طور أنصاف متحضرين فـ: لا ينقض الوضوء من مسِّ المرأة، ويسمح بقدر درهم من النجاسة. ولننظر الآن إلى عامل وإلى موظف: فالعامل بحكم معيشته في القرية معرض للاختلاط والتماس بالنساء الأجنبيات والجلوس معاً حول موقد واحد، والولوج في أماكن ملوثة، فهو مبتلى بكل هذا، بحكم مهنته ومعيشته، وقد تجد نفسه الأمارة بالسوء مجالاً أمامها لتتجاوز حدودها؛ لذا تلقي الشريعة في روع هذا، صدىً سماوياً فتمنع تلك التجاوزات بأمرها له: لا تمس ما ينقض الوضوء، فتبطل صلاتك. أمّا ذلك الموظف، فهو حسب عادته الاجتماعية لا يتعرض للاختلاط بالنساء الأجنبيات – بشرط أن يكون نبيلاً– ولا يلوث نفسه كثيراً بالنجاسات، آخذاً بأسباب النظافة المدنية. لذا لم تشدد عليه الشريعة، بل أظهرت له جانب الرخصة –دون العزيمة– باسم المذهب الحنفي، وخففت عنه قائلة: إن مست يدك امرأة أجنبية فلا ينقض وضوءك، ولا ضرر عليك إن لم تستنج بالماء حياء من الحاضرين، فهناك سماح بقدر درهم من النجاسة فتخلصه بهذا من الوسوسة، وتنجّيه من التردد. فهاتان قطرتان من البحر نسوقهما مثالاً، قس عليهما...''[67] فمن يرى الأمر هكذا يسهل عليه قبول الرأي الآخر فيمتنع من الحقد والعداوة.

الخاتمة

الإحاطة بكلّ ما اشتملت عليه رسائل النور في موضوع الدراسة لا يسعه بحث أو ورقة بحثية، فتكفينا في مقام الإشارات التي ضمّنها البحث، ومع قلة العينات المختارة، فإنّها كانت دالة على جملة من القضايا الأساسية الآتية:

١. وحدة القلوب وجمع الكلمة في رسائل النور للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي من أهم ما تتعلّق به الهمم، وتبذل لأجل تحقيقه الأوقات وتصرف لأجله الطاقات، طلباً لمرضاة الله سبحانه وتعالى.

٢. مسالك قراءة الاختلافات الفقهية وطريقة التعامل معها في سياق معارف الوحي وتوجيهات الكتاب والسنة المطهّرة ومقاصدهما، تجعلها معارف مهمّة في توحيد

الكلمة عوض الفرقة، ذلك أنّ قراءتها وفق رؤية النورسي تجعلنا نعيد النظر في مسالك التعامل مع مسائل الاختلافات الفقهية في إطار الرؤية النورسية.

٣. التعاون دستور الحياة بين جميع المخلوقات في الكون، وتلبية أهل التكليف لهذا الدستور تكون استجابة لنداء الفطرة التي فطر الله الناس عليها. ولا شك أن من دواعي إنجاح التعاون التكاتف وتوحيد القلب وتجاوز الاختلافات الفطرية بين المخلوقات لأجل الحفاظ على تساندهم من أهم الغايات التي يتعلّق بها أهل الإيمان.

٤. توحيد القلب والقالب ليس مهمة سهلة، وخاصة في ظل ما عليه المجتمع الإنساني من تشتت في التفكير والتدبير، وهذا يستدعي الاعتماد على الوحي الإلهي في التذكير بالتعاون والتساند وتدبير الحياة بهما، وقد استطاع بديع الزمان سعيد النورسي بما استنبطه من القرآن الكريم أن يربط بين الأمرين لتحقيق هذا الغرض النفيس تنظيراً كما في رسائل النور، وتدبيراً كما شهدت به سيرته.

٥. الاختلافات الواردة في الآراء من علماء الشريعة الإسلامية لا تنافي تعدد الحق عند النورسي، أي أنّ الجميع -على رأيه- على حق في آرائهم، وخاصة إذا وظفت التوظيف السليم، فتكون دليلاً على خلود الشريعة، وعمومية الرسالة المحمدية، وتنم تلك الخصائص عن مواكبتها لتطور الحياة المعيشية، وتلبية الحاجات البشرية في كل زمان ومكان.

٦. رأس ما رمت إلى تحقيق القول فيه والتدريب عليه رسائل النور، الإيمان والعقيدة الحقة، باسترجاع هيمنة النص الإلهي إلى قلوب المسلمين وعقولهم، وهو الطريق المعبّدة لنبذ حبّ الذات والأنانية، ووسيلة فعّالة لنشر روح الأخوة والإخلاص، كما أنّه مبعث الاهتمام بسدّ باب النقد على الآخرين والأخذ بمزاياهم دون الالتفات إلى النقص الذي يعتريهم، وتلك هي أهم الأسس المعتمدة لتوحيد القلوب والأقوال والأفعال والأحوال في التعامل مع الأفكار المنحرفة الهدامة. فكان بديع الزمان بهذا الصنيع مدرسة متكاملة في نبذ الخلاف المؤدي إلى التشاجر نبذاً أبدياً فيما بين صفّ المسلمين، ونبذاً مؤقتاً فيما بين المسلمين وغيرهم، والتعامل مع الاختلاف في جميع الظروف بالحكمة والموعظة الحسنة.

٧. الجماعة والروح الجماعية والتعاون والشورى والاجتهاد الجماعي من أهم ما

يتفادى به الضعف وفق ما ورد في رسائل النور، كما أنّ الجماعية والشورى سبيل ضرورية لاسترجاع الشريعة قوتها في حياتنا العامة والخاصة، وهي المسلك الأهم لجمع القلوب عليها، فالزمن هذا زمن الجماعة والشورى وليس زمن الفرد مهما كان تفوقه.

٨. ليست المذاهب الفقهية إلا مرآة نرى من خلالها الشريعة، فلا مجال لجعل المذاهب متطابقة مع الشريعة تمام التطابق، لما بينهما من فروق جوهرية، من حيث العصمة والمصدر، كما أنّ المذاهب الفقهية وسيلة للوصول للتعرّف على ما حواه القرآن والسنة توجيهات ربانية توصلنا إلى الغاية النهائية التي يعرّفنا التي هي معرفة الله وعبادته، فلا يمكن الخلط بين الوسيلة والغاية قصداً أو سهواً.

٩. وضع النورسي عدداً من القواعد العلمية يدفع إعمالها الفُرْقَةَ والتفرّق، وهي قواعد حَرِيَة بجعلها أساساً في توحيد القلوب في مختلف ميادين المعرفة والعلوم، من ضمنها علمي الفقه وأصوله، من هذه القواعد: قاعدة: ''خذ ما صفا دع ما كدر'' وقاعدة: يحق لكل امريء أن يقول في مذهبه: ''هو حق، هو حسن''، ولكن لا يحق له أن يقول: ''هو الحسن، هو الحق''، وقاعدة: ''الفناء في الإخوان''، وقاعدة: ''هذا الزمن زمن الجماعة، ودستور الحياة التعاون، وما الجدال إلاّ دستور جزئي بين قسم من الحيوانات الظالمة''، وقاعدة: ''الخلاف ألد أعداء إعلاء كلمة الله''، وقاعدة: ''أساس الثورات والاضطرابات هو: إن شبعتُ، فلا عليّ أن يموت غيري من الجوع''. ومنبع الأخلاق الرذيلة: ''اكتسبْ أنتَ، لآكل أنا، واتعبْ أنت لأستريح أنا''.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١. الاجتهاد الجماعي وتطبيقاته المعاصرة: نصر محمود الكرنز، رسالة ماجستير في أصول الفقه مقدمة إلى كلية الشريعة والقانون بالجامعة الإسلامية بغزة -فلسطين، بإشراف الدكتور: ماهر حامد الحولي، سنة ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٢. الاجتهاد في العصر الحاضر: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، تخريج الأحاديث: فلاح عبد الرحمن عبد الله، ط ١، مطبعة الخلود، بغداد ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م.

٣. إرشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ)، تحقيق: أحمد عزو عناية، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان ١٩٩٩ م.

٤. الانسلاخ من المذاهب الفقهية (حقيقته - أسبابه وآثاره في الفقه الإسلامي): مليكة صوالح، مذكرة مقدمة من الطالبة إلى كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية بجامعة الحاج لخضر باتنة- الجزائر، قسم الشريعة، لنيل شهادة الماجستير في الفقه وأصوله بإشراف الأستاذ الدكتور رضوان بن غربية، سنة ١٤٢٦ - ١٤٢٧ هـ /

٢٠٠٥ - ٢٠٠٦ م.
٥. البحر المحيط في أصول الفقه: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد محمد تامر، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م.
٦. البرهان في أصول الفقه: لإمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (ت ٤٧٨هـ)، تحقيق وتقديم: د. عبد العظيم الديب، ط ١، مطابع الدوحة الحديثة، قطر ١٣٩٩هـ.
٧. تبين الحقائق شرح كنز الدقائق: فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي (ت ٧٤٢ هـ)، دار الكتب الإسلامي، القاهرة ١٣١٣هـ.
٨. تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي: الإمام بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)، دراسة وتحقيق: د. سيد عبد العزيز، ود. عبد الله ربيع، ط ٢، مؤسسة قرطبة، القاهرة - مصر ٢٠٠٦ م
٩. التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي خلال العصر الإسلامي (مظاهره - آثاره، أسبابه، علاجه): د. خالد كبير علال، دار المحتسب، الجزائر ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
١٠. تنبيه الأصدقاء في بيان التقليد والاجتهاد والاستفتاء والإفتاء لابن الخياط القره داغي (ت ١٣٣٥ هـ) -دراسة وتحقيق-: أميد نجم الدين جميل مصطفى المفتي، أطروحة الدكتوراه، مقدمة إلى كلية العلوم الإسلامية، جامعة صلاح الدين -أربيل، إقليم كوردستان العراق، بإشراف: د. محمد صابر مصطفى الهموندي، سنة ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
١١. الدر المختار شرح تنوير الأبصار: علاء الدين محمد بن على بن محمد بن عبد الرحيم الحصكفى الحنفي المفتى (ت١٠٨٨هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٩٩٤ م.
١٢. رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار: محمد أمين الشهير بابن عابدين (ت ١٢٥٢ هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٩٩٤ م.
١٣. سيرة ذاتية: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة وإعداد: إحسان قاسم الصالحي، ط ٣، دار إخلاص نور نشريات، أنقرة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٤. شرح القواعد الفقهية: أحمد محمد الزرقا، تصحيح وتعليق مصطفى أحمد الزرقا، الطبعة الثانية، دار القلم، دمشق ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.
١٥. صيقل الإسلام: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط ٣، دار إخلاص نور نشريات، أنقرة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٦. قراءة تحليلية لرسالة الاجتهاد للإمام بديع الزمان سعيد النورسي: أ.د. قطب مصطفى سانو، ط ١، شركة سوزلر للنشر، القاهرة ٢٠٠٤ م.
١٧. القول السديد في بعض مسائل الاجتهاد والتّقليد: محمد بن عبد العظيم المكي الحنفي الرومي المورِوي (ت ١٠٦١ هـ)، تحقيق: جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين، وعدنان بن سالم بن محمد الرومي، ط ٢، دار الدعوة -الكويت، ودار الوفاء- مصر ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.
١٨. الكلمات: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط ٣، دار إخلاص نور نشريات، أنقرة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٩. اللمعات: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط ٣، دار إخلاص نور نشريات، أنقرة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
٢٠. المثنوي العربي النوري: بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، ط ١، مطبعة الزهراء،

الموصل ١٤٠٨ هـ -١٩٨٨م.
٢١. مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر: عبد الرحمن بن محمد بن سليمان الكليبولي الحنفي المدعو بشيخي زاده (ت ١٠٧٨هـ)، تحقيق وتخريج: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٢٢. المجموع شرح المهذب: أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ)، حققه وعلق عليه وأكمل نقصانه: محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد، جدة - المملكة العربية السعودية.
٢٣. المستصفى من علم الأصول: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ)، دراسة وتحقيق: د. حمزة بن زهير حافظ، المدينة المنورة ١٤١٣ هـ.
٢٤. المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي (ت ٦٢٠ هـ)، ط ١، دار الفكر، بيروت - لبنان ١٤٠٥ هـ.
٢٥. المكتوبات: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط ٣، دار إخلاص نور نشريات، أنقرة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
٢٦. الملاحق: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط ٣، دار إخلاص نور نشريات، أنقرة ١٤٢١ هـ -٢٠٠٠ م.
٢٧. المنهج الفقهي عند النورسي: د. علي الصوا، بحث مقدم إلى الحلقة الدراسية (بديع الزمان النورسي فكره ودعوته) المنعقدة من قبل: المعهد العالمي للفكر الإسلامي -مكتب الأردن-، مع مركز بحوث رسائل النور -تركيا -، في عمان سنة (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م)، ط ١، ١٩٩٧ م.
٢٨. منهج وطريقة رسائل النور وغايتها: أ.د. شنر دلك، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي الثاني لبديع الزمان النورسي المعنون: (بديع الزمان سعيد النورسي وإعادة بناء العالم الإسلامي في القرن العشرين)، بإسطنبول سنة ١٩٩٢م.
٢٩. نفائس الأصول في شرح المحصول: شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي المصري المشهور بالقرافي (ت٦٨٤هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، ط ١، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة ١٩٩٥م.

* * *

الهوامش:

[1] أستاذ مساعد في الفقه وأصوله، كلية العلوم الإسلامية / جامعة صلاح الدين –أربيل- إقليم كوردستان العراق.

[2] وهو التبحر في مختلف العلوم العقلية والنقلية كما عليه المصطلح في عهد النبوة والسلف الصالح. ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه: ١ / ١٥ ـ ١٦.

[3] الملاحق: ملحق أميرداغ، ٣٠٣.

[4] كما نوه إليه الأستاذ الدكتور قطب مصطفى سانو. ينظر: قراءة تحليلية لرسالة الاجتهاد للإمام بديع الزمان سعيد النورسي: ٨ ـ ٩.

[5] صيقل الإسلام: الخطبة الشامية، ٥١٣.

[6] ينظر: منهج وطريقة رسائل النور وغايتها: ١٠ ـ وما بعدها.

[7] ينظر: المكتوبات: ٣٤١، و٥٩٧ ـ ٥٩٨، واللمعات: ٢٢٢ ـ وما بعدها، و٣٠٦ ـ وما بعدها، والملاحق: ملحق أميرداغ، ٣٠١، وصيقل الإسلام: ٥٢٩.

[8] الملاحق: ملحق أميرداغ، ٢٩٩.

[9] المكتوبات: ٣٤١.

[10] ينظر: صيقل الإسلام: ٥٢٩.

[11] ينظر على سبيل المثال: البرهان: ٢ / ١٣١٩، والمستصفى: ٤ / ٥٠، والبحر المحيط: ٦ / ٢٤٠ - وما بعدها،

وتشنيف المسامع: ٤ / ٢٧، وإرشاد الفحول: ٢ / ٢٣١، وتنبيه الأصدقاء: ١٨٠ ـ وما بعدها.

[12] الكلمات: ٥٦٩ ـ ٥٧٠.

[13] ينظر: الاجتهاد: ٧٨ ـ ٧٩.

[14] المكتوبات: ٦٠٩.

[15] ينظر: قراءة تحليلية: ١٧.

[16] الكلمات: ٨٤٨.

[17] شرح القواعد الفقهية: أحمد بن محمد الزرقا: ١٤٧.

[18] الكلمات: ٨٤٨.

[19] صيقل الإسلام: ٣٤٩، والاجتهاد: ٧٨.

[20] صيقل الإسلام: ٣٤٩، والاجتهاد: ٧٧ ـ ٧٨.

[21] والموانع عنده ستة، وقد جمعها في: تشتت الأفكار وحيرة القلب، واتباع الهوى وترك الضرورة، ودخوله من ليس بأهله، وانتفاء الورع والتقوى، وعدم التمكن العلمي، والبعد عن الصفاء وانتشار الكذب. ينظر للتفصيل: الاجتهاد: ٧ – وما بعدها.

[22] صيقل الإسلام: ٣٥٢ ـ ٣٥٣.

[23] الملاحق: ملحق أميرداغ، ٢٦٤.

[24] المثنوي العربي النوري: ٣٤٤.

[25] صيقل الإسلام: ٥١٠.

[26] وقد كتب العديد من الباحثين المعاصرين حول الاجتهاد الجماعي وأهميته، فضلا عن إقامة ندوات ومؤتمرات عديدة للغرض نفسه، ونرى في هذا العصر أن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، ومجمع الفقه الإسلامي الدولي بمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، ومجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة، في مقدمة المؤسسات الاجتهادية الجماعية. ينظر للتفصيل: الاجتهاد الجماعي وتطبيقاته المعاصرة: ٥ ـ وما بعدها، و٩٦ – وما بعدها.

[27] ينظر: البرهان: ٢ / ١٣٣٣، والمستصفى: ٤ / ٥، ونفائس الأصول: ٩ / ٣٨٣٩.

[28] ينظر للتفصيل: الاجتهاد: ٧ –وما بعدها، وقراءة تحليلية: ٥٢– وما بعدها.

[29] الكلمات: ٥٦٤ ـ ٥٦٥، والاجتهاد: ١٢.

[30] يقول النورسي: ''...إن السبب المهم للاستغناء عن الناس هو: ما يقوله ابن حجر الموثوق حسب مذهبنا الشافعي: يحرم قبول ما يوهب لك بنية الصلاح، إن لم تكن صالحاً''. المكتوبات: ١٧، والسيرة الذاتية: ٤٩٢. ويقول في موضع آخر: ''بأي قانون وبأية قاعدة تكلفون من هو شافعي المذهب ـ مثلي – اتباع فتوى تنافي صفاء المذهب الحنفي وسموه''. المكتوبات: ٥٥٤.

[31] كما عرفه الإمام أبي حنيفة (رحمه الله تعالى). ينظر: البحر المحيط: ١ / ١٦، ورد المحتار: ١ / ٦٦. وينظر: المنهج الفقهي عند النورسي: ١٧٨ ـ ١٧٩.

[32] ينظر: المنهج الفقهي عند النورسي: ١٧٨ – وما بعدها.

[33] ينظر: المكتوبات: ٣٦٢.

[34] صيقل الإسلام: ٣٤٧.

[35] صيقل الإسلام: ٣٤٨.

[36] ينظر: صيقل الإسلام: ٣٤٨.

[37] الكلمات: ٥٨٢ ـ ٥٨٣.

[38] الكلمات: ٥٦٩.

[39] الكلمات: ٥٦٩.

[40] ينظر للتفصيل: اللمعات: ١٥١.

[41] ينظر: المجموع: ٣ / ٣٢٧، ومجمع الأنهر: ١ / ١٦٠، والكلمات: ٥٧٠، والاجتهاد: ٢٤ ـ ٢٥.
[42] ينظر: الكلمات: ٥٧٠، والاجتهاد: ٢٥.
[43] الكلمات: ٥٧٠.
[44] المكتوبات: ٥٠٦ ـ ٥٠٧.
[45] المثنوي العربي النوري: ١٧٥.
[46] القول السديد: ٤٦.
[47] ينظر على سبيل المثال: الدر المختار: ٦ / ١٣٢، و٨ / ٢٠٠، والتعصب المذهبي: ٧ ـ وما بعدها، و٦٥ –وما بعدها، و٩٤– وما بعدها، والانسلاخ من المذاهب الفقهية: ١٥٠ ـ وما بعدها.
[48] المكتوبات: ٥٥٤ ـ ٥٥٥.
[49] سيرة ذاتية: ٢٤٩.
[50] الملاحق: ملحق بارلا، ٥٥.
[51] الملاحق: ملحق أمير داغ، ٢٩٦.
[52] صيقل الإسلام: الخطبة الشامية، ٥٢٧.
[53] صيقل الإسلام: المحكمة العسكرية العرفية، ٤٧١.
[54] ينظر: صيقل الإسلام: المناظرات، ٤٣٠.
[55]. ينظر: صيقل الإسلام: الخطبة الشامية، ٥٠٩.
[56] ينظر: الكلمات: ٨٥٤، والمثنوي العربي النوري: ٤٢٤.
[57] الكلمات: ٨٥٤.
[58] المكتوبات: ٦٠٠.
[59] الكلمات: ٨٦٤.
[60] الكلمات: ٤٧٣ ـ ٤٧٤.
[61] الملاحق: ملحق أميرداغ، ٢٧٠ – ٢٧١.
[62] ينظر: المغني: ١ / ٥٦٢، والمجموع: ٣ / ٣٧٩ –وما بعدها، ومجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر: ١ / ١٣٩– وما بعدها، والرد المحتار: ١ / ٥٣٢، والمكتوبات: ٥٥٩ ـ ٥٦٠.
[63] ينظر: الكلمات: ٥٣٨، والمكتوبات: ٥٠٥.
[64] المكتوبات: ٥٥٥.
[65] المكتوبات: ٥٥٩ ـ ٥٦٠.
[66] ينظر: المجموع: ٢ / ٢٣ –وما بعدها، و ٣ / ١٣٣– وما بعدها، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق: ١ / ١٢، و١ / ٧٣.
[67] الكلمات: ٥٧٠ ـ ٥٧١.

ملف العدد

المجاهدة والتوريث
عند بديع الزمان النورسي من خلال رسائل النور

–ABSTRACT–

Bedi'uzzaman al-Nursi's Views on Striving and Heredity as Propounded in the Risale-i Nur

Dr. Sirhan b. Khamis

NURSI believes that the Quran's inspiration didn't cease but it's still rebirthing, and that this rebirth and renovation is concerned with recitation (reading).

This would not be unless there is a clear method to read text contents through the heirs' graduation between the recitation grades where this recitation needs the reader's understanding and explanation through his personal experience. When this experience changes over the spanning of time, the grant is renewed again through another reading where the heirs graduate and escalade between its grades and so on.

All this will come when we rely on both the holiness and venerability of the text. This will push people to follow up the orders more than the power of the proof and the hardness of the evidence.

The prophetic heritage rationalizes the mind to settle down within Muhammad's instructions. This heritage tends to change real life gradually.

– ملخص البحث –

د. سرحان بن خميس[1]

يؤمن النورسي أن وحي القرآن لم ينقطع عن تجدد العطاء؛ حيث إن هذا التجدد يتعلق بالقراءة، ولا يكون ذلك إلا بمنهج واضح لقراءة مضامين النص عبر ترقي الورثة بين مراتب القراءة من خلال المجاهدة، حيث إن هذه القراءة محتاجة لفهم وتفسير القارئ عبر تجربته الحياتية، فإذا تغيرت التجربة عبر الزمن تجدد العطاء عبر قراءة أخرى يترقى الورثة بين مراتبها وهكذا...

كل هذا من خلال الرهان على قدسية النص وهيبته، فهو الذي يدفع الناس إلى

الانقياد، أكثر من قوة البرهان ومتانة الحجة، وإرث النبوة يقوم بترشيد التعقل أو التفلسف ليتأطر بأطر تعاليم محمد صلى الله عليه وسلم، وإرث النبوة يغير الواقع من خلال صيرورة غائية ينجذب الواقع عبرها إلى إرث النبوة تدريجيا.

إشكالية البحث

يقول الله سبحانه وتعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾،[الذاريات:٥٦] وكمال العبادة معرفة الله تعالى الذي لا يعرف، والتوجه الخالص إليه، حيث إن التوجه لا ينفك عن المجاهدة، حيث يقول الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.[العنكبوت:٦٩]

ومن الذين جاهدوا في الله حق جهاده الإمام العلامة بديع الزمان النورسي؛ إذ هداه الله تعالى إلى سبله التي قررها لأنها تفضي إلى مرتبة الإحسان، فلم يتعرف الإمام النورسي إلى هذه السبل بنظره العقلي المجرد، إنما كانت قواعد ضبط بها الإمام سلوكياته ومنهجيته في الواقع المعيش.

فإذا قلنا إن كمال العبودية هو معرفة المعبود عند الإمام بديع الزمان النورسي، فهل إن هذه المعرفة توريث من الله تعالى عن خاتم الرسل والنبيين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم؟

وهل إن هذا التوريث في رأي الإمام النورسي تكليف أو تشريف؟

وكيف ندرك التوريث الإلهي عن خاتم الرسل، أيكون ذلك بالرهان على المعاني الثاوية في نصوص الوحي، أم يكون ذلك بكسر هيبة النص من خلال الاستنطاق؟

وما دور ذلك الإرث في ترشيد العقل الإنساني؟

أما أهمية هذا البحث فتبرز من جانبين، أولهما: من حيث موضوعه، وثانيهما: من حيث منهجه.

أولا: فمن حيث الموضوع: أرى أن فهم حقيقة التوريث عند بديع الزمان النورسي، ضرورة لابد منها لكي ندرك -إدراكا سليما- المسار الذي رسمه الإمام النورسي لنفسه، والمسار الذي سيرسمه مشروع رسائل النور للأمة الإسلامية.

ثانيا: أما من حيث المنهج: فإن هذا البحث دراسة استقرائية تحليلية تنطلق من كتابات النورسي أولا، ثم من الواقع ثانيا، وتصنع مضامينها عبرهما وتبني نتائجها من خلال ذلك.

أما المنهج المتبع في البحث فإن هذه الدراسة تصب في إطار الدراسة التاريخية لمسألة التوريث عند النورسي وذلك يقتضي منهجا استقرائيا تحليليا.

استقرائي لرصد ما كتبه النورسي حول الموضوع.

تحليلي لتفكيك تلك الكتابات إلى عناصرها الجزئية لاستبيان ملامح المعنى من خلالها.

هذا ما يحاول البحث عرضه وتحقيقه من خلال منهجه، وبالقدر الذي تسمح به المساحة المتاحة من خلال أربعة عناصر متكاملة.

أولا: الهيبة الساحقة للنص وجهد تحرير المعنى:

يعتبر القرآن الكريم مصدرا أخلاقيا ومعرفيا للإنسان، من جانب منهجه الموظف في بيان نظامه، ومن جانب موضوعاته، التي تشمل حياة الإنسان كلها، يقول النورسي بعد ذكر أمثلة: ''فشاهد في ضوء هذه الأمثلة ثروة القرآن الطائلة وغناه الواسع في معرفة الله في ميدان العلم والحكمة... وهنا نجد في القرآن الكريم آلافا من القرائن حتى إنّه يهب لكل ذي مشرب قرآنا منه''.[2]

ويفهم من هذا النص للإمام عليه رحمة الله أن وحي القرآن من الكتاب لم ينقطع عن تجدد العطاء والكرم، والتنزل المجيد المتجدد من يوم تنزيله وإلى يومنا هذا، عبر ترقي الورثة بين مراتب القراءة؛ فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، وهل يكون العلم إلا بالقراءة؟

هنا يقابل الإمام النورسي عليه رحمة الله قراءة القرآن بقراءة الكون حيث يقول: ''ثم إن في أسلوب القرآن جزالة وسلاسة وفطرية، حتى كأن القرآن حافظ قارئ يقرأ الآيات المكتوبة بقلم القدرة على صفحات الكون، وكأنه قراءة لكتاب الكون، وتلاوة لنظاماته، تتلو شئون النقّاش الأزلي سبحانه، ويكتب أفعاله''.[3]

فكما أن القرآن الكريم كان دليلا على صِدق محمد صلى الله عليه وسلم في نبوته، فنبوة محمد صلى الله عليه وسلم دليل القرآن في الفهم والتطبيق والتأسي؛ أي إن

القرآن الكريم محتاج لفهم وتفسير محمد ومن يلي محمدا؛ إن القرآن محتاج لتطبيق قيمه وتشريعاته، إنه محتاج للقراءة، وهل القراءة إلا ذلك التعبير الذي يتسع لمعرفة حقائق الأمور والظواهر، إنه ذلك التعبير المتسع لمعرفة حقيقة كلمات الله، وهل محاولة معرفة كلمات الله تعالى إلا محاولة لمعرفته سبحانه، فهو عظيم في خلقه وعظيم في كلماته.

ولكن كيف فهم الإمام النورسي رحمه الله القراءة، وما ضوابطها عنده؟

وهل راهن الإمام النورسي رحمه الله على المقاربة المعنوية، أو قام باستنطاق النصوص ليفهمها؟

راهن الإمام النورسي أولا على هيبة النص القرآني؛ إذ يساق جمهور الناس إلى إتباع القرآن الكريم وامتثال أوامره لما يتحلى به من قدسية، هذه القدسية هي التي تدفع جمهور الناس إلى الانقياد، أكثر من قوة البرهان ومتانة الحجة، فينبغي إذن –كما يقول- أن تكون كل كتبنا المبنية عليه شفافة تعرض قدسية القرآن الكريم، وليس حجابا دونه، أو بديلا عنه.[4]

في وقت يحاول بعض المنتسبين للحداثة نزع هذه القداسة النصية لأنها في رأيهم تنقص التفاعل مع النص؛ فهذا محمد أركون ينطلق من ملاحظة منهجية بخصوص التعامل السائد مع النص القرآني، فهو يعتبر أن المسلمين يستهلكون القرآن في حياتهم اليومية، ولا يخضعونه للدراسة والتفحص الألسني،[5] ويشرح أهمية الدرس اللساني بقوله: ''إن التحليل السيميائي يقدم لنا فرصة ذهبية لكي نمارس تدريبا منهجيا ممتازا، يهدف إلى فهم كل المستويات اللغوية التي يتشكل المعنى (أو يتولد) من خلالها، وهذه الخطوة المنهجية تمتلك أيضا رهانات ابستمولوجية،[6] فهي تتيح لنا أن نترك مسافة نقدية فكرية بيننا وبين الخطاب القرآني[7]، ومن بين النتائج التي نجنيها من خلال هذه القراءة الانفعال الروحي والجمال الأخلاقي ومتعة النص المقروء واكتشاف قيم الحق والخير والجمال.[8]

ودعا عبد المجيد الشرفي إلى وضع القرآن الكريم والسنة النبوية على محك النقد بعيدا عن التقديس وحرفية النصوص،[9] سعيا إلى رفع عائق القدسية كما قال طه عبد الرحمن.[10]

إن التنويه بهيبة النص لا قيمة لها ما لم تعط ضمانات عن القراءة التي تؤتي أكلها في الواقع المعيش، بعيدا عن تقديس ما لا يقدس، ونعني بذلك ما تمخض عن النص الأصلي من كتابات مفسرة وشارحة في مختلف المجالات، حيث إن هذه الكتابات تحجب بفعل بعض المقلدين الجامدين الحقائق الدينية الأصلية القرآنية، وذلك من خلال التركيز على النصوص الشارحة ممثلة في المنتج الفقهي، وإبعاد أصل ما جعلت له شارحة، وفي هذا يقترح الإمام النورسي: ''تحويل تلك الكتب الفقهية تدريجيا إلى كتب يستشف منها فيض القرآن الكريم، أي تصبح تفسيرا له، ويمكن أن يتم هذا باتباع طرق تربوية منهجية خاصة... فعندئذ لا تقرأ هذه الكتب وغيرها بقصد ما يقوله مؤلفو تلك الكتب، بل يقرأ لأجل فهم ما يأمر به القرآن الكريم، وهذا الطريق بحاجة إلى زمن مديد''.[11]

ما نستشفه من هذا النص للإمام النورسي هو منهجية القراءة المطلوبة لنصوص التراث أين وضع الإمام قانونا لتفسير النص التراثي مطالبا القارئ أو الباحث من أن يتباعد عن ذاته وعن أفقه التاريخي الراهن، وأن يتباعد في الوقت نفسه عن ذاتية وراهنية الكاتب ليفهم النص كما أراد القرآن أن يُفهم.

أما منهجية قراءة القرآن عند النورسي، فإنها تتضح من خلال مبدأين:

المبدأ الأول: أن كلية القراءة القرآنية تنتج منهجا جدليا يتفاعل فيه النص مع العقل البشري يهيمن من خلاله على الأبعاد الكاملة للفلسفة الكونية بما فيها مقتضيات التشريع، وما يندرج من موضوعات ترد إلى أصول المنهج.

وفي هذا يقول الإمام النورسي رحمه الله: ''إن جمل القرآن الحكيم لا تنحصر في معنى واحد، بل هي في حكم كلي يتضمن معاني لكل طبقة من طبقات البشرية، وذلك لكون القرآن الكريم خطابا لعموم طبقات البشر. لذا فالمعاني المبينة هي في حكم جزئيات لتلك القاعدة الكلية، فيذكر كل مفسر، وكل عارف بالله جزءا من ذلك المعنى الكلى ويستند في تفسيره هذا إما إلى كشفياته أو إلى دليله أو إلى مشربه، فيرجح معنى من المعاني''.[12]

ذلك الجدل بين النص والمفسر هو هذا التفاعل المستمر بين العقل البشري والمعطى الإلهي والذي يحاول فهم فلسفة هذه الكونية العريضة بكل ما فيها من معاني.

المبدأ الثاني: تؤدي القراءة المنهجية للقرآن كما فهمها النورسي إلى تحديد فحوى الدلالات الوسيطة والرمزية في لغته، حيث يوضع عنها الالتباس والغموض.

ونلحظ هذا في ذلك الانفتاح للإمام النورسي بكل قواه الإبداعية والإدراكية على ذلك الجمال الكوني ليقول:

''قبل ثلاثين سنة تقريبا وفي هذا الموسم حيث تتفتح أزاهير أشجار اللوز، كنت أتجول هنا ''مشيرا إلى الأشجار والبساتين'' وإذا بالآية الكريمة: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾الروم:٥٠ ترد إلى خاطري، وفتح الله علي هذه الآية في ذلك اليوم فكنت أسير وأتجول وأتلوها بصوت عال حتى قرأتها أربعين مرة، وفي المساء ألفت رسالة الحشر ''الكلمة العاشرة'' مع الحافظ توفيق الشامي ''أي أمليت عليه الرسالة وكتبها''.[13]

حقا إنه رقي تفاعلي مع كلمات ربانية قلما نجد له مثيلا في العالم، وأنّى لنا أن نعيش هذه اللحظات، وهذه الفتوحات، إلا من فتح الله له تذوق آيات رحمته، والتي يجدها في كل شيء خلقه المولى عز وجل.

إن القرآن في فكر النورسي هو كتاب الإنسان أو كتاب قد نزل لأجل الإنسان،[14] ففي هذا الجانب فإن القراءة قراءة الإنسان.

فالنصّ القرآني عند النورسي هو النصُّ الوحيدُ الذي تكون علاقتُهُ عكسيةٌ بالقارئ؛ فكلمّا احترم القارئ النصّ ومنع نفسه من الجرأة عليه، ليطوف حوله من بعيدٍ كلما منحه النصّ معرفةً تتناسب عكسياً مع هذا البعد. فالنصّ إذا ظهر لك وهو يتحدّث عن الطبيعة مثلاً، فهو يتحدّث في حقيقة الأمر عن العقائد وعلم النفس وعن جميع المعارف الأخرى، من خلال اقترانه بألفاظ النصوص الأخرى التي بدورها تكشف لك المزيد من أسرار النصّ.

وهكذا لم يقم الإمام باستنطاق النص المقدس، ولم يتجرأ عليه، ليوافق النص ما أراد الإمام من أفكار أو أيديولوجية، وإنما راهن على ترك القرآن يفصح عن نفسه، حتى إنه قال عن رسائل النور ''أخذتني الأقدار نفيا من مدينة إلى أخرى.. وفي هذه الأثناء تولدت من صميم قلبي معاني جليلة، نابعة من فيوضات القرآن الكريم.. أمليتها على من حولي من الأشخاص، تلك الرسائل التي أطلقت عليها (رسائل النور)، إنها

انبعثت حقا من نور القرآن الكريم. لذا نبع هذا الاسم من صميم وجداني، فأنا على قناعة تامة ويقين جازم بأن هذه الرسائل ليست مما مضغته أفكاري، وإنما إلهام إلهي أفاضه الله سبحانه على قلبي من نور القرآن الكريم، فباركت كل من استنسخها".[15]

ثانيا: سبل المجاهدة والتوريث

أرجع الله تعالى الاهتداء لسبل المجاهدة إليه ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾،العنكبوت:٦٩ فهي سبل يقررها هو سبحانه وتعالى لأنها تفضي إلى مرتبة الإحسان، فلا يكون التعرف إلى هذه السبل بمجرد النظر العقلي ثم ضبطها بقواعد سلوكية ومنهجية يلتزمها السالكون، ولكنها مجاهدة شاملة ودائمة أقلها الصلاة؛ نعم! لقد شاهدوا بوضوح تفاصيل فريضة الصلاة وارتقوا في مقاماتها الرفيعة التي تشير إليها أذكارها وحركاتُها المتنوعة، على النحو الآتي:

أولا: بمشاهدتهم الآثار الربانية المبثوثة في الكون، وجدوا أنفسهم في مقام المشاهدين محاسن عظمة الربوبية، بمعاملة غيابية، فأدّوا وظيفة التكبير والتسبيح، قائلين: الله أكبر.

ثانياً: وبظهورهم في مقام الدعاة والإدلاء إلى بدائع صنائعه سبحانه وآثاره الساطعة، التي هي جلوات أسمائه الحسنى، أدّوا وظيفة التقديس والتحميد بقولهم: سبحان الله والحمد لله.

ثالثاً: وفي مقام إدراك النعم المدخرة في خزائن الرحمة الإلهية وتذوقها بحواسَ ظاهرة وباطنة شرعوا بوظيفة الشكر والحمد.

رابعاً: وفي مقام معرفة جواهر كنوز الأسماء الحسنى وتقديرها حق قدرها بموازين الأجهزة المعنوية المودعة فيهم، بدؤوا بوظيفة التنزيه والثناء.

خامساً: وفي مقام مطالعة الرسائل الربانية المسطرّة بقلم قدرته تعالى على صحيفة القَدَر، باشروا بوظيفة التفكر والإعجاب والاستحسان.[16]

فالصلاة الدائمة وفيها كلية الالتزام الديني هي مدخل المجاهدة الضرورية لدى السالك نحو العبودية إلى أن يهديه الله سبله باتجاه الإحسان ومرتبته، حيث يتحقق كمال العبودية لله.

وبما أن كمال العبودية هي معرفة المعبود فإن المعرفة لا تكون إلا توريثا من الله عز وجل عن خاتم الرسل والنبيين محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.[٤٠] الأحزاب:

عن خاتم الرسل والنبيين يكون التوريث، ومن بعده الورثة فقط يرتقون إلى مرتبة الإحسان، ولقد ورِث العلماء علم الرسول صلى الله عليه وسلم والمتصوفة عمله، لذا يطلق على من يرث علم الرسول وعمله معاً ذي الجناحين وعليه فالمقصود من الطريقة العمل بالعزائم دون الرخص، والتخلق بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم والتزكية من الأسقام المعنوية كافة والفناء في رضا الله تعالى، والذي يحوز على هذه المرتبة العظمى لا شك أنه من أهل الحقيقة. وهذا يعني أنه قد توصل إلى الغاية المقصودة والمطلوبة من الطريقة. ولكون نيل هذه المرتبة العظمى لا يتيسر لكل أحد، وضع عظماؤنا قواعد معينة تُوصل إلى الهدف المقصود بيسر وسهولة. والخلاصة: إن الطريقة تدور ضمن دائرة الشريعة، فالساقط منها يسقط في دائرة الشريعة، أما الذي يخرج من دائرة الشريعة -معاذ الله- فإنه يخسر خسراناً مبيناً.[17]

إذا كانت النبوة تكليف ثقيل، وعبء عظيم جداً، لا يُحمل إلا بعد نمو الملكات العقلية ونضوجها وتكامل الاستعدادات القلبية، وإذا كان أهل الإيمان مكلفون شرعاً بحب الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم غاية الحب وبتوقيره واحترامه أكثر من أي إنسان آخر، وبعدم النفور من أي شيء يخصه، بل رؤية كل حال من أحواله جميلة نزيهة،[18] فإن هذا الحب للرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا التوقير والاحترام، لم ولن يكون تشريفا، إلا بعد قيام الوريث بمقتضيات التكليف؛ فإذا التزم الوريث بما كلف به، وجاهد واجتهد كان له شرف الوراثة، وإلا فلن يكون له شيء.

فالإرث تكليف إذا انصرف عنه المكلف أو باعه بمتاع الحياة الدنيا عوقب ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٧٧) مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٧٨)﴾.[١٧٥-١٧٨] الأعراف:

ولن يكون الخسران لمؤمن يحمل في قلبه الإيمان والإخلاص ويستشعره في كينونته كل آن، لابد أنه يدع تأثير البريق الكاذب الذي يستخلفه مفهوما الزمان

والمكان على أبناء الفناء القاصرين العاجزين في عالم المادة الكثيف فينطلق بروحه إلى العالم المعنوي الشاسع آفاقه الفياض بالنور والهدى.[19]

ولن يكون ذلك الإيمان مرتبة واحدة، ولن يكون ذلك التوريث كذلك قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (٣١) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢)﴾. فاطر:٣١-٣٢

وفي هذا قال الإمام رحمه الله: ''أجل إن لكل مؤمن حالاً يخصّه من الطمأنينة والحضور والخشوع والتجرد والفيض والاستغراق، والكل ينهل بقدر إيمانه وعلمه وتقواه وبنسبة استفاضته من هذه السكينة الإلهية. ولكن هذا الحال الندي بجماله، والوصال العذب بطراوته وهذه السكينة الفريدة بجدتها دائمة النزول على أرباب الإحسان، أولئك المجاهدون العظام... لا يقعون في غفلة نسيان المولى الكريم، فيبارزون ويصارعون كالأسود الضواري أنفسهم الأمارة بالسوء طوال حياتهم، وكل لحظة من لحظات عمرهم تسجل أروع ذكريات التكمل والترقي. فإنهم ينصهرون بكل موجوديتهم وديمومتهم في رضا رب العالمين المتصف بصفات الجمال والجلال والكمال.[20]

ما يفهم من نص الإمام بديع الزمان النورسي رحمه الله أن هؤلاء الورثة يورثهم الله تعالى عن محمد صلى الله عليه وسلم، أيا كان مقامهم في العوالم الثلاثة فيرون الوجود بعين الله تعالى؛ فهناك الوارث الظالم لنفسه، إذ أمامه مقامات الترقي ولكنه يبقى أسير عالمه هذا، وهناك الوارث المقتصد الذي زاد إيمانه وتقواه عن الظالم لنفسه ومقامه بين المقامين الآخرين، ووارث سابق بالخيرات وهو في أعلى العوالم.

هذه الاستمرارية المتجددة باتجاه المستقبل عبر الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات ليست نبوة ولا عصمة ولا تجديدا، وإنما علاقة توريث يتفاعل فيها وحي الكتاب مع السالك في هذا العصر محررا المعنى لا من خلال باطنية ذاتية أو عصرنة مفتعلة نستنطق من خلالها الآيات البيّنات.

ثالثا: إرث النبوة طريق لترشيد التعقل والتفلسف

يقول رحمه الله تعالى: ''في تاريخ البشرية منذ القدم وإلى الوقت الحاضر تيارين

عظيمين وسلسلتين للأفكار، يجريان عبر الأزمنة والعصور، كأنهما شجرتان ضخمتان أرسلتا أغصانهما وفروعَهما في كل صوب، وفي كل طبقة من طبقات الإنسانية.

إحداهما: سلسلة النبوة والدين.

والأخرى: سلسلة الفلسفة والحكمة.

فمتى كانت هاتان السلسلتان متحدتين وممتزجتين، أي في أي وقت أو عصر استجارت الفلسفة بالدين وانقادت إليه وأصبحت في طاعته، انتعشت الإنسانية بالسعادة وعاشت حياة اجتماعية هنيئة. ومتى ما انفرجت الشقة بينهما وافترقتا، احتشد النور والخير كله حول سلسلة النبوة والدين، وتجمعت الشرور والضلالات كلها حول سلسلة الفلسفة''.[21]

إن للتعقل الإنساني من خلال كمال الإنسان نبوته، أي نبوءة العقل، التي بمقدورها اكتشاف علاقة الإنسان بالطبيعة، وفق منطق علمي استقرائي يحاول البحث في الظاهرة الطبيعية وعلاقتها بالوجود الإنساني، ولكن إن ترك هذا التعقل بعيدا عن إرث النبوة فإنه في الغالب يقود إلى الإلحاد والتمرد على الفطرة السليمة التي فطر الله الإنسان عليها.

إن إرث النبوة لا يحارب التعقل والتفلسف، بل يصوبهما كي يكونا في مصلحة الإنسانية وذلك حين تنقاد العقلانية والفلسفة إلى إرث النبوة، وتصبان في مصلحة الإنسان، حين لا يعيش تناقض أفكاره وتصادمها، وهذا ما يدعو إليه إرث النبوة، وفي هذا يقول الإمام بديع الزمان النورسي: ''لابد أن نذكّر'' أن الفلسفة التي تهاجمها رسائل النور وتصفعها بصفعاتها القوية، هي الفلسفة المضرة وحدها، وليست الفلسفة على إطلاقها، ذلك لأن قسم الحكمة من الفلسفة التي تخدم الحياة الاجتماعية البشرية، وتعين الأخلاق والمثل الإنسانية، وتمهّد السبل للرقي الصناعي، هي في وفاق ومصالحة مع القرآن الكريم، بل هي خادمة لحكمة القرآن، ولا تعارضها، ولا يسعها ذلك؛ لذا لا تتصدى رسائل النور لهذا القسم من الفلسفة.

أما القسم الثاني من الفلسفة، فكما أصبح وسيلة للتردي في الضلالة والإلحاد والسقوط في هاوية المستنقع الآسن للفلسفة الطبيعية، فإنه يسوق الإنسان إلى الغفلة والضلالة بالسفاهة واللهو. وحيث إنه يعارض بخوارقه التي هي كالسحر الحقائق المعجزة للقرآن الكريم، فإن رسائل النور تتصدى لهذا القسم الضال من الفلسفة في

أغلب أجزائها وذلك بنصبها موازين دقيقة، ودساتير رصينة، وبعقدها موازنات ومقايسات معززة ببراهين دامغة. فتصفعها بصفعاتها الشديدة، في حين أنها لا تمس القسم السديد النافع من الفلسفة.[22]

هذا فصل الخطاب عند النورسي بالنسبة لما هو مقبول وما هو غير مقبول من القول الفلسفي، فلا مزايدة ولا غير ذلك، وزيادة على هذا فالإمام النورسي يريد الارتقاء على عبودية التعقل والتفلسف التي تنطلق من جدل الطبيعة وعلمها الموضوعي، لأنها عبودية عقلية ترتبط بالله بوصفه هو الخالق لجدل الطبيعة ومكوناتها، لتسأل هذه العبودية العقلية عن فعل الله تعالى في التكوين والخلق، أما النورسي فإنه أراد أن يرقى على ذلك ليبصر حكمة الله وإرادته في الزمان والمكان، فكان سؤاله هو (لماذا) فعل الله ذلك، وليس (كيف) فعل، فالكيفية معلومة بالتعقل، أما (لماذا) فإنها ترتبط بما لا يُعقل؛ فقد سأل الإمام النورسي الكائنات وتساءل معها: ''من أين؟ وبأمر من تأتون؟ من سلطانكم ودليلكم وخطيبكم؟ ما تصنعون؟ وإلى أين تصيرون؟ فالصنعة المنتظمة تشهد على وجود الصانع وعلى قصده وإرادته شهادة صادقة قاطعة.'' [23]

وتساءل الإمام النورسي أيضا عن سر زلزلة الأرض، ولماذا لا ينزل هذا العذاب الرباني والتأديب الإلهي ببلاد الكفر والإلحاد وينزل بهؤلاء المساكين المسلمين الضعفاء؟ ولماذا تعم هذه المصيبة البلاد كلها، علماً أنها مصيبة ناجمة من أخطاء يرتكبها بعض الناس؟[24]

في هذه المرتبة الإيمانية يحاول النورسي المترقي بسبل الله تعالى معرفة فعل الله عز وجل، فيتساءل لماذا زلزل ولماذا قتل ولماذا اختار، وإن كان يساوره نوع من القلق فيما يجري، كالقلق الذي خالجه هو نفسه وهو في السجن عقب الإفراج عن جميع أصدقائه وبقي وحيدا، أنا متأكد من أنه صادف هذه الآية: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦١) أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤)﴾. يونس:٦١-٦٤

هنا تنطبق موجبات الولاية الربانية على النورسي فيخرج من السجن كما خرج يونس عليه السلام من بطن الحوت، وهو يناجي ربه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾،الأنبياء:٨٧ حيث إن السر العظيم لهذه المناجاة هو أن الأسباب قد سقطت كليا، ذلك أن الذي ينقذه من تلك الحالة ليس إلا من ينفذ حكمه في الحوت وفي البحر وفي الليل وفي جو السماء، وقد رأى الإمام كما رأى يونس بعين اليقين أنه لا ملجأ إلا إلى مسبب الأسباب.[25]

رابعا: القرآن الكريم وعين الله تعالى

كيف رأى الإمام النورسي الوجود بعين الله تعالى؟

هنا يأتي القرآن ليتنزل على قلب الإمام النورسي علما لدنيا، كذاك الذي كان للخضر الذي قام بترشيد موسى عليه السلام: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾.الكهف:٦٥

وهنا تتكشف عند النورسي خصائص تلك الكلمات التي حافظت على التوازن في بيانه التوحيد بجميع أقسامه مع جميع مراتب تلك الأقسام وجميع لوازمه، ولم يخل باتزان أي منها.. ثم إنه قد حافظ على الموازنة الموجودة بين الحقائق الإلهية السامية كلها.. وجمع الأحكام التي تقتضيها الأسماء الإلهية الحسنى مع الحفاظ على التناسب والتناسق بين تلك الأحكام.. ثم إنه قد جمع بموازنة كاملة شؤون الربوبية والألوهية.

هذه ''المحافظة والموازنة والجمع'' خاصية لا توجد قطعا في أي أثر كان من آثار البشر، ولا في نتاج أفكار أعاظم المفكرين كافة، ولا توجد قط في آثار الأولياء الصالحين النافذين إلى عالم الملكوت، ولا في كتب الإشراقيين الموغلين في بواطن الأمور، ولا في معارف الروحانيين الماضين إلى عالم الغيب، بل كل قسم من أولئك قد تشبث بغصن أو غصنين فحسب من أغصان الشجرة العظمى للحقيقة، فانشغل كليا مع ثمرة ذلك الغصن وورقه، دون أن يلتفت إلى غيره من الأغصان، إما لجهله به أو لعدم التفاته إليه. وكأن هناك نوعا من تقسيم الأعمال فيما بينهم.

نعم إن الحقيقة المطلقة لا تحيط بها أنظار محدودة مقيدة. إذ تلزم نظرا كليا كنظر القرآن الكريم ليحيط بها فكل ما سوى القرآن الكريم -ولو يتلقى الدرس منه- لا يرى تماما بعقله الجزئي المحدود إلا طرفا أو طرفين من الحقيقة الكاملة فينهمك بذلك الجانب ويعكف عليه، وينحصر فيه، فيخل بالموازنة التي بين الحقائق ويزيل تناسقها إما بالإفراط أو التفريط''.[26]

فرسائل النور قد أخذت جزءا من هذه الخاصية المعجزة الجامعة الكلية، ونورد مثالا على ذلك ما فهمه الإمام من قوله تعالى: ''رب العالمين''، وما استشفه من أقوال المفسرين حيث قال: إن في السموات ألوفا من العوالم، ويمكن أن يكون كل نجم في مجموعته عالما بذاته، وأن كل جنس من المخلوقات في الأرض أيضا عالم بذاته، حتى إن كل إنسان عالم صغير فكلمة ''رب العالمين'' تعنى: أن كل عالم يدار ويربى ويدبر شؤونه بربوبيته سبحانه وتعالى مباشرة''.[27]

فعين الله تعالى على كل شيء خلقه، وعين الله تعالى لا تغيب أبدا، شُرح ذلك في القرآن الكريم ببسم الله، ''إن هذه الكلمة الطيبة (بسم الله) كنز عظيم لا يفنى أبدا، إذ بها يرتبط ''فقرك'' برحمة واسعة مطلقة أوسع من الكائنات، ويتعلق ''عجزك'' بقدرة عظيمة مطلقة تمسك زمام الوجود من الذرات إلى المجرات، حتى إنه يصبح كل من عجزك وفقرك شفيعين مقبولين لدى القدير الرحيم ذي الجلال.

إن الذي يتحرك ويسكن ويصبح ويمسي بهذه الكلمة (بسم الله) كمن انخرط في الجندية؛ يتصرف باسم الدولة ولا يخاف أحداً، حيث انه يتكلم باسم القانون وباسم الدولة، فينجز الأعمال ويثبت أمام كل شيء. ''[28]

ستَحمل هذه الدعوة النورسية، وعيا روحيا حضاريا يرقى على كل المظاهر الروحية الحضارية الراهنة في علاقات الإنسان بالمواضيع الكونية.

فما في العالم كله اليوم من منجزات حضارية، ليس سوى مقدمة لما سيأتي به الله على يد رسائل النور، التي تُولِّد إنسانا لا ينظر إلى الماضي، ولكن يتطلع إلى المستقبل بمقومات جديدة ورؤى جديدة، وضمن منهجية شاملة ينفتح فيها بكل قواه الإبداعية على حركة الحياة.

وِلادة هذا الإنسان لا تأتي محكومة بمنهجية الصراع والأفق الضيّق الذي يختزل الإنسان ما بين حدي الميلاد والموت، وإنما تأتي محكومة بمقاصد الحق والسلام، بمقاصد العدل والمساواة والحرية، بمقاصد التوحيد والتزكية والعمران، هذه المقاصد تجعل من ولادة هذا الإنسان ولادة متَّسعة الأبعاد، ولادة قوية كقوة الهم الإصلاحي للإمام بديع الزمان النورسي، فهو ليس مجرد تحدٍّ تركي إسلامي، وإنما هو بعث عالمي سيظهره الله على العالم كله، وتفجير لكافة الإمكانيات المتهيئة في عقول مصلحي هذه الأمة عبر تفاعلها مع الوحي والواقع.

وفي ختام هذا البحث نوجز أهم النتائج العامة له

١- تبين لنا من خلال البحث مراهنة الإمام النورسي على تحرير المعنى القرآني لا من خلال الاستنطاق، ولكن من خلال الانفتاح بكل جملته الواعية ليترك النص يفصح عن نفسه.

٢- إن علاقة الوحي بالعقل الإنساني من خلال رسائل النور ليست بناءً مشيدا من المعرفة المثبتة تبحث علوم الشريعة لتبريرها وتبرير مشروعيتها، وليست عصمة ولا تجديدا، بل علاقة توريث يتفاعل فيها وحي الكتاب مع المكلف؛ فإرث النبوة من خلال رسائل النور تكليف، وممارسة فعلية، ومحيط فكري ونفسي واجتماعي يجعل الأمة كلها في حالة مخاض عسير لإصلاح روحي عالمي بديل.

٣- إن التعقل والتفلسف عند الإمام النورسي فعالية إنسانية خلاقة ومبدعة، إن اقترنت وترشّدت بإرث النبوة، فهذا الأخير لا يحارب التعقل والتفلسف، بل يصوبهما كي يكونا في مصلحة الإنسانية.

* * *

الهوامش:

[1] كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والعلوم الإسلامية جامعة باتنة-الجزائر-.

[2] بديع الزمان النورسي: الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط ٣، ٢٠٠١م، ص١٥١.

[3] بديع الزمان النورسي: اللمعات، ترجمة: مركز الترجمة والبحوث العلمية، دار السنابل الذهبية، القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ص ١٤٠.

[4] بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٢م، ص ٣٤٧.

[5] أركون محمد: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، تر: هاشم صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٩٣م، ص ٨٩..

[6] الابستيمولوجيا لفظ مركب من لفظين: أحدهما ابيستما (epistemé) وهو العلم، والآخر لوغوس (logos) وهو النظرية أو الدراسة، فمعنى الابستيمولوجيا إذن نظرية العلوم أو فلسفة العلوم، أي دراسة مبادئ العلوم وفرضياتها ونتائجها، دراسة إنتقادية توصل إلى إبراز أصلها المنطقي، وقيمتها الموضوعية، ينظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ط)، ١٩٨٢م، ١/٣٣.

[7] أركون محمد: القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥، ص ٣٥.

[8] أركون محمد: الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ترجمة القاسم صالح، دار الساقي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م، ص ٦٢.

[9] الشرفي: الإسلام بين الرسالة والتاريخ، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ص٦٧.

[10] طه عبد الرحمن: روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١: ٢٠٠٦، ص١٧٨.

[11] بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط ٣، ٢٠٠١م، ص ٣٤٨.

[12] بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط ٣، ٢٠٠١م، ص ٤٢٢.

[13] بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية ١١، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، (ط٧، ٢٠١٣).

[14] بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٤٦٦.

[15] بديع الزمان النورسي: الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط٢، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، ص ٥٤٢.

[16] بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ١٦٧.

[17] بديع الزمان النورسي: الكلمات، ٤٥.

[18] بديع الزمان النورسي: المكتوبات، ٣٦٣-٣٦٤.

[19] بديع الزمان النورسي: الكلمات، ٣٧.

[20] بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ص ٢٤-٢٥.

[21] بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٦٨٨.

[22] بديع الزمان النورسي: الملاحق في فقه دعوة النور، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط٣، ١٩٩٩م، ص٢٨٦.

[23] بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، ص ٢٩.

[24] بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٢٢٩-٢٣٠.

[25] بديع الزمان النورسي: اللمعات، ص ٠٢.
[26] بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، ص١٣.
[27] المرجع نفسه، ص١٤.
[28] بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص٢.

أواصر العناصر الكونية
من منظور الأستاذ بديع الزمان النورسي

–ABSTRACT–

The Bonds of the Universal Elements from the Viewpoint of Bedi'uzzaman al-Nursi

Dr. 'Uthman Muhammad Gharib

The researcher indicates the bonds of the elements of the universe as reflected in the "Nur Letters", which is a vision that elucidates the comprehensive identity of man. That identity is connected to the manifestations of existence and elements in the universe and it is connected with them by various bonds. This places man into a continuous interaction with the rest of the beings; and sees man's connection with the universe as like that of a soul that combines with the other parts of the body to make all its parts in full co-operation with each other. So man becomes the final fruit of the tree of the universe; who contains all its features, and at the same time is the original proof of the existence of the Muhammadan reality and the great cosmic prodigy of the Quran of the universe. Man is the greatest divine miracle; he is even the marvel of creation and his desires point to the biggest of realms as a result of his organs witnessing his eternal destiny. The bonds between man and the universe have been demonstrated in many examples; such as the worshipping of God, love, knowledge, benefit, discipline, and the bonds of beauty.

– ملخص البحث –

د. عثمان محمد غريب[1]

قصد الباحث التأكيد على أواصر العناصر الكونية كما تجلت في رسائل النور، وهي رؤية عمدتها الماهية الجامعة للإنسان، تلك الماهية الوثيقة الصلة بمظاهر الوجود وعناصر الكون، وترتبط بها بأواصر ووشائج شتى مما يجعل الإنسان في أخذ وعطاء مع بقية الكائنات، فكان الإنسان بالنسبة للكون كالروح التي ترتبط بعلاقات وأواصر مع جميع أنحاء الجسم، حتى تجعل جميع أعضائه وجميع أجزائه، في تعاون تامٍّ فيما

بينها، فكان الإنسان خاتمة ثمرات شجرة الكون وأجمعُ ما فيها من الصفات، وهو في الوقت نفسه بذرتها الأصلية من حيث الحقيقة المحمدية، والآية الكونية الكبرى لقرآن الكون.. وهو أعظم معجزات القدرة الصمدانية بل هو أعجوبة الخلق لما انطوى فيه العالم الاكبر ولما تشهد جميع أجهزته بأنه مخلوق للسير قدما نحو الأبدية والخلود، وقد تجلت أواصر ربط الإنسان بالكون في أواصر كثيرة منها العبادة لله، والمحبة، والمعرفة، والتسخير والتثمير، والتأديب، وآصرة الجمال.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد فمما لا يقبل المراء والجدال أن سوء فهم هذا الكون الفسيح وعدم إدراك أواصر عناصره وعدم التعامل معه مَعرفيا واستعمارا واستثمارا وتسخيرا من أكثر أسباب الانحطاط والتخلف التي جعلت الأمة الإسلامية في نهاية الركب وذيل القافلة، فتأخرنا من حيث تقدم غيرنا، وتخلفنا من حيث ازدهروا.

لذا ارتأيت أن يكون بحثي هذا محاولة مني لكشف أهم الأواصر والوشائج بين الإنسان وبقية عناصر الكون كما رآها الأستاذ بديع الزمان النورسي –رحمه الله– ونثرها كالدرر في رسائله، وحاول جاهدا التعرفَ عليها وعلى مواطن الخلل ومواضع الزلل في حياة الأمة الإسلامية.

وأردت بهذا أن أَلفِتَ الأنظارَ إلى هذا الجانبِ المشرقِ من رسائل النور، وأُقدِّمَ الأدويةَ التي وصفها الأستاذُ لأمراض الأمة وعللِها من هذا الجانب.

وقد قسمت بحثي إلى تمهيد في التعريف بالإنسان والكون عند النورسي، وفذلكة بين يدي الأواصر والوشائج، وعدة مطالب مخصصةٍ للأواصر بين الإنسان وبقيةِ عناصر الكون، ونبين من خلال ذلك أهمية تفعيل تلك العلاقة على التقدم في جوانبه المختلفة، وهي كالآتي:

الآصرة الأولى: آصرة العبادة لله (تسبيحا وسجودا).

الآصرة الثانية: آصرة المحبة.

الآصرة الثالثة: آصرة المعرفة.

الآصرة الرابعة: آصرة التسخير والتثمير.

الآصرة الخامسة: آصرة التأديب.

الآصرة السادسة: آصرة الجمال.

ونختم البحث بأهم النتائج التي توصلنا إليها في بحثنا هذا.

وبهذا يتبين أن ارتباط الإنسان مع هذا الكون إنما هو كالروح التي ترتبط بعلاقات وأواصر مع جميع أنحاء الجسم، حتى تجعل جميع أعضائه وجميع أجزائه، في تعاون تامٍ فيما بينها، ولا يحجبها شيءٌ عن إدارة شؤون كل جزء من أجزاء الجسم، وإيفاء حاجات الجسم بكل جزء من أجزائه، وتقدر الروح على مدّ عضو واحدٍ بأمدادٍ من سائر الأعضاء، وتستطيع أن تسوق الأعضاء الأخرى إلى خدمته، بل تقدر أن تعرِف جميعَ الحاجات بكل جزءٍ من أجزاء الجسم، وتدير من هذا الجزء الواحد الجسمَ بأكمله، بل تتمكن الروح أن ترى وتسمع بكل جزء من أجزاء الجسم إن كانت قد اكتسبت نورانية أكثر -كما قال الأستاذ-.

وفي هذه العجالة أريد أن أقدم معتصر المختصر لهاته الأواصر والوشائج، أسأل المولى -عزَّ وجلَّ- أن يعيننا على ذلك، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

تمهيد في التعريف بالإنسان والكون

قديما قال المناطقة: الحكم على الشيء فرع تصوره، ومن هنا أصبح علينا لزاما أن نعرف بأهم المصطلحين البارزين في عنوان البحث: الإنسان والكون.

وكان من المفروض أن نقدم تعريف الكون على تعريف الإنسان لزوما من باب تقديم الكل على الجزء، ولكن عندما ندقق النظر في آيات الذكر الحكيم يظهر لنا جليا أن الإنسان هو غاية الكون وثمرته لذا ارتأينا تقديم الإنسان تقديما للأهم على المهم والغاية على الوسيلة.

أولا: الإنسان كما يراه الأستاذ بديع الزمان يختلف تماما عن الإنسان في منظور الفلاسفة، ففي الوقت الذي يختلف الفلاسفة فيما بينهم مترددين في بيان ماهية الإنسان وأهميته، مابين قول بكونه مجرد آلة في هذا الكون، أو جزء حقير أمام هذا الكون الفسيح، أو مجرد حيوان أذكى استطاع أن يسخر غيره لمصالحه، نرى الأستاذ -حاله حال مولانا جلال الدين الرومي- ينأى بنفسه بعيدا عن كل هاته المعمعات الفلسفية العقيمة وينظر إلى الإنسان من زاوية أخرى يكون الإنسان فيها أعلى رتبة

وأنبل غاية وأسمى فكرا، ومع هذا لا يخلو هذا الإنسان من عيوب ونقائص ربما لا تلقيها في غيره.!

يقول الحكماء يأن الإنسان هو العالَم الصغير، والعالَم هو الإنسان الكبير، لكن مولانا جلال الدين جاء وعكس المفهوم لأنه لا يوجد في الخليقة أعظم من الإنسان، فنسمعه يقول:

إذن أنت في الصورة العالَمُ الأصغر، وأنت في المعنى العالَمُ الأكبر.

وفي الظاهر يكون الغصن أصلا للثمرة، لكن الفرع في الحقيقة من أجل الثمرة.

فإن لم يكن الميل إلى الثمرة والأمل فيه، فمتى كان البستاني يغرس جذور الشجر؟!

ومن ثم فإن ذلك الشجر على سبيل المعنى ولد من الثمر، وإن كان الثمر قد ولد منه على سبيل الصورة.[2]

وأما الإنسان عند الأستاذ بديع الزمان فله مميزات خاصة به تميزه عن غيره من مخلوقات الله في الكون!

فبالإضافة إلى أنه أكرم المخلوقات وأشرفها نرى الأستاذ يعرف لنا الإنسان تعريفا دقيقا بأنه:

"هو خاتمة ثمرات شجرة الكون وأجمعُ ما فيها من الصفات.

وهو بذرتها الأصلية من حيث الحقيقة المحمدية.

وهو الآية الكونية الكبرى لقرآن الكون.. بل هو الآية الحاملة لتجليات الاسم الأعظم في ذلك القرآن الكوني كآية الكرسي في القرآن الكريم.

وهو أكرم ضيف في قصر الكون.

وهو أنشط موظف مأذون له بالتصرف في سكنة ذلك القصر.

وهو المأمور المكلف بحرث مزرعة الأرض والناظر المسؤول عن وارداتها ومصاريفها، بما جُهز من مئات العلوم وألوف المؤهلات.

وهو خليفة الأرض، والمفتش الباحث في مملكة الأرض والمرسل من لدن سلطان الازل والابد والعامل تحت رقابته.

وهو المتصرف في شؤون الأرض مع تسجيل كامل لأعماله بجزئياتها وكلياتها.

وهو عبد كليّ، مكلف بعبادة واسعة شاملة، والحامل للأمانة الكبرى التي أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها،

وهو الذي يعكس كالمرآة جميع تجليات الأسماء الحسنى ويتجلى فيه اسم الله الأعظم.

وهو المخاطب المقصود للخطاب السبحاني والأكثر فهماً للكلام الرباني.

وهو الأكثر فاقة وعجزاً من بين أحياء الكون.

وهو الكائن الحي العاجز الفقير بلا حدود، مع أن له أعداء ومؤذيات بلا عد ومقاصد وآلاماً بلا حد.

وهو أغنى استعداداً من بين ذوي الحياة. وهو أشد إحساسا وشعوراً بالألم -ضمن لذة الحياة- حيث تمتزج لذاته بآلام منغّصة.

وهو أشد شوقاً إلى البقاء وأكثر حاجة إلى الخلود، بل هو الأجدر به.. وهو الذي يتوسل لأجل البقاء والخلود بأدعية غير محدودة فلو أُعطي له ما في الدنيا من متع لما شفت غليله للخلود.

وهو الذي يحب الذي أنعم عليه حباً لحد العبادة، ويحببه للآخرين، وهو المحبوب أيضا.

وهو أعظم معجزات القدرة الصمدانية بل هو أعجوبة الخلق لما انطوى فيه العالم الأكبر ولما تشهد جميع أجهزته بأنه مخلوق للسير قدما نحو الأبدية والخلود. "[3]

ثم يذكر لنا الأستاذ أن أفراد الإنسان متفاوتة في الفضل والرتبة، فقد فضل الله بعضها على بعض، و"أعظم آية في كتاب الكون الكبير، وأعظم اسمٍ في ذلك القرآن الكبير، وبذرة شجرة الكون، وأنور ثمارها، وشمس قصر هذا العالم، والبدر المنوّر له، والدال على سلطان ربوبية الله، والكشّاف الحكيم للغز الكائنات، هو سيدنا محمد الأمين عليه أفضل الصلاة والسلام، الذي ضم الأنبياء جميعاً تحت جناح الرسالة وحمى العالم الإسلامي تحت جناح الإسلام، فحلّق بهما في طبقات الحقيقة متقدماً موكبَ جميع الأنبياء والمرسلين، وجميع الأولياء والصديقين، وجميع الأصفياء والمحققين. "[4]

وهذا يعني أن سيدنا محمد يساوي جميع من سبقه من الأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام.

از دِرَم ها نام شاهان برکَنَند -نـامِ احمـد تا ابـد بر می زننـد

نامِ احمد نامِ جمله انبیاست- چون که صد آمد، نود هم پیش ماست.[5]

المطلب الثاني: تعريف الكون عند الأستاذ -رحمه الله-:

الكون في نظر الأستاذ بديع الزمان هو ''مسجد كبير وكتاب منير مليء بآيات تكوينية يتلوها القرآن الكريم على الثقلين. ''[6]

ونراه كذلك يعرفه بمثله في سياق عتابه للنفس الكسول ويقول:

''ولو كانت لديك وسيلة -أيها الإنسان- لقتل الموت، ولإزالة الزوال عن الدنيا، ولو كان عندك دواء لرفع العجز والفقر عن البشرية، ووساطة لغلق باب القبر إلى الأبد، فهاتها إذن وقُلها لأسمع وأطيع ..وإلاّ فاخرس، فان القرآن الكريم يتلو آيات الكائنات في مسجد الكون الكبير هذا .فلننصت اليه، ولنتنّور بنوره، ولنعمل بهديه الحكيم، حتى يكون لساننا رطباً بذكره وتلاوته''.[7]

وكذلك أثناء كلامه عن وجود الملائكة وعملهم في الكون ويقول: ''فلابد أن تكون لهذه الوظائف غير النهائية والعبادات المتنوعة، أنواع غير نهائية أيضا من "الملائكة" وأجناس غير محدودة من "الروحانيات"، كي يعمّروا بصفوفهم المتراصّة ويملؤوا هذا المسجد الكبير.. هذا العالم.. هذا الكون ''.[8]

فذلكة الأواصر والوشائج

مما لا يقبل المِراء أن الإنسان ليس كائنا انعزاليا يعيش بمفرده منطويا على ذاته، وبما أودع الله فيه من ماهية جامعة يرتبط مع مظاهر الوجود وعناصر الكون بأواصر ووشائج شتى مما يجعله في أخذ وعطاء مع بقية الكائنات، فهو ليس من مادة بسيطة وجامدة تأبى التغير، بل هو معمل عظيم متقن الصنع، أجهزته دائمة التجدد، وكالقصر المنيف، أنحاؤه دائمة التحول، وذرات وجوده تعمل دوماً وتسعى دون توقف، وترتبط بوشائج وأواصر عديدة متنوعة شاملة لجميع مجالات الكون مع مظاهر الوجود في الكون من حوله، والذرات العاملة في جسده تحتاط من أن تخل بتلك الروابط، وتتحاشى أن تنفصم تلك العلاقات، فهي حذرة في تصرفها هذا، وتتخذ موقفاً ملائماً لها على وفق تلك العلاقات كأنها تنظر إلى جميع الكائنات وتشاهدها وتتفاعل معها.[9]

فيا أيها الإنسان الباحثُ عن الحقيقة أعِر سمعَك للأستاذ النورسي لحظات واستخرج من بحر كلماته اللؤلؤ والمرجان.

المطلب الأول: الآصرة الأولى: آصرة العبادة للّه (تسبيحا وسجودا)

من المعلوم أن الذكر الحكيم قد أخبرنا بأن الكون بأسره في تسبيح دائم للخالق العظيم والرب الرحيم.

كما في قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. الحديد:١

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾. الإسراء:٤٤

فلم يبق في الكون في هذا الكون الفسيح إلا أنت أيها المسكين ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾. الحجر:٩٨

"فيا أيها الغافل المسكين، ويا مَنْ يظن نفسَه هَملاً دون حساب، ويا مَنْ يغرق في نكران الجميل والكفران!

إن الكريم ذا الجمال يعرّف نفسه ويحبّبُها إليك بهذا الحشد من الألسنة التي لا تعد ولا تحصى، وإن أردت أن تصرف نفسك عن ذلك التعريف، فما عليك الاّ أن تكمم جميع هذه الأفواه المسبحة، وتسكت تلك الألسنة كافة.

وأنّى لك هذا!!

فما دام إسكات تلك الألسنة الناطقة بالتوحيد غير ممكن، فما عليك إلاّ الإصغاء والإنصات إليها. وإلا فلن تنجو بمجرد سد الأذن بأصابع الغفلة، لأن عملك هذا لا يسكت الكون. فالكون جميعاً، والموجودات كافة ناطقة بالتوحيد. فدلائل التوحيد وأصداؤه شواهد عدل لا تنقطع ولا تنتهي أبداً. فلا بد أنها ستُدينك".[10]

"هذا الكتاب الكبير للكون الذي يُكتب في صحيفة واحدة منه، وهي سطح الأرض، ويُكتب في ملزمة واحدة منه، وهي الربيع، ثلاثمائة ألف نوع من الكتب المختلفة، وهي طوائف الحيوانات وأجناس النباتات، كل منها بمثابة كتاب.. يُكتب كل ذلك معاً ومتداخلاً بعضها ببعض بلا اختلاط ولا خطأ ولا نسيان، وفي منتهى الانتظام والكمال بل يُكتب في كل كلمة منه كالشجرة، قصيدة كاملة رائعة، وفي كل نقطة منه كالبذرة، فهرس كتاب كامل .فكما ان هذا مشاهد وماثل أمامنا، ويُرينا بالتأكيد أن وراءه قلماً سيالاً يسطر، فلكم إذن أن تقدروا مدى دلالة كتاب الكون الكبير العظيم الذي في

كل كلمة منه معان جمة وحكم شتى، ومدى دلالة هذا القرآن الأكبر المجسم وهو العالم، على بارئه سبحانه وعلى كاتبه جل وعلا، قياساً إلى ذلك الكتاب المذكور في المثال. وذلك بمقتضى ما تقرؤونه من علم حكمة الأشياء أو فن القراءة والكتابة، وتناوله بمقياس أكبر، وبالنظرة الواسعة إلى هذا الكون الكبير .بل تفهمون كيف يعرّف الخالقَ العظيم بـ ''الله أكبر'' وكيف يعلّم التقديس بـ ''سبحان الله'' وكيف يحبّب الله سبحانه إلينا بثناء ''الحمد لله''. الربوبية، بمعاملة غيابية، فأدّوا وظيفة التكبير والتسبيح، قائلين: الله أكبر''.[11]

وتسبيحاتها؛ هي قيامها بوظائف حياتها بأبدع طراز بقوة الله سبحانه، وببذل الجهد في العمل. وعباداتها؛ هي هداياها وتحياتها التي تقدمها إلى الفاطر الجليل واهب الحياة.[12]

''ولكن.. أفضل هذه البلابل طراً وأشرفها وأنورها وأبهرها وأعظمها وأكرمها، وأعلاها صوتاً وأجلاها نعتاً وأتمها ذكراً وأعمها شكراً وأكملها ماهية وأحسنها صورة، هو الذي يثير الوجدَ والجذب والشوق في الأرض والسماوات العلى، في بستان هذا الكون العظيم، بسجعاته اللطيفة وتضرعاته اللذيذة، وتسبيحاته العلوية ..وهو العندليب العظيم لنوع البشر، في بستان الكائنات، بلبل القرآن لبني آدم، محمد الأمين، عليه وعلى أله وأمثاله، أفضل الصلوات وأجمل التسليمات''.[13]

ثم إن الإنسان إذا قنت لربه بقلب سليم وسبح بلسان الحال والمقال فإن بقية عناصر الكون ستشاركه في ذلكم النشيد القدسي كما فعلوا مع سيدنا داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ﴾.ص:١٨

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾. سَبَأ:٣٤-١٠

ثم نرى الأستاذ النورسي يلفت أنظارنا وأنظار تلاميذه إلى الشجرة المنتصبة أمام غرفته، وهي ''شجرة الدُلب ذات الأغصان الثلاثة، حيث تمثل كلمة عظيمة ينطق بها لسان هذا الجبل الموجود في فم ''بارلا'' ألا ترى كم من مئات ألسنة الأغصان لكل رأس من رؤوس الشجرة الثلاثة، وكم من مئات ثمرات الكلمات الموزونة المنتظمة في كل لسان؟ وكم من مئات حروف البذيرات المجنحة في كل ثمرة من الثمرات؟ ألا يسبّح كلٌ من تلك الرؤوس والألسنة لمالك الملك الذي له أمر كن فيكون؟ ألا يسبّح بكلام فصيح، وبثناء بليغ واضح، حتى إنك تشاهد تسبيحاتها وتسمعها؟''![14]

''هذه الآيات الكريمة التي تذكر معجزات سيدنا داود عليه السلام تدل على أن الله سبحانه قد منح تسبيحاته وأذكاره من القوة العظيمة والصوت الرخيم والأداء الجميل ما جعل الجبال في وجدٍ وشوق، وكأنها حاكٍ عظيم تردد تسبيحاتٍ وأذكاراً. أو كأنها إنسان ضخم يسبّح في حلقة ذكر حول رئيس الحلقة.

نعم! إنها لحقيقة قاطعة، أليس كل جبل ذي كهوف يمكن أن يتكلم مع كل إنسان بلسانه، ويردد كالببغاء ما يذكره؟ فإن قلت ''الحمد لله'' أمام جبل، فهو يقول أيضاً: ''الحمد لله'' وذلك برجع الصدى.. فما دام الله سبحانه وتعالى قد وهب هذه القابلية للجبال، فيمكن إذاً أن تنكشف هذه القابلية وتنبسط أكثر من هذا''.[15]

ثم إن التسبيح الحقيقي ليس هو الدردمة اللسانية فقط، وإنما هو تسبيح باللسان والجوارح والجنان، إذ ليس كل من سبح بلسانه مسبحا في الحقيقة، فرب مسبح باللسان كفور بأعماله.

وقال أبن الوردي:

قد عجبنا لأميرٍ... ظلم الناس وسبح

فهو كالجزار فيهم... يذكر الله ويذبح!![16]

وفي الختام لنشارك الأستاذ النورسي -رحمه الله- في مناجاته ونردد معه:

فَسُبْحانَكَ يا مَنْ تُسَبّحُ بِحَمْدِكَ السَّمآءُ بِكَلِمَاتِ نُجُومِهَا وَشُمُوسِهَا وَاَقمَارِهَا، بِرُمُوزِ حِكَمِهَا.

وَيُسَبّحُ بِحَمْدِكَ الجَوُّ بِكَلِمَاتِ سَحاباتِهِ وَرُعُودِهَا وَبُرُوقِهَا وَأمطَارِهَا، بِإشاراتِ فَوَائِدِهَا.

وَيُسَبّحُ بِحَمْدِكَ رَأسُ الأرض بِكَلِمَاتِ مَعَادِنِهَا وَنَبَاتَاتِهَا وَأشْجَارِهَا وَحَيْوَانَاتِهَا، بِدَلالاتِ انْتِظَامَاتِهَا.

وَتُسَبّحُ بِحَمْدِكَ النَّبَاتَاتُ وَالأشْجَارُ بِكَلِمَاتِ أوْرَاقِهَا وَأزهَارهَا وَثَمَرَاتِهَا، بَتَصْرِيحَاتِ مَنَافِعِهَا.

وَتُسَبّحُ بِحَمْدِكَ الأزهَارُ وَالأثْمَارُ بِكَلِمَاتِ بُذُورِهَا وَأجْنِحَتِها وَنَوَاتَاتِهَا، بِعَجَائِبِ صَنْعَتِهَا.

وَتُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ النَّواتَاتُ وَالبُذُورُ بِألسِنَةِ سَنَابِلِهَا وكَلِمَاتِ حَبَّاتِهَا بالمُشَاهَدةِ.

وَيُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ كُلُّ نَبَاتٍ بِغَايَةِ الوُضُوحِ وَالظُّهُورِ عِنْدَ انْكِشافِ أكمَامِها وَتَبَسُّمِ بَنَاتِهَا بِأفْوَاهِ مُزَيَّنَاتِ أزاهيرِهَا وَمُنْتَظَمَاتِ سَنَابِلِهَا، بِكَلِمَاتِ مَوْزُونَاتِ بُذُورِهَا[17]

سُبْحَانَكَ مَا سَبَّحْنَاكَ حَقَّ تَسْبِيحِكَ يا مَنْ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمواتُ السَّبْعُ والأرض وَمَنْ فيهنَّ.

الآصرة الثانية: آصرة المحبة.

المحبة سر من أسرار الله تعالى أودعه في جميع ذرات هذا الوجود، والكون كله قائم على هاته الآصرة العظيمة التي لا تكاد توصف بالكلمات، وذلك لأن المحبة - كما يقول الأستاذ- هي جوهر الكون كله، وبه تقوم حركة الموجودات كلها، وقوانين الانجذاب والجذب والجاذبية التي تجري في الموجودات إنما هي آتية من المحبة، وهذا يعني أن للإنسان محبين ومحبات من أفراد الكون، ليس بالمليارات والتريليونات[18] والجوجلات[19] بل إلى حد يعجز ألسنة البشرية وأقلامهم عند عدها وحصرها!!

ولهذا تجد جبل أحد يقول عنه المصطفى صلى الله عليه وسلم بأنه يحبهم ويحبونه!![20]

وقد نقل الأستاذ النورسي عن بعضهم قوله:

كل ذرات الوجود في نشوة المحبة، الفَلَكُ نَشوانٌ والمَلَك نَشوانٌ، النجومُ والسَّمواتُ نَشاوى، القمرُ والشمسُ والأرض نَشاوى، والعناصر والنباتات والأشجار نَشاوى.[21]

وإذا كان الأمر كذلك فما ينبغي أن ننظر إلى الوجه القبيح للدنيا ونترك وجوهَها الأُخَرَ البراقةَ!

وهنا قد يساورك ارتياب ويخالجك شك تعبر عنه باستفهام مفاده: هل للدنيا غير هذا الوجه القبيح الدميم بمقارنتها بكمالات الجنة وجمالها ومحاسنها، هل لها غير هذا الوجه الفاني الزائل المؤلم الخدَّاع الذي يحجب المؤمن عن معرفة الله تعالى ومحبته وعبادته ويلهيه عن الاستعداد لحياته الأخروية الباقية؟!

للإجابة على السؤال المحير نقول:

لو خلعت عن عينيك النظارةَ السوداءَ القاتمةَ، ونظرت إلى الدنيا تلكم النظرةَ التفاؤليةَ التي كان يملكها الأستاذ لبان لك الأمر وانجلى.

فللدنيا عند الأستاذ بديع الزمان وجهان آخران مشرقان يدلان على أن الدنيا مبعث كمال إلهي وحجة له، وإذا أردت التوضيح فاستمع للأستاذ منصتا ومخبِتا -وهو يذكر لك ذينِك الوجهين- وبشِّر المخبِتين:

''الوجه الاول: الذي يؤدي وظيفة مرآةٍ لأسماء الله الحسنى بالمعنى الحرفي، ويبين آثار تلك الأسماء ونقوشها، فهذا الوجه مكاتيب صمدانية لا تحد. لذا يستحق العشق لا النفور، لأنه في غاية الجمال!

الوجه الثاني: الذي تكون فيه الدنيا مزرعة للآخرة، مزرعةً الجنة، موضعً أزهار أزاهير الرحمة الإلهية. وهذا الوجه جميل كالوجه الأول يستحق المحبة لا التحقير.[22]

وبهذا يتبين لك المقصودُ من التحقير الوارد في النصوص المقدسة للدنيا، وتكون قد هديت إلى رشد التوفيق بينها وبين النصوص الأخرى التي تذكر الموجودات بأهميةٍ بالغةٍ وإعجاب وإطراء مما جعل الدنيا مرغوبة فيها لدى الصحابة الكرام وسائر أولياء الله تعالى.

ومن ثم يظهر لك خطأ الذين تركوا الدنيا فصارت في أيدي أعدائهم، ومن ثم أصبحوا عالة على غيرهم مع أن المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف،[23] واليد العليا المعطاء خير من اليد السفلى.[24]

والنورسي رحمه الله يجمل لنا القول في حب الدنيا قائلا:

''اجعل حبك للدنيا وما فيها من مخلوقات بالمعنى (الحرفي) وليس بالمعنى (الاسمي) أي لمعنى ما فيها وليس لذاتها. ولا تقل لشيء: ''ما أجمل هذا'' بل قل: ''ما أجمله خلقاً'' أو ''ما أجمل خلقه!'' وإياك أن تترك ثغرة يدخل منها حبٌ لغير الله في باطن قلبك، فإن باطنه مرآة الصمد، وخاص به سبحانه وتعالى. وقل:

اللّهم ارزقنا حبك وحب ما يقرّبنا إليك.

وهكذا فإن جميع ما ذكرناه من أنواع المحبة، إن وجهت الوجهة الصائبة على الصورة المذكورة آنفاً، اي عندما تكون لله وفي سبيله، فإنها تورث لذة حقيقية بلا ألم.

وتكون وصالاً حقاً بلا زوال، بل تزيد محبة الله سبحانه وتعالى، فضلاً عن أنها محبة مشروعة وشكر لله في اللذة نفسها، وفكر في آلائه في المحبة عينها. "[25]

ثم يذكر لنا الأستاذ مثالا توضيحيا:

"إذا أهدى إليك سلطان عظيم تفاحة –مثلاً– فإنك ستكّن لها نوعين من المحبة، وستلتذ بها بشكلين من اللذة:

الأولى:

المحبة التي تعود الى التفاحة، من حيث إنها فاكهة طيبة فيها لذة بقدر ما فيها من خصائص، هذه المحبة لا تعود إلى السلطان. بل مَن يأكلها بشراهة أمامه يبدي محبته للتفاحة وليس للسلطان، وقد لا يعجب السلطان ذلك التصرف منه، وينفر من تلك المحبة الشديدة للنفس .علاوة على أن لذة التفاحة جزئية وهي في زوال. إذ بمجرد الانتهاء من أكلها تزول اللذة وتورث الأسف.

أما المحبة الثانية:

فهي للتكرمة السلطانية والتفاتته اللطيفة التي ظهرت بالتفاحة.. فكأن تلك التفاحة نموذج للتوجه السلطاني، أو هي ثناء مجسّم منه. فالذي يتسلم هدية السلطان حباً وكرامةً يبدي محبته للسلطان وليس للتفاحة. علماً أن في تلك التفاحة التي صارت مظهراً للتكرمة لذة تفوق وتسمو على ألف تفاحة أخرى. فهذه اللذة هي الشكران بعينه، وهذه المحبة هي محبة ذات احترام وتوقير يليق بالسلطان. "[26]

وهذا المنهج الذي سلكه الإمام إنما نبع من فهمه الثاقب لمقاصد القرآن ومراميه الدقيقة.

فهاهو القرآن يخاطب الأمة قائلا: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.الأنفال:٦٠

فيا ليت شِعري كيف يستعد لملاقاة العدو مَن طلَّق الدنيا ولا يملك منها ما يسد به رمقه ويستر به سوءته!

ويا ليت شِعري كيف يبنى المساجد ويَعمُرها من لا ناقة له في الدنيا ولا جمل، بل ولا دجاجة ولا بيضة!

ولا أدري كيف يُفَعَّلُ ركنُ الزكاة فينا ونحنُ فقراء عالة نتكفَّفُ الناسَ.

وكيف يَحج بيتَ الله العتيقِ ويزوره الناس زَرافات ووحدانا وكلهم لا يستطيعون إليه سبيلا!

وقولوا لي حينئذ من يَقدِر على اقتحام العقبة ويَفك الرقبةَ ويطعم في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة؟!

ومن ذا الذي يُطيق أن يُبغض الكونَ الذي هو مظهر كمالات الله وجمالاته وجلالاته؟!

ومن يقدر على بغض الشمس الوهاجة، والقمر المنير، والرياح اللواقح، والزهور اليانعة والأشجار المثمرة؟

والحق أقول: إن نظرة النورسي -رحمه الله- جعلته ينظر إلى الدنيا بعين المحبة والشفقة حتى بلغت به المحبة إلى مرحلة أضحى الذي يخافه الناس ويضطربون بذكر اسمه ويكرهونه محبوبا للأستاذ -رحمه الله-، فها نحن نستمع إليه وهو يذكر لنا أنه حالَما ذكر اسم عزرائيل - الذي يملأ ذكره الناس رعباً وارتجافاً - شعر بحالة ذاتِ طعم في غاية الحلاوة والسلوان، فحمد الله، وبدأ يحب عزرائيل حباً خالصاً، على أنه واحد من الملائكة الذين يعتبر الايمان بوجودهم ركناً من أركان الايمان.[27]

هذه النظرة الدقيقة هي التي تفهمنا مدى تأثر الكون بالإنسان وانفعاله بما يعتري الإنسان من حالات الفرح والترح والحزن والسرور، وتفهمنا حقيقة الآية الكريمة ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرض وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾. الدخان:٢٩

"إن هذه الآية تقول بالمفهوم المخالف: بما أن أهل الإيمان يبثون حبهم للسموات والأرض بل للموجودات جميعا بحبهم لله، باعتبارهما مرايا عاكسة لتجليات أسمائه الحسنى، ويعرفون وظائف السموات والأرض، ويقدرونهما حق قدرهما، ويصدقون حقائقهما الحقة، ويفهمون -بالإيمان- ما تفيدان من معانٍ، ويمنحونهما ما يستحقان من القيمة والاحترام، لهذا تهتز السَّموات، وتحزن الأرض، لموت أهل الإيمان ولا تتحملان فراقَهم لأن الكائنات جميعاً مرتبطة مع أهل الايمان، وذات علاقة بهم، وراضيةٌ عنهم، وتبكيان على فراقهم، بخلاف أهل الزيغ والضلال الذين يستهينون بالسموات والأرض، ويتخذون منهما موقف العداء والإهانة والاستخفاف، وينكرون وظائفهما ويتهمونهما بالعبثية ولا يدركون معاني ما يؤديانه من مهام، ويبخسون حقهما، بل لا يعرفون خالقَهما ولا دلالاتهما على صانعهما، فإن السموات والأرض

لا تبكيان على جنائزهم عند موتهم بل تدعوان عليهم وتظهران رضاهما لفراقهم وارتياحهما لهلاكهم. "[28]

هذا حال السموات والأرض مع المؤمن في نظر التلميذ الوفي للقرآن الكريم نعني به أستاذنا الجليل بديع الزمان.

"إن تلميذ الفلسفة يفرّ من أخيه إيثاراً لنفسه، ويقيم عليه الدعوى، أما تلميذ القرآن فإنه يرى جميع عباد الله الصالحين في الأرض والسموات إخوانا له، ويشعر من أعماق روحه بأواصر شوق تشدّه نحوهم، فيدعو لهم دعاءً خالصاً نابعاً من صميم قلبه "اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات" فهو يسعد بسعادتهم .حتى إنه يرى ما هو أعظم الأشياء كالعرش الأعظم والشمس الضخمة مأموراً مسخَّراً مثله".[29]

ومن جانب آخر نرى للأستاذ علاقة متينة مع المخلوقات ويشفق كثيراً جداً على الأشجار والحيوانات بل حتى على الأحجار أيضاً. فعندما يرى كلباً -مثلاً- في الطريق يشفق عليه ويبادر تلاميذه بالقول:

- هل لديكم كِسرة خبز؟ فيأخذها ويعطيها للكلب.

ويقول: هذه حيوانات وفية، وإن عدوَها وعواءها ناشئان عن صدقها ووفائها.

وكان عندما يرى في السهول السلحفاة -مثلاً- على حوافي السواقي يقول:

- ما شاء الله، بارك الله، ما أجملها من مخلوق، فالصنعة والإتقان في خلقها ليس بأقل منكم.

وأحيانا عندما كان الأستاذ يرى مملكة النمل أو يرى تلاميذه يحركون حجراً وتحته مملكة النمل كان يعيد الحجر إلى مكانه ويقول: لا تقلقوا راحة هذه الحيوانات.

وعندما كان يلتقي في تجواله صيادي الأرانب والطيور يقول لهم:

- لا تروِّعوا هذه الحيوانات ببنادقكم ولا تؤذوا غيرها.

وهكذا وبهذا الأسلوب كان ينصح الصيادين الهواة. حتى جعل الكثيرين منهم يتخلون عن الصيد.[30]

ونختم هذه الآصرة النورسية بأبيات مثنوية:[31]

از محبت تلخها شيرين شود وز محبت مسها زرّين شود

ازمحبت دُردها صافی شود وز محبت دَردها شافی شود
از محبت خارها گل می شود وز محبت سرکه ها مُل می شود
از محبت دار تختی می شود وز محبت بار بُختی می شود
از محبت سجن گلشن می شود بی محبت روضه گلخن می شود
از محبت نار نوری می شود وز محبت دیو حوری می شود
از محبت سنگ روغن می شود بی محبت موم آهن می شود
از محبت حزن شادی می شود وز محبت غول هادی می شود
از محبت نیش نوشی می شود وز محبت شیر موشی می شود
از محبت سُقم صحت می شود وز محبت قهر رحمت می شود
از محبت مرده، زنده می شود وز محبت شاه بنده می شود
این محبت هم نتیجه دانش است کی گزافه بر چنین تختی نشست

الآصرة الثالثة: آصرة المعرفة.

النورسي -رحمه الله- لم يكن من الأُلَى المارِّين غير الآبِهين بما يجري فيما حوله من عناصر هذا الكون الفسيح والمسجد الكبير.

فلا تكاد تجده يخطو خطوة أو يجلس جلسة إلا وهو متأمل فيما حوله تأمل العاشق الولهان لصانعه، المتلهف لمزيد من المعارف والتجليات التي توصله إلى خالقه.

فمرة يُوَلِّي وجهَه شَطر السماء بكواكبها ونجومها الكثيرة.

ومرة يذهب بفكره ويسافر صوب البحر الهائج وما يحمله من كائنات ومخلوقات متنوعة مختلفة تفوق العد والإحصاء.

ومرة يتجول في السهول الممتدة على مد البصر وبين المروج المزدهرة بالأثمار والأزهار، ويتصفح كتاب الكون المنظور بنظراته الدقيقة الواعية ويقرأ ما وراءه من معان ورموز، كمن يقرأ كتاباً مفتوحاً بين يديه بكل اهتمام وذوق، وكان يقول لطلابه في أثناء ذهابهم وإيابهم في السيارة:

أأنتم تطالعون كتاب الكون أيضاً؟

ثم يردف ذلك ببيان ما في جميع ذرات الكون من معارف وأدلة على العروج نحو

العلا وهو يناجي خالقه وباريه قائلا:

''اللّهم يا عدل. يا حكم. يا عليم. يا حكيم. إنه ليس في الرياح مَرّةٌ، ولا في السحاب قطرة، ولا في الرعود زجرة، ولا في البروق لمعة، ولا في الرياض زهرة، ولا في الجنان ثمرة، ولا في الهواء نحلة، ولا في النبات صبغة، ولا في الحيوان صنعة، ولا في الوجود زينة، ولا في الكون ذرة، ولا في الخلق نظام، ولا في الفطرة ميزان، ولا في العرش شيء، ولا في الكرسي شأن، ولا في السماء نجم، ولا في الأرض آية : إلا وهي لك أدلة شهدت، وآيات تشهد على أنك واجب، واحد، أحد، صمد، جميع الخلق مقهورون تحت قدرتك، قلوبهم في قبضتك، نواصّيهم بيدك، مقاليدهم لديك . لا تتحرك ذرة إلا بإذنك''.[32]

ثم نرى الأستاذ وهو يعود أدراجَه ويلقي عصا التَّرحال أمام نفسه التي لطالما تأملها واستخرج الدرر من مخبوءاتها ثم يخاطبها ويقول:

''يا أيها العقل! أفِق، أين الآلة المشؤومة من مفتاح كنوز الكائنات؟

ويا أيتها العين! أبصري جيداً، أين السمسرة الدنيئة من الإمعان في المكتبة الإلهية؟

ويا أيها اللسان! ذق بحلاوة، أين بواب المعمل والاصطبل مِن ناظِر خزينةِ الرحمة الإلهية؟

إن هدايا الرحمن الجميلة -كالعقل والقلب والعين وما شابهها- ما وُهبت لك إلاّ لتهيئك لفتح أبواب السعادة الأبدية، فما أعظمها خسارة أن تتحول تلكم الهدايا إلى صورة مؤلمة تفتح لك أبواب جهنم! ''[33]

ونحن في هذا المقام -نقولها دونما مواربة- حريٌ بنا أن نتواضع لهذا الأستاذ الجليل ونظهر إعجابنا به وبأعظم مرشدين من مرشديه القرآن الكريم والنبي العظيم صلى الله عليه وسلم ونرتل لهم هذا الترتيل قائلين: ما أعظمه من مرشد ربَّى بديع الزمان!

مطالعة الكون:

والأستاذ لشغفه بالمعرفة والوصول على الحقيقة كان باحوثاً عن مصادر المعرفة، وما كان يدع شيئا يراه أو يسمع به أو يخطر بباله إلا وكان يفتح له بصيرته ويطالع صفحاته مطالعة المتفائل ويعتبره آية على مولاه ومصدرا من مصادر المعرفة الموصلة

للحقيقة، لذا يجعله أستاذا له ويأخذ منه الدروس والعبر.

ومن هنا صرَّح بأن له ثمانين ألف أستاذ وأستاذ! وإليك جملة من أساتيذه:

أولا: القرآن الكريم، يقول الأستاذ عن هذا الأستاذ الكريم:

ومن أعظم الأساتيذ وأكرمهم قرآننا الكريم ونبينا العظيم صلى الله عليه وسلم.

يقول الأستاذ: لما كان لي أستاذ أزلي وهو القرآن العظيم، فلا أراني مضطراً أن أبالي -ولو بقدر جناح ذبابة- في طريق الحقيقة والمعرفة، بأولئك الصقور الذين هم تلاميذ الفلسفة الملوثة بالضلالة والعقل المبتلى بالأوهام. فمهما كنت أدنى منهم درجة إلاّ أن أستاذهم أدنى بدرجات لا حدّ لها من أستاذي، فبفضل أستاذي وهمته لم تستطع المادةُ التي أغرقتهم أن تبلل قدمي. نعم! إن الجندي البسيط الحامل لأوامر سلطان عظيم وقوانينه، يمكنه أن ينجز من الأعمال مالا ينجزه مشير لدى ملك صغير''.[34]

ثانيا: أستاذ البشرية الأكبر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

يقول عنه النورسي بأن: هذا النبي الكريم ضروري كضرورة الشمس لهذا الكون؛ إذ هو أستاذ البشرية الأكبر، ونبيها الأعظم، وأعظم معلم.. وأكمل أستاذ.. وأصدق قدوة.. وأقوم رائد.[35]

ثالثا: سيدنا علي -رضي الله عنه- الذي هو أعظم أستاذ لطلاب رسائل النور بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، لذا يقرر بأن الشيعة والعلويين -الذين يدعون إلى محبته- إن لم يستمعوا إلى رسائل النور أزيد من أهل السنة فإن دعوى محبتهم لآل البيت ليس في محلها.[36]

رابعا: الأم: التي هي أول أستاذ للإنسان وأكثر من يؤثر فيه تعليماً.[37]

خامسا: أستاذه الفارسي الشيخ عبد القادر الكيلاني -قدس الله روحه- الطبيب المرشد لأستاذنا بكتابه ''فتوح الغيب''، وأستاذه الهندي الإمام الرباني -قدس الله روحه- الأستاذ الأنيس والرءوف الشفيق بكتابه ''مكتوبات''.[38]

سادسا: جميع الموجودات من أصغر مخلوق إلى أعظمه.

استمع إليه وهو يذكر لنا كيف جعل مخلوقا صغيرا أستاذا له:

''كنت يوماً في جدال مع نفسي، إذ اغترت بما أنعم الله عليها، وتوهمت أنها مالكة لها، وبدأت بالفخر والمدح.

فقلت لها: إنكِ لا تملكين شيئاً بل هو أمانة. فتركت الغرور والفخر. ولكنها تكاسلت قائلة: لِمَ أرعى ما ليس لي؟ وماذا عليّ لو ضاع؟

وفجأة رأيت ذبابة وقفت على يدي وبدأت بتنظيف وجهها وعينها وجناحيها وهي أمانات لديها تنظيفاً على أجمل ما يكون، مثلما ينظف الجندي سلاحه وملابسه التي سلّمتها له الدولة، فقلت لنفسي: انظري إلى هذه الذبابة، فنظرت وتعلّمت منها درساً بليغاً. وهكذا أصبح الذباب استاذاً لنفسي الكسلانة.

إن فضلات الذباب لا ضرر لها من حيث الطب، بل قد تكون شراباً حلواً (وغذاء لحشرات أخرى) إذ ليس من المستبعد عن الحكمة الإلهية، بل من شأنها أن تجعل من الذباب مكائن تصفية وأجهزة استحالة، نظراً لأكلها ألوف الأصناف من مواد هي منشأ الجراثيم والسموم.

نعم إن من طوائف الذباب -مما سوى النحل- طائفة تأكل المواد المتعفنة المختلفة فتقطر دوماً قطرات من مواد حلوة بدلاً من فضلاتها -كنزول المنّ على أوراق الأشجار- فتثبت أنها مكائن استحالة.

وهكذا يتبين أمام الأنظار مدى عظمة أمة الذباب الصغير هذا، ومدى عظمة وظائفها. وكأنها تقول بلسان الحال: لا تنظروا إلى صغر أجسامنا بل إلى عِظَم وظائفنا. وقولوا: سبحان الله''.[39]

الآصرة الرابعة: آصرة التسخير والتثمير.

القرآن الكريم قد نص في أكثر من موضع على أن الكون بأسره مسخر للإنسان الذي أكرمه الله تعالى وجعله سيد مخلوقاته.

ثم إنه كما تثمر الشجرة فكذلك الإنسان لابد أن يكون مثمرا، ومن هنا كان الإنسان هو حقاً أكرم ثمرة لشجرة الكون.[40]

وكما قال تعالى في تثمير النبات ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ. يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ

الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾،[النحل:١٠-١١] كذلك قال في تثمير الإنسان ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأرض فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.[هود:٧]

أما بالنسبة لآصرة التسخير فقد قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ. وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ. وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسان لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾.[إبراهيم:٣٢-٣٤]

وقال أيضا: ﴿اَللَّهُ الَّذِي سخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.[الجاثية:١٢-١٣]

وعندما يقرأ اللبيب هاته الآيات الكريمات يستشعر مدى إكرام الله لهذا الإنسان ومدى تسخير هذا الكون العظيم بجميع ذراته لهذا الكائن الضعيف.

ما أعظم إنسانا كانت الشموس والأقمار والنجوم والكواكب والجبال الرواسي والرياح والبحار والفلك الجارية وبقية العناصر مجرد خدم مسخرين له!

وما أجهل هذا الإنسان الذي جعل من خدمه أسيادا له!!

"وهذه الآيات تبين كيف أن الله تعالى قد خلق هذا الكون للإنسان في حكم قصر، وأرسل ماء الحياة من السماء إلى الأرض، فجعل السماء والأرض مسخرتين كأنهما خادمان عاملان على إيصال الرزق إلى الناس كافة، كما سخر له السفينة ليمنح الفرصة لكل أحد، ليستفيد من ثمار الأرض كافة، ليضمن له العيش فيتبادل الأفراد فيما بينهم ثمار سعيهم وأعمالهم .أي جعل لكل من البحر والشجر والريح أوضاعاً خاصة بحيث تكون الريح كالسوط والسفينة كالفرس والبحر كالصحراء الواسعة تحتها .كما انه سبحانه جعل الإنسان يرتبط مع كل ما في انحاء المعمورة بالسفينة وبوسائط نقل فطرية في الانهار والروافد وسيّر له الشمس والقمر وجعلهما ملاحين مأمورين لإدارة دولاب الكائنات الكبير واحضار الفصول المختلفة واعداد ما فيها من نعم إلهية .كما سخر الليل والنهار جاعلاً الليل لباساً وغطاءً ليخلد الإنسان إلى الراحة والنهار معاشاً ليتجر فيه. "[41]

''يذكر القرآن في هذه الآيات ما في خلق السموات والأرض من تجلي سلطنة الالوهية الذي يُظهر تجلي كمال قدرته سبحانه وعظمة ربوبيته، ويَشهد على وحدانيته.. ويذكر تجلي الربوبية في اختلاف الليل والنهار، وتجلي الرحمة بتسخير السفينة وجريانها في البحر التي هي من الوسائل العظمى للحياة الاجتماعية، وتجلي عظمة القدرة في إنزال الماء الباعث على الحياة من السماء إلى الأرض الميتة وإحيائها مع طوائفها التي تزيد على مئات الآلاف، وجعلها في صورة معرض للعجائب والغرائب.. كما يذكر تجلي الرحمة والقدرة في خلق ما لا يحد من الحيوانات المختلفة من تراب بسيط.. كما يذكر تجلي الرحمة والحكمة من توظيف الرياح بوظائف جليلة كتلقيح النباتات وتنفسها، وجعلها صالحة في ترديد انفاس الأحياء بتحريكها وإدارتها.. كما يذكر تجلي الربوبية في تسخير السحب وجمعها وتفريقها وهي معلقة بين السماء والأرض كأنها جنود منصاعون للأوامر يتفرقون للراحة ثم يجّمعون لتلقي الاوامر في عرض عظيم''.[42]

''ثم ينظر ذلك السائح إلى ''الرياح'' التي تجول في الجو فيرى أن الهواء يستخدم في وظائف كثيرة، في منتهى الحكمة والكرم استخداماً كأن كل ذرة من ذرات ذلك الهواء الجامد - وهي لا تملك شعوراً - تسمع وتعي ما يلقى إليها من الأوامر الصادرة من سلطان هذا الكون. فتؤدي خدماتها بقوة ذلك الآمر وهيمنته وتنفّذها بكل انتظام ودقة دون أن تتوانى في شيء منها فتدخل هذه الذرات في استنشاق جميع أحياء الأرض للهواء، أو نقل الأصوات أو المواد الضرورية لذوي الحياة كالحرارة والضوء والكهرباء، او التوسط لتلقيح النباتات أو ما شابهها من الوظائف الكثيرة، فهي تستخدم بجميع هذه الخدمات من قبل يد غيبية استخداماً في منتهى الشعور، والعلم، والحيوية''.[43]

وهكذا جعل (الحي القيوم -سبحانه-) الإنسانَ مركزاً للكون، ومحوراً له، بل سخّر الكون له فمدّ أمامه سفرة عظيمة عظم الكون لتتلذذ أنواع معداته المادية والمعنوية.

أما حكمة قيام الكون بسر القيومية على الإنسان -من جهة- فهي للوظائف المهمة الثلاث التي أنيطت بالإنسان:

''الأولى: تنظيم جميع أنواع النعم المبثوثة في الكائنات بالإنسان وربطها بأواصر المنافع التي تخص الإنسان، كما تنظَّم خرز المسبحة بالخيط، فتُربط رؤوس خيوط

النعم بالإنسان ومصالحه ومنافعه. فيكون الإنسان بما يشبه فهرساً لأنواع ما في خزائن الرحمة الإلهية ونموذجاً لمحتوياتها.

الوظيفة الثانية: كون الإنسان موضع خطابه سبحانه بما أودع فيه من خصائص جامعة أهّلته ليكون موضع خطابه سبحانه وتعالى، ومقدّراً لبدائع صنائعه ومعجباً بها، ونهوضه بتقديم آلاء الشكر والثناء والحمد الشعوري التام. على ما بُسط أمامه من أنواع النعم والآلاء العميمة.

الوظيفة الثالثة: قيام الإنسان بحياته بمهمة مرآة عاكسة لشؤون (الحي القيوم) ولصفاته الجليلة المحيطة".[44]

الآصرة الخامسة: آصرة التأديب.

من الأواصر الأخرى التي تربط عناصر الكون بالإنسان آصرة التأديب الذي يؤدِّبُ به عناصرُ الكونِ أخاهم في الكونية، بل سيدَهم وقائدَهم، أعني به ذلكم الإنسان الذي أكرمه الله بالسيادة على مخلوقاته بيد أنه يتغابى عن درك الأفضال الربانية عليه وينحرف عن جادة الصواب أو يغفل عن المهمة التي أوكلت إليه، فينقلب عليه جميع ذرات الوجود ويضربونه ضربة تأديب عسى أن يثوب إلى رشده ويؤوب من دَشتِ الضلالة القاحل إلى نواضر أَيْكِ الإيمان.

والأستاذ النورسي -رحمه الله- يذكر لنا نوعين من هذه الآصرة، نوعا لتأديب المؤمنين عندما يغفلون، ويسمي هذا النوع بلطمات الرأفة وصفعات الرحمة.[45]

والنوع الثاني نوع تأديب للظلمة والكفار الذين ناصبوا العداء لأهل الحق.

وضمن دائرة النوع الأول وعلى ضوء قوله تعالى ﴿ويُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَه واللهُ رَؤوفٌ بالعِبادِ﴾، آل عمران:٣٠ يفسر لنا الأستاذ سراً من أسرار تلكم اللطمات التأديبية الرحيمة والصفعات العتابية الرؤوفة التي تلقاها إخوتُه الأحبةُ العاملون في خدمة القرآن الكريم، وذلك من جراء أخطاء ونسيان وغفلة وقعوا فيها بمقتضى جبلتهم البشرية. ويردف ذلك بذكر لطمات من هذا النوع تلقاها هو كلما رام الخلوة بُغيةَ الجلوة.

وضمن النوع الثاني يكشف لنا الأستاذ سر حَنَقِ الكائنات وغضبِها، ويذكر لنا أن ذلك كله لن يكون إلا بمحض رحمة الله بمخلوقاته وحكمته فيه، "لأن الله -سبحانه وتعالى- قد أعطى كلَّ عنصرٍ من العناصر وظائف كثيرة، فإذا ما قصّر أحد العناصر في

أداء وظيفته فإن الله تعالى يأذن للعناصر الأخرى أن تقوم بوظيفة التأديب رحمة وشفقة به، ولما كان قسم من المفاسد هو عصياناً شاملاً وتعدّياً فاضحاً على حقوق كثير من المخلوقات وإهانة لها واستخفافا بها فإن ذلك يستدعي غضب العناصر ويثير غيظها، ولاشك أن تأديب أولئك العصاة إظهاراً لبشاعة عصيانهم وجسامة جنايتهم، إنما هو عين الحكمة والعدالة، وعين الرحمة للمظلومين في الوقت نفسه. ''[46]

وكما أن أقوى الأشياء وأعظم العناصر يستكين لأضعفِ الأشياء وأصغرها بسبب طاعته وخضوعه لمولاه واستقامته في سيره فإن أضعف الأشياء يغضب ويشتد غضبه على أقوى العناصر الذي يحيد عن الحق ويهرع إلى الضلالة والغي!

وكما أن النار أضحت بردا وسلاما على إبراهيم، والغضب سكت عن البحر الهائج الغضوب لأجل معصومٍ على لوحٍ منكسر دعا بقلبٍ منكسر؛ فإنه يشتد غضبه على من جعل الحق وراءه ظهريا.

وتمرده على مولاه يثير غضب الكائنات ويجعل الأرض والسموات في حنق وغيظ عليهم فتأتيه صفعات الأمراض ولطمات المصائب[47] علَّه يثوب وإلى رشده يؤوب.

والقرآن الكريم يعبّر لنا بأسلوبه المعجز عن غضب الكائنات وتغيّظ عناصر الكون جميعها وتهيّج الموجودات كافة من شر أهل الضلالة، عندما يصف اِشتراكَ السماء والأرض بالهجوم على قوم ''نوح عليه السلام'' في الطوفان، وعَصْفَ الرياح بقوم ''عاد'' والصيحةَ على ''ثمود''، وهيجانَ الماء على قوم فرعون، ونَقمةَ الأرض على قارون.. عند رفضهم الإيمان حتى إن جهنم ﴿تكادُ تميّزُ من الغيظ﴾.[48] الملك:٨

﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرض وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا. أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا. وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾.[مريم:٩٠-٩٢]

والدارس لحياة الأولياء والعارفين يرى من استنفار الكون لنصرتهم والذود عنهم نماذج وأمثلة كثيرة تفوق العد والحصر، كيف لا واللهُ –تعالى– يقول كما في الحديث القدسي: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب.[49]

وإذا أنخنا مطايانا بباب الأستاذ بديع الزمان لألفينا من تلكم النماذج نماذج، ولنذكر هنا على عجالة من أمرنا بعض مثل هاته الألطاف الإلهية عليه، وكيف انتصرت السموات والأرض لرسائل النور المتمثلة في شخصه الكريم.

فها هو الأستاذ ليقينه بقيام جميع عناصر الكون -ما عدا الإنس والجن- بأداء وظيفة التأديب والانتصار للحق نراه يحذَر أولي الشأن في المحكمة من مغبة هجومهم على رسائل النور.

فقد ثبت أنه بعد أن أخذوا إفادته التي دامت أربع ساعات ونصف الساعة والأستاذ يعاني الضيق، قال لهم محذرا إياهم: ''لا تحرموني من الرسائل، وإلاّ تكون خسارة جسيمة لي ولهذا الوطن، فالأرض تحتد وتغضب بالزلزلة''.

ومما أثار استغرابهم أنه بعد قولته هذه بثلاث دقائق وقعت الزلزلة ودامت ثلاث ثواني، وأظهرت غضب الأرض، وشبت النار في دائرة المعارف في ''انقرة'' وفي كراج السيارات وفي معمل في ''إزمير'' وفي عمارة كبيرة في ''أطنه''، في وقت الهجوم على رسائل النور وطلابها، مما يدل على أن هذه الحوادث لا يمكن أن تكون مصادفة بل كانت صفعة قوية من صفعات بقية العناصر التي أخذتها حمية الدفاع عن عنصر آخر من عناصر الكون كاد أن يسلط عليه بعض من قطعوا أواصرهم مع بقية العناصر الكونية.[50]

الآصرة السادسة: آصرة الجمال

من الأواصر التي تربط الإنسان ببقية العناصر أن الله تعالى زيَّن لهذا الإنسان جميع مخلوقاته من السموات وما فيها من نجوم وكواكب والأرض وما فيها وعليها من حيوان ونبات وجماد.

ومن أجل التمتع بهذا التزيين خلق في الإنسان حاجته إلى الجمال كحاجته إلى الطعام والشراب والنكاح.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنا فِي السَّماءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاها لِلنَّاظِرِينَ﴾. الحجر:١٦
وقال أيضا: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾. الصافات:٦

وقال عن حكمة خلق الأنعام: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾. النحل:٦

وقال أيضا: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. النحل:٨

وكما أمر الله تعالى بالأكل من الثمرات وإعطاء حقها يوم حصادها كذلك أمرنا بالنظر إليها وإشباع الروح بجمالها فقال: ﴿انْظُرُوا إلى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ

لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. الأنعام:٩٩

وكذلك يأمر بالنظر إلى زينة السماء ووجهها المبتسم ويقول: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا... ﴾ق:٦ إلى آخر الآية.

"ولهذا فإن تزيين الكائنات بدقائق الصنعة المبدعة التي لا تعدّ ولا تحصى، وبمحاسن ذات معانٍ ونقوش حكيمة، يتطلب –بالبداهة– أنظار متفكرين ومستحسنين، ومعجبين مقدّرين.. أي يستدعي وجودهم.

إن هاته الآية الكريمة تلفت نظر الإنسان إلى وجه السماء الجميل المزّين الساطع الباهر والتهلل المهيب، والتبسم والبشاشة في زينة وجمال، مما يبيّن عظمة سلطنة الصانع الجليل، ومدى الدقة في صنعته الجميلة. اذ كما أن إضاءة مصابيح وأنوار وإظهار مظاهر الفرح والبهجة في يوم اعتلاء السلطان العرش، إنما هو لبيان درجة كماله في مضمار الرقي الحضاري. كذلك السموات العظيمة بنجومها المهيبة تُظهر لنظر المتأمل كمال سلطنة الصانع الجليل وجمال صنعته البديعة.

وتشعشع السراج وتهلل المصباح وتلألؤ النجوم تعلن لأهل النهى سلطنة بلا انتهاء.

فيا أيها الإنسان انظر إلى الصحيفة الملونة الزاهية لكتاب الكون كيف صوّرها قلم القدرة المذهّب.

لم تبق نقطة مظلمة لأبصار أرباب القلوب، فكأنه سبحانه قد حرّر آياته من نور.

انظر! ما أعظمها من معجزة حكمة، تقود إلى الإذعان! وما اسماها من مشاهد بديعة في فضاء الكون!

واستمع إلى النجوم أيضا، إلى حلو خطابها الطيب اللذيذ، لترى ما قرّره ختم الحكمة النيّر على الوجود.

إنها جميعاً تهتف وتقول معاً بلسان الحق:

نحن براهين ساطعة على هيبة القدير ذي الجلال، نحن شواهد صدق على وجود الصانع الجليل وعلى وحدانيته وقدرته، نتفرج كالملائكة على تلك المعجزات اللطيفة التي جمّلت وجه الأرض.

فنحن ألوف العيون الباصرة تطل من السماء إلى الأرض وترنو إلى الجنة.

نحن ألوف الثمرات الجميلة لشجرة الخلقة، علّقتنا يدُ حكمة الجميل ذي الجلال على شطر السماء وعلى أغصان درب التبانة. "[51]

وفي نهاية المطاف نرى كل من له مسكة من لب عندما "ينظر إلى هذا الكون بنظر العبرة، يشعر الوجدان والقلب، بحدسٍ صادق، إن الذي يجمّل هذه الكائنات ويزيّنها بأنواع المحاسن لا شك أن له جمالاً وكمالاً لا منتهى لهما، ولهذا يظهر الجمال والكمال في فعله".[52]

الخاتمة في أهم النتائج التي توصل إليها البحث

١. إن الإنسان بما أودع الله فيه من ماهية جامعة يرتبط مع مظاهر الوجود وعناصر الكون بأواصر ووشائج شتى مما يجعله في أخذ وعطاء مع بقية الكائنات.
٢. إن ارتباط الإنسان مع هذا الكون إنما هو كالروح التي ترتبط بعلاقات وأواصر مع جميع أنحاء الجسم، حتى تجعل جميع أعضائه وجميع أجزائه، في تعاون تامٍ فيما بينها، ولا يحجبها شيءٌ عن إدارة شؤون كل جزء من أجزاء الجسم.
٣. الإنسان عند الأستاذ بديع الزمان هو خاتمة ثمرات شجرة الكون وأجمعُ ما فيها من الصفات.
٤. وهو بذرتها الأصلية من حيث الحقيقة المحمدية.
٥. وهو الآية الكونية الكبرى لقرآن الكون.. بل هو الآية الحاملة لتجليات الاسم الأعظم في ذلك القرآن الكوني كآية الكرسي في القرآن الكريم.
٦. وهو أعظم معجزات القدرة الصمدانية بل هو أعجوبة الخلق لما انطوى فيه العالم الاكبر ولما تشهد جميع أجهزته بأنه مخلوق للسير قدما نحو الأبدية والخلود.
٧. الكون في نظر الأستاذ بديع الزمان هو مسجد كبير وكتاب منير مليء بآيات تكوينية يتلوها القرآن الكريم على الثقلين.
٨. الأواصر التي تربط الإنسان بالكون كثيرة، من أبرزها:
- آصرة العبادة لله (تسبيحا وسجودا)
- آصرة المحبة.
- آصرة المعرفة.
- آصرة التسخير والتثمير.
- آصرة التأديب.

- آصرة الجمال

المصادر

١. الجامع الصحيح للإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري -تحقيق: مصطفى ديب البغا- دار ابن كثير باليمامة ١٩٨٧م.
٢. زهر الأكم في الأمثال والحكم، أبو علي الحسن بن مسعود بن محمد نور الدين اليوسي (المتوفى: ١١٠٢هـ)- تحقيق: د محمد حجي، د محمد الأخضر، نشر الشركة الجديدة - دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب- الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.
٣. السيرة الذاتية، بديع الزمان سعيد النورسي، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٨م.
٤. الشعاعات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٨م.
٥. صحيح مسلم للإمام الحافظ مسلم بن الحجاج ت٢٦١هـ دار إحياء التراث العربي- ١٩٧٢م.
٦. الكلمات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٨م.
٧. اللمعات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٨م.
٨. المثنوي العربي النوري، بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٨م.
٩. مثنوي معنوي، مولانا جلال الدين محمد مولوي، فرهنگسراى ميردشتي- چاپ سوم ١٣٨٩هـ. ش-تهران.
١٠. مثنوي مولانا جلال الدين الرومي، ترجمه وشرحه د. إبراهيم الدسوقي شتا، طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية-القاهرة -١٩٩٧م.
١١. الملاحق، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٨م.

* * *

الهوامش:

[1] جامعة صلاح الدين في أربيل عاصمة إقليم كردستان العراق
[2] مثنوي مولانا جلال الدين الرومي، ترجمه وشرحه د.إبراهيم الدسوقي شتا، طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية -القاهرة- ١٩٩٧: الكتاب الرابع، أبيات ٥٢١-٥٢٤. ص: ٨٦
[3] الشعاعات -الشعاع الحادي عشر- ص: ٢٧٢- ٢٧٣
[4] الكلمات -الكلمة الثانية والعشرون- ص: ٣٤٠.
[5] مثنوي معنوي، مولانا جلال الدين محمد مولوي، فرهنگسراى ميردشتي-چاپ سوم ١٣٨٩ه.ش-تهران: بيت شماره ١١٠٥ و١١٠٦: ص٥٥.
[6] ينظر: الكلمات: الكلمة السابعة - ص: ٣٠، والكلمة التاسعة والعشرون - ص: ٥٨٣.
[7] الكلمات -الكلمة السابعة- ص: ٣٠
[8] الكلمات -الكلمة التاسعة والعشرون- ص: ٥٨٣.
[9] اللمعات -اللمعة الثالثة- ص: ٢١، واللمعة الثالثة والعشرون - ص: ٢٧٢

[10] الكلمة الثالثة والثلاثون- ص: ٧٨٧.
[11] الكلمات -الكلمة الثالثة عشرة- ص: ١٧٦ -١٧٧.
[12] الكلمات -الكلمة الرابعة والعشرون- ص: ٤٠٣
[13] المصدر نفسه.
[14] الكلمات -الكلمة الرابعة عشرة- ص: ١٨٦
[15] الكلمات -الكلمة العشرون- ص: ٢٨٣
[16] زهر الأكم في الأمثال والحكم، أبو علي الحسن بن مسعود بن محمد نور الدين اليوسي (المتوفى: ١١٠٢هـ). تحقيق: د محمد حجي، د محمد الأخضر، نشر الشركة الجديدة -دار الثقافة، الدار البيضاء- المغرب الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م:٢/١٦٤.
[17] اللمعات -اللمعة التاسعة والعشرون- ص: ٤٥٨
[18] عبارة عن واحد صحيح وعلى يمينه اثنا عشر صفرًا، أي (10^{12}).
[19] عبارة عن واحد صحيح وعلى يمينه مائة صفر، أي (10^{100}).
[20] صحيح البخاري -كتاب الجهاد والسير- باب فضل الخدمة في الغزو.
[21] الكلمة الثانية والثلاثون- ص: ٧٢٨-٧٢٩.
[22] ينظر: الكلمات -الكلمة الثانية والثلاثون- ص: ٧٣٠.
[23] جزء من حديث رواه الإمام مسلم في صحيحه -كتاب القدر- باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله - حديث: ٤٩٢٣، وتمامه:
عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ''المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان''.
[24] إشارة إلى الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في صحيحه- كتاب الزكاة- باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى حديث: ١٣٧٣ عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر، وذكر الصدقة، والتعفف، والمسألة: ''اليد العليا خير من اليد السفلى، فاليد العليا: هي المنفقة، والسفلى: هي السائلة''.
[25] الكلمات -الكلمة الثانية والثلاثون- ص: ٧٤٩-٧٥٠.
[26] المصدر نفسه.
[27] الشعاع الحادي عشر - ص: ٣١٨
[28] ينظر: الكلمات -الكلمة الثانية والثلاثون- ص: ٧٤٥-٧٤٦.
[29] اللمعات -اللمعة السابعة عشرة- ص: ١٨٢.
[30] السيرة الذاتية ص٥٣٤.
[31] مثنوي معنوي: الكتاب الثاني: ص ٢٣٣.
[32] المثنوي العربي النوري - ص: ٤١٤ .
[33] الكلمة السادسة - ص: ٢٤
[34] الكلمة الثلاثون - الهامش رقم١: ص: ٦٣٦
[35] ينظر: الشعاعات -الشعاع الحادي عشر- ص: ٢٧٥ والشعاع الخامس عشر - ص: ٦٥٤-٦٥٥.
[36] ينظر: ملحق أميرداغ -الملاحق- ملحق أميرداغ/١، ص: ٢٧٠
[37] اللمعات -اللمعة الرابعة والعشرون- ص: ٣٠٨
[38] اللمعات-اللمعة السادسة والعشرون - ص: ٣٦٥
[39] سيرة ذاتية - ص: ٥٣٤
[40] الكلمات -الكلمة الثلاثون- ص: ٦٢٨.

[41] الكلمات -الكلمة الخامسة والعشرون- ص: ٤٨٢-٤٩٣.
[42] الكلمات -الكلمة الخامسة والعشرون- ص: ٤٧٨.
[43] الشعاعات -الشعاع السابع- ص: ١٤٤
[44] اللمعة الثلاثون -ص:٥٩٤- ٥٩٥.
[45] اللمعات -اللمعة العاشرة- ص: ٦٦.
[46] الكلمات -الكلمة الرابعة عشرة- ص:١٩٦- ١٩٧.
[47] المثنوي العربي النوري - ص: ١٦٦.
[48] اللمعات -اللمعة الثالثة عشرة - ص: ١٢٧
[49] جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه-باب التواضع برقم ٦٥٠٢ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ''إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ''.
[50] الشعاعات -الشعاع الرابع عشر - ص: ٤٩٨-٤٩٩
[51] الكلمات -الكلمة الثانية والثلاثون- ص:٧٠٣- ٧٠٦.
[52] الكلمات -الكلمة الثانية والثلاثون - ص: ٧٢٥.

قاعدة "الفناء فى الإخوان" فى فكر بديع الزمان
-دراسة تأصيلية مقاصدية للوحدة الإسلامية-

-ABSTRACT-

The rule of self forgetfulness for the sake of brothers according to the thought of Bediuzzaman

Dr. Farhad Ibrahim Akbar al-Shawani

This study explores an important rule which was linked to its sources from the spirit of the holy Quran and the prophetic tradition by Ustadh Nursi.

It states that a person should experience self forgetfulness for the sake of his community. An individual should let go of his personal emotions and intellectually indulge himself in the virtues and good manners of his brothers. The essence of such behavior is loyalty. When individuals reach this kind of behaviour by applying this rule, the Muslim Ummah will become solid and will occupy a high rank and good status. The Muslim ummah then will regain her lost glory after being deprived from it because of not applying the book of God and the tradition of the prophet and because of many negative characteristics that has spread such as selfishness , miserliness and stinginess. The way to change the recent state of ignominy is to apply this rule on an individual level.

- ملخص البحث -

د. فرهاد إبراهيم أكبر الشواني[1]

حاولت في هذه المقالة دراسة قاعدة عظيمة أصّل لها الإمام النورسي بحجج القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ومفاد القاعدة أن يفنى الفرد في الجماعة وأن يكون وجوده مرتبطا بها، حتى إنّه ينسى متعه الشخصية إذا تضاربت مع المجموع لصالحه ، وأن يعيش فكرا مع مزايا إخوانه وفضائلهم، ومناط هذا النوع من الإحساس هو الإخلاص، وبلوغ الأفراد إلى مثل هذا الشعور بتطبيق هذه القاعدة يكسب الأمة الإسلامية قوة إلى قوتها، تجعلها في الرتب السامقة بين الأمم بالغة الرفعة والعلو كأنجم الثريا، حتى يكون لها شأن عظيم بين الأمم وتستطيع أن تستعيد أمجادها المسلوبة منها بسبب ابتعادها عن كتاب ربها وسنة نبيها وتفشي الأمراض الفتاكة بين أفرادها كالغرور والأنانية وحب النفس والشح والبخل، ومن هنا كان السبيل إلى النجاة من الذل المطبق على هذه الأمة في هذا العصر هو بتطبيق هذه القاعدة من قبل الأفراد.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فليس من الغريب أن يعيش المسلمون اليوم عالة على الحضارة الغربية، ولا من العجيب أن يكونوا كالأيتام على موائد اللئام، فما هو واقع بهم من بؤس وجوع وضياع وضعف وخيبة إلاّ نتيجة هجرهم النور الإلهي، وإعراضهم عن الدستور السماوي، ومما يزيد الطين بلة، والمرض علة، أنهم لا يتفقون على كلمة، ولا يجتمعون على أخوة، حتى ضاقت بهم الشعاب، وتفرعت بهم الطرق، وادلهمَّ عليهم ليلهم، وأظلم عليهم نهارهم، فأصبحوا في حالة يرثى لها.

وللخروج من هذا المأزق، وللنجاة من هذا الذل تَوَجَّب عليهم أن يعودوا إلى ما كان عليه أسلافهم من العزِّ والهيبة التي ورثوها من أنوار سيدهم محمد صلى الله عليه وسلم، وأن يجعلوا من القرآن الكريم والهدي النبوي شعاعاً يضيء لهم سبل الرقي والنهضة والحياة الحرة النقية.

نشهد اليوم -والحمد لله- بارقة أمل تمكننا نحن المسلمين من إدارة عجلة الزمن إلى ما كانت عليه القرون الخيرة من رفعة وسمو، وكمال وعلو، وما ذلك إلاّ بفضل العناية الإلهية لكوننا أمة محمدية اقتبست نورها من الشمس المعنوية[2] التي استوعبت الكون وارتبطت بكل مكوناته.

ومن كرم الله تعالى علينا أن هيّأ لنا سعيداً ليسعدنا ويبصرنا طرق الفلاح في ظل رسائل نورانية نابعة من فيوضات قرآنية، فنتعلم منها حقيقة أنفسنا، والغاية من خلقنا، ونستلهم من نفحاتها سر قوتنا، فإذا بسطورها تنطق وتردد شعارات الوحدة والألفة والمحبة والأخوة والتعاون والتناصر والتآزر وكلها ضمن مشروع ''وحدة الأمة الإسلامية''.

قال النورسي: ''إن جوهر الحياة الاجتماعية الإنسانية ولاسيما للأمة الإسلامية وأساسهَا هو: وجود محبة خالصة بين الأقرباء، ووجود رابطة وثيقة بين القبائل والطوائف، ووجود أخوة معنوية وتعاونية نحو إخوته المؤمنين ضمن القومية الإسلامية، ووجود علاقة فداء نحو قومه وجنسه، ووجود التزام قوي ورابطة قوية لا

تهتز مع الحقائق القرآنية التي تنقذ حياته الأبدية، ومع ناشري هذه الحقائق، وأمثالها من الروابط التي تحقق أساس الحياة الاجتماعية''، لهذا يدعو رحمه الله إلى الحذر من الميل عنها أو إنكارها لأن ''إنكارها لا يؤدي إلاّ إلى قبول الخطر الأحمر 'الشيوعية' الذي يتربص بنا في الشمال والذي يبذر بذور الفوضى ويحاول القضاء على الأجيال وعلى القومية، ويجمع أطفال الناس هناك ويضعهم تحت تصرفه، ويحاول إزالة شعور القرابة وشعور القومية، وإفساد المدنية البشرية والحياة الاجتماعية إفسادا تاما، أقول إنّه بذلك الإنكار وذلك القبول يمكن إطلاق اسم الجمعية على طلاب النور، لذا فإن طلاب النور الحقيقيين يظُهرون علاقاتهم المقدسة مع الحقائق القرآنية ويظهرون ارتباطهم الذي لا ينفصم مع إخوانهم في الحياة الآخرة''. [3]

وقال تأكيدا لهذه المعاني في سياق آخر: ''إن التوحيد الإلهي هو جهة الوحدة في الاتحاد المحمدي الذي هو حقيقة اتحاد الإسلام 'الوحدة الإسلامية'. أما يمينه وبيعته فهو الإيمان، ومقرّاته وأماكن تجمعاته: المساجد والمدارس الدينية والزوايا. ومنتسبوه: جميع المؤمنين. ونظامه الداخلي: السنن الأحمدية، والقوانين الشرعية بأوامرها ونواهيها، فهذا الاتحاد ليس نابعا من العادة وإنما هو عبادة فالإخفاء والخوف من الرياء، والفرائض لا رياء فيها، وأوجبُ الفرائض في هذا الوقت هو اتحاد الإسلام 'الوحدة الإسلامية'، وهدف الاتحاد وقصده تحريك الرابطة النورانية التي تربط المعابد الإسلامية التي هي منتشرة ومتشعبة، وإيقاظ المرتبطين بها بهذا التحريك، ودفعهم إلى طريق الرقي بأمر وجداني. مشرب هذا الاتحاد هو: المحبة، وعدوه: الجهل والفقر والنفاق''. [4]

وبما أن تحقيق هذا المشروع يحتاج إلى أخوة خالصة ارتأيت أن استعرضها في ضوء قاعدة أصّل لها النورسي من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ألا وهي ''الفناء في الإخوان'' فكانت هذه القاعدة عنوانا لبحثي.

واقتضت المادة المجموعة للبحث تقسيمها إلى مقدمة أردفتها بثلاثة مباحث، وخاتمة عرضت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، فخصصت المبحث الأول لبيان مفهوم القاعدة وتأصيلها ومقاصدها، وأفردت ثانيه لبيان المستلزمات الأساسية لتحقيق القاعدة، وركزت في ثالثه على عرض المعوقات الرئيسة التي تعترض إعمال القاعدة.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن موضوع الوحدة قريب إلى القلب،

وكتبت عنه في بحوثي الأكاديمية، فقد نلت درجة الماجستير ببحث موسوم بـ ''الوحدة الإسلامية في المنظور القرآني''، لهذا بعث البحث في النفس رغبة والقلب همّة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

أولا: مفهوم قاعدة ''الفناء في الإخوان''، وأصلها، ومقاصدها

مفهوم القاعدة عند النورسي

الفَناء لغة نَقِيض البقاء والفعل فَنى يَفْنَى.[5]

والفناء من المصطلحات الشائعة بين الصوفية وهو عندهم على نوعين: الأول: يراد به سقوط الأوصاف المذمومة كما أن البقاء وجود الأوصاف المحمودة وهذا يحصل بالرياضة،[6] والنوع الثاني: يراد به عدم الإحساس بعالم الملك والملكوت وهو بالاستغراق في عظمة الباري ومشاهدة الحق وإليه أشير بقولهم: الفقر سواد الوجه في الدارين، يعني في الفناء في العالمين.[7]

والفناء عند الصوفية يكون في أمور ثلاثة: أولها: الفناء في الله: وهو تبدل الصفات البشرية للسالك بالصفات الإلهية. وثانيها: الفناء في الرسول: وهو تبدل الصفات البشرية للسالك بصفات النبي صلى الله عليه وسلم، وثالثها: الفناء في الشيخ: تبدل صفات المريد بصفات شيخه ومرشده في الطريق.[8]

وفي مقابل هذه الأمور نجد أن بديع الزمان النورسي قد أضاف نوعاً آخراً من الفناء وهو ''الفناء في الإخوان''[9] تأكيداً على أهمية الأخوة وضرورتها في الحياة.

يوضح الأستاذ خلال هذه قاعدة ''الفناء في الإخوان'' حقيقة الأخوة الإيمانية وجوهرها القائم على الامتزاج التام روحاً وسلوكاً بين المؤمنين الذين تجمعهم عقيدة ربانية واحدة، وغاية كونية سامية، ومنهج إلهي موحد، فيستشعر الفرد من خلال تلك الأحاسيس بأنّه تلبّس جسد إخوته المؤمنين فيُسَرُّ بسرورهم، ويحزن بحزنهم، أو بمعنى آخر ''إفناء الفرد شخصيته في شخصية إخوانه وإيثارهم على نفسه''،[10] وبتطبيق هذه القاعدة يكسب الفردُ الواحد أرواحاً كثيرة.[11]

قال الأستاذ النورسي: ''هناك اصطلاحات تدور بين المتصوفة أمثال: 'الفناء في الشيخ'، 'الفناء في الرسول'، وأنا لست صوفياً، ولكن '**الفناء في الإخوان**' دستور

جميلٌ يناسب مسلكنا ومنهجنا تماماً. أي أن يفنى كل في الآخر، أي أن ينسى كل أخ أحاسيسه النفسانية، ويعيش فكراً مع مزايا إخوانه وفضائلهم، حيث إن أساس مسلكنا ومنهجنا هو 'الأخوة' في الله، وأن العلاقات التي تربطنا هي الأخوة الحقيقية، وليست علاقة الأب مع الابن ولا علاقة الشيخ مع المريد. وان كان لابد فمجرد العلاقة بالأستاذ. وما دام مسلكنا هو 'الخليلية' فمشربنا إذا 'الخلة'. والخلة تقتضي صديقاً صدوقاً، ورفيقاً مضحياً، وأخاً شهماً غيوراً. وأس الأساس لهذه الخلة هو 'الإخلاص التام'. فمن يقصّر منكم فيه فقد هوى من على برج الخلة العالي، ولربما يتردى في واد سحيق، إذ لا موضع في المنتصف''.[12]

وذكر في موضع آخر مؤكّدا هذه المعاني: ''إن في مسلك رسائل النور لا تعطى الأهمية للشخص، حيث يكتفي الجميع بما نالت رسائل النور -من حيث المشاركة **المعنوية والفناء في الإخوان**- من الآلف الكرامات العلمية ومن يسر في نشر الحقائق الإيمانية، وبما يجد أولئك الطلاب من بركة في معايشهم وأمثالها من الكرامات الإلهية، لذا لا يفتشون عن كمالات وكرامات أخرى شخصية''.[13] ففكرة النورسي تدور حول إبراز أهمية الجماعة والعمل في إطارها بدلا من العمل الفردي، لأن التلاقح المعنوي الحاصل بين الجماعة هو المحقق للمراد الذي يريده الإسلام المتمثل في التعاون على الخير وما فيه صلاح للجميع.

٢- تأصيل قاعدة ''الفناء في الإخوان''

لا يمكن قبول وضع قاعدة ''الفناء في الإخوان'' وجعلها دستوراً للحياة ما لم تستند في تأسيسها على أصول ثابتة، يتيسّر بموجبها تحقيق معنى الفناء والانصهار فيصبح الواحد في الكل، والجوهر الفردي ضمن إطار الجوهر الجماعي، ولا مرية في أن حصول تلك الحالة يحتاج إلى عناية إلهية،[14] ومدد رباني مهيمن على الكون كله في أصل وجوده واستمراره ومساره ومصيره، ولا يمكن أن ينال الرقي نحو هذه المرتبة بغير إرشادات مستمرة، ووفق منهجيات وضعها الوحي المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية، واستناداً عليهما أصَّل النورسي قاعدته لتكون دستوراً جامعاً للفضائل والمحاسن.

أ- تأصيل القاعدة من القرآن الكريم

جعل النورسي القرآن الكريم مصدرا ومعياراً ثابتاً لتأصيل قاعدته، ودستوراً أساسياً

جامعاً ومفسراً لمعالمها، فقال في أهمية هذا المصدر الرباني: ''إن السعيد هو منَ يرمي شخصيته، ويذيب أنانيته التي هي كقطعة ثلج في الحوض العظيم[15] اللذيذ المترشح من كوثر القرآن الكريم كي يغنم ذلك الحوض''.[16]

فكان القرآن الكريم مصدره المعتمد في التأصيل لهذه القاعدة، ومن الآيات التي أصل بها قاعدته:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. الحجرات:١٠

عدّ النورسي الآية ناموساً إلهياً[17] تؤكد ضرورة التآخي بين المؤمنين، لكونه وسيلة للتصدي لكل مؤامرة خارجية تسعى إلى بث الفرقة والشقاق بين المسلمين، يشهد لهذه المعاني السامقة قوله: ''إن كنتم تريدون حقاً الحياة العزيزة، وترفضون الرضوخ لأغلال الذل والهوان، فأفيقوا من رقدتكم، وعُودُوا إلى رشدكم، وادخلوا القلعة الحصينة المقدسة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، وحصِّنوا أنفسكم بها من أيدي أولئك الظلمة الذين يستغلون خلافاتكم الداخلية. وإلاّ لا تعجزون عن الدفاع عن حقوقكم بل حتى عن الحفاظ على حياتكم، إذ لا يخفى أن طفلاً صغيراً يستطيع أن يضرب بطلين يتصارعان، وأن حصاة صغيرة تلعب دوراً في رفع كفة ميزان وخفض الأخرى ولو كان فيهما جبلان متوازنان''.[18]

قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. الأنفال:٤٦

قال النورسي: ''سأبيّن لكم دستوراً في الأخوة عليكم الأخذ به بجد: إن الحياة نتيجة الوحدة والاتحاد، فإذا ذهب الاتحاد المندمج الممتزج، فالحياة المعنوية تذهب أيضاً أدراج الرياح، فالآية الكريمة ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾. تشير إلى أن التساند والترابط إذا اختل تفقد الجماعة مذاقها. إنكم تعلمون أن ثلاث ألفات إذا كتبت منفردة متفرقة فقيمتها ثلاث، ولكن إذا اجتمعت بالتساند العددي فقيمتها مائة واحد عشر. فإن بضع أشخاص من أمثالكم من خدّام الحق إذا عمل كل منهم على انفراد من دون اعتبار لتقسيم الأعمال فان قوتهم تكون بقوة ثلاثة أو أربعة أشخاص، بينما إذا ما عملوا متساندين بأخوة حقيقية، مفتخراً كل منهم بفضائل الآخرين، حتى يبلغوا بسر 'الفناء في الأخوة' أن يكون أحدهم هو الآخر بنفسه، أقول: إنهم إذا ما

عملوا هكذا فان قيمة أولئك الأشخاص الأربعة تكون بمثابة أربعمائة شخص''.[19] فالنورسي يؤكد بذلك أن الإخلاص في الترابط والتساند بين الجماعة المسلمة تؤتي أكلها أضعافا مضاعفة، مما يسفر عن ذلك قوة ضاربة لكل الفتن التي تحيط بالإنسان الذي يعيش في وسط تلك الجماعة التي فنى روحه فيهم، وأذاب جموح نفسه في شخصيتهم.

قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾. آل عمران:١٠٣

يستدل النورسي بهذه الآية الكريم على ضرورة الجماعة لتؤدي دورها في تطبيق الأحكام الشرعية، فقال: ''إن هذا العصر عصر الجماعة، إذ الشخصية المعنوية -التي هي روح الجماعة- أثبت وأمتن من شخصية الفرد وهي أكثر استطاعة على تنفيذ الأحكام الشرعية''. [20]

إن من طبيعة كل قانون أو حكم يبغى أن ينفذ لابد أن يكون وراءه أناس مخلصين مؤمنين به همهم تنفيذه وتثبيت وطئته، فاجتماع الناس عليه بمثابة تصديق لهذا الحكم وما لاشك أن التكاتف على هذا الأمر يبعث الثقة في النفوس على أن يجعلوا من هذا القانون سبيلا موصلا للحق.

ب- تأصيل القاعدة من السنة النبوية الشريفة

إضافة إلى القرآن الكريم فقد أصل النورسي قاعدة ''الفناء في الإخوان'' من السنة النبوية الشريفة باعتبارها النظام الداخلي للإتحاد المحمدي الذي هو حقيقة إتحاد الإسلام ''الوحدة الإسلامية''.[21]

قال النورسي: ''فيا معشر أهل الإيمان! إن قوتكم تذهب أدراج الرياح من جراء أغراضكم الشخصية وأنانيتكم وتحزّبكم، فقوة قليلة جداً تتمكن من أن تذيقكم الذل والهلاك. فإن كنتم حقاً مرتبطين بملة الإسلام فاستهدوا بالدستور النبوي العظيم: (الـمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضَاً)،[22] وعندها فقط تسلمون من ذل الدنيا وتنجون من شقاء الآخرة.[23]

ويذكر النورسي أن القاعدة متأصلة بفعل الصحابة رضي الله عنهم فقال: ''إن ما في رسائل النور من مشرب الخلة ومسلك الأخوة، هذا المشرب الخالص والمسلك

القوي الذي يكسب الفرد الواحد أرواحاً كثيرة، ويظهر سراً من أسرار الأخوة التي ورثها الصحابة الكرام من نور النبوة، هذا المشرب لا يدع حاجة إلى البحث عن المرشد الوالد في الخارج -مع إضرار به بثلاث جهات- بل يوجدِ له بدلاً من الوالد المرشد الواحد، إخوانا كبارا كثيرين فلا شك أن ما تسبغه أنواع الشفقة النابعة من قلوب إخوة كبار، يزيل شفقة الوالد الواحد. نعم، إن الذي اتخذ لنفسه شيخا قبل دخوله الدائرة يمكنه أن يحافظ على رابطته بشيخه ومرشده ضمن الدائرة أيضاً، ولكن منَ لم يكن له شيخ بعد الدخول في الدائرة، ليس له أن يتخذ شيخاً إلاّ ضمن الدائرة''.[24]

ومضمون هذا القول مطابق لما جاء في السنة الشريفة (على صاحبها أفضل الصلاة والسلام) إذ يقول: (الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فما تَعَارَفَ منها ائْتَلَفَ، وما تَنَاكَرَ منها اخْتَلَفَ).[25]

وذكر الأستاذ النورسي في موضع آخر: ''إن أسمىَ جمعية وأقدسها في الوقت الحاضر، هي جمعية الجنود المؤمنين فجميع الذين انخرطوا في سلك الجندية المؤمنة المضحية ابتداء من الجندي إلى القائد هم داخلون في هذه الجمعية إذ إن أقدس هدف لأقدس جمعية في العالم هو الاتحاد والأخوة والطاعة والمحبة وإعلاء كلمة الله فالجنود المؤمنون قاطبة يدعون إلى هذا الهدف ألا إن الجنود هم المراكز، فعلى الأمة والجمعيات أن ينتسبوا إلى الجنود، إذ الجمعيات الأخرى ما هي إلا لجعل الأمة جنودا في المحبة والأخوةّ، أما الاتحاد المحمدي الذي هو شامل لجميع المؤمنين فهو ليس جمعية ولا حزباً، إذ مركزه وصفة الأول المجاهدون والشهداء والعلماء والمرشدون فليس هناك مؤمن ولا جندي فدائي -سواء أكان ضابطا أو جنديًّا- خارج عن هذا الاتحاد، لذا فلا داعي للانتساب إلى جمعيات أخرى''.[26]

والناظر بعين الفاحص المنتفع بحياة الصحابة رضي الله عنهم أنّهم -مع شدة فاقتهم- كانوا بسر الإخلاص يفنون أنفسهم في إخوانهم المهاجرين، فيؤثرونهم على أنفسهم بالقليل الذي لديهم، وقد باتوا في الاجتماع والتآلف كأنجم الثريا، فأصبحوا في كتاب يتلى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون﴾.[الحشر:٩]

قال الحسن البصري: ''كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه''،[27] فكان الإيثار ديدنهم وخدمة الإخوان سجية فيهم، لهذا دعا الأستاذ النورسي إلى استعادة مآثرهم بالنسج على منوالهم، وبهذا يوضح نوع الإيثار المطلوب التحلي به، فقال: ''أي عليكم أن تفضلوا إخوانكم على أنفسكم في المراتب والمناصب والتكريم والتوجه، حتى في المنافع المادية التي تهش لها النفس وترتاح إليها''.[28]

وحسبنا ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم لتؤصل ماهية هذه القاعدة: (المسلمون كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إن اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ).[29]

إن الحديث الشريف هذا يفسر لنا تفسيرا دقيقا قاعدة الفناء في الإخوان، فمتى حصل الفناء المعنوي بين الأفراد أحس الجميع براحة معنوية ومادية، وشعور بالقوة في مقارعة الفتن والمصاعب.

٣- مقاصد قاعدة ''الفناء في الإخوان''-دراسة تحليلية -

تميّز الأستاذ النورسي بشمولية النظر، وسعة الأفق، وعمق معالجة كثير من الأمور، مما أسعفه على وضع قاعدة تكون مرتكزاً لجلب منافع كثيرة، ومقصداً لتحصيل خيرات وفيرة، فهو بهذه القاعدة ينتهج نهج حكم المآل، لأن مضمون القاعدة يقتضي أن يذوب الإنسان في أحاسيس إخوته وأن يتشارك معهم في العمل، مفتخراً شاكراً بمزايا إخوانه، حتى إنّه ليتصورها في نفسه، بل ويَعُدُ فضائلهم في ذاته،[30] فالتحول إذن من الفردية إلى الجماعية يكون تحولاً معنوياً يثمر عنه الاتحاد والتساند، ومن هنا كان تطبيق القاعدة في هذا الزمان الذي تمزقت فيه الأمة بسبب الفرقة وتكالب الأعداء على جسدها بالنهش من ماضيها وحاضرها، ضرورة للنهوض بسلوك مسالك الرقي بقصد استعادة مجد الأمة الإسلامية، لهذا يرى النورسي أنّ الأخوة ركن استناد وقوة حقيقية.[31]

وفي موضع آخر يقول: ''إن هذا الزمان -لأهل الحقيقة- زمان الجماعة، وليس زمان الشخصية الفردية وإظهار 'الفردية والأنانية'. الشخص المعنوي الناشئ من الجماعة هو الذي ينفذ حكمه ويصمد تجاه الأعاصير. فلأجل الحصول على حوض عظيم، ينبغي للفرد إلقاء شخصيته وأنانيته التي هي كقطعة ثلج في ذلك الحوض وإذابتها فيه. وإلاّ فستذوب حتماً تلك القطعة من الثلج، وتذهب هباء وتفوت الفرصة من الاستفادة من

ذلك الحوض أيضا''.[32]

ومن هنا كانت القاعدة هذه مشروعا لوحدة الأمة الإسلامية التي دعا الله تعالى إليها في آيات كثيرة فتأتي أكلها اليانعة، بل وتمد ظلالها الوارفة محققة مصالح دينية ودنيوية وأخروية،[33] وبيان ذلك كالآتي:

أ- تحقيق المصالح الدينية

يتحقق في ظل الوحدة الإسلامية المنبثقة من هذه القاعدة الهدفُ الأسمى، والغاية المثلى، والمقصد الأعظم ألا وهو عبودية الله تعالى وإعلاء كلمته، لأن الأخوة طريق لمعرفة الحق، وسبيل للوصول إلى أسمى مقاماته، فالمعين على العبادة والنهوض بالتكاليف الشرعية هي الخلة والصحبة، لذا نجد أن النورسي قد بين حقيقة ذلك بقوله: ''وشأن الدين هو 'الأخوة والتكاتف' ''،[34] ومنطلق قوله ما صرح به رب العزة: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾.[الشورى:١٣]

وفي موضع آخر وضّح النورسي أهمية الجماعة في زيادة نشاط المسلم في عبادة ربه، حيث قال: ''اعلم أن سر تساند المؤمنين في عباداتهم ودعواتِهم في جماعاتهم سرٌ عظيمٌ وأمرٌ جسيمٌ له شأن فخيم؛ إذ يصير به كل فرد كالحجر المجصوص، في البناء المرصوص يستفيد من إخوانه في الإيمان، بألوف ألف ألف ما يستفيد من عمل نفسه، فإذا نظمّهم سلك الإيمان يصير كل لكل، وللكل شفيعا وداعيا ومسترحما وراجيا ومادحا ومزكيا لاسيما لرئيسهم ورأسهم. فيتلذذ كل فرد بسعادات سائر إخوانه كتنعمّ الأم الجائعة بلذة ولدها، والأخ الشقيق بسعادة شقيقه، حتى يصير هذا الإنسان المسكين الفاني مستعدا لعبودية خلاّق الكائنات، وقبول السعادة الأبدية''، ثم يربط المسألة بالأنموذج الأكمل صلى الله عليه وسلم، فقال: ''فانظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإذا تراه، وهو يدعو بـ 'يا أرحم الراحمين' ترى الأمة كلهم يقولون: 'اَللَهُمَّ صل وسلم على عبدك وحبيبك محمد بحر أنوارك، ومعدن أسرارك، وناشر ذكرك وشكرك، ودلاّل محاسن سلطنة ربوبيتك'' فيزكُّونه عند ربهم، ويحببونه إلى منَ أرسله رحمة لهم، ويؤيدون شفاعته. وكذا ينادون بلسان عجزهم المطلق وفقرهم المطلق، غناءه – سبحانه– المطلق، في استغنائه الأكمل. وينادون جوده المطلق في عزته الأجلّ. وينادون بلسان عبوديتهم المطلقة ربوبيته المطلقة. وبهذا التعاون العلُوي المعنوي يترقى الإنسان من أسفل سافلي الحقارة والصغر والعجز؛ إلى أعلى عليي الخلافة،

وحمل الأمانة وقابلية المكُرَّمية بتسخير السماوات والأرض له''.[35]

يتجلى مما سلف تقريره أنّ قاعدة ''الفناء في الإخوان'' والتي من شأنها وحدة المسلمين تقرر مسألة القيام بأمر العبودية باعتبار أن كليهما لازم وملزوم، أو بمعنى آخر أن الأول سبب للحياة، والثاني غايتها، كما صرّح بذلك النورسي في أكثر من موضع، منها قوله في الاتحاد كما مرَّ بنا سابقاً: ''سأبيّن لكم دستوراً في الأخوة عليكم الأخذ به بجد: **إن الحياة نتيجة الوحدة والاتحاد**''،[36] وقال في العبودية في ضوء تفسيره لسورة الفاتحة: ''لأن الحمدَ صورةٌ إجمالية **للعبادة التي هي نتيجةٌ للخِلقة، والمعرفةِ التي هي حكمةٌ وغايةٌ للكائنات**. فكأن ذكره تصورٌ للعلة الغائية. وقد قال عزّ وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون﴾''. الذاريات:٥٦ [37]

فما أدركه النورسي من ارتباط بين هذه القاعدة والعبودية نابع من مشكاة النبوة (على صاحبها أفضل الصلاة والسلام) لمّا وقف في معركة بدر يدعو ربه قائلا: (اللهم أَنْجِزْ لي ما وَعَدْتَنِي اللهم آتِ ما وَعَدْتَنِي اللهم إن تُهْلِكْ هذه الْعِصَابَةَ من أَهْلِ الإِسْلامِ لا تُعْبَدْ في الأرض).[38]

فالعمل في إطار الجماعة خير معين لدفع البلايا والشرور النازل بالأمة، لأن الحق ثقيل المحمل فهو في حاجة إلى جماعة تتساند على حمله وهذا ما لا يحصل بفرد لوحده يعيش بمعزل روحي عن أبناء جنسه ودينه.

ج- تحقيق المصالح الدنيوية

بما أن الإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع أن يعيش بمفرده فمن الضروري بالنسبة إليه أن يرتبط بجماعة تكون له عوناً، فيشد بها أزره، ويقوي بها ظهره، وتحقيق هذه المتطلبات منوط بإخلاص المتبادل مع الجماعة، فإن اتصفت بهذه الصفة استطاع المرء أن يدخل معهم في رابطة نورانية تضيء له دنياه محققة منافع ومصالح عدة منها:

– **التهوين من المصائب**، والتغلب على المصاعب، والتمكن من إزالة العوائق بالتعاون والتآزر، قال الأستاذ النورسي في تقرير هذه المعاني: ''فالمقام هنا في الأخوة فسيح واسع، لا مجال فيه للمزاحمة بالمنافسة، وإن كان لابد فالأخ معاون لأخيه مكمل لعمله، وظهير له''،[39] وذكر في موضع آخر: ''إن رؤية أحباء حقيقيين رحماء – أرحم على الإنسان من شقيقه- في هذا الشتاء المادي والمعنوي المضاعف الذي تعطلت فيه الأعمال وفي هذه المدرسة اليوسفية التي هي مدرسة واحدة من مدارس

الزهراء، واللقاء بإخوة الآخرة، وهم بمثابة مرشدين ناصحين، وزيارتهَم والاستفادة من مزاياهم الخاصة والتزود من حسناتهم التي تسري سريان النور والنوراني في المواد الشفافة، وحصول ذلك بمنتهى الرخص وبتكاليف قليلة، فضلا عن الاستمداد من معاونتهم المعنوية ومن مسرّاتهم وسلوانهم كل ذلك يجعل هذه المصيبة تبْدل شكلهَا وتتحول إلى نوع من مشهد عناية ربانية معنوية''،[40] ذلك أنّ تجاوز المحن والإحن واستعادة معنى الحياة واستجلابا للمصالح يؤكّد أنّ ''نقطة استنادنا تجاه المصائب والدواهي، التي ألقت بثقلها العظيم، عظم الأرض، على العالم الإسلامي، هي الإسلام الذي يأمر بالاتحاد النابع من المحبة، وبامتزاج الأفكار الناشئ من المعرفة، **وبالتعاون الذي تولده الأخوة.** فانظر بدءاً من العالم الإسلامي، تلك الدائرة الواسعة، وانتهاء إلى طالب علم في المدرسة الشرعية كأصغر دائرة. تجد أن لكل منها عقدا حياتية، وتلك العقد مرتبطة ببعضها متسلسلة ومستندة إلى تلك النقطة العظمى، كأفراد المجتمع وروابطه.. بمعنى أنه يمكن أن يصحو المسلمون ويبدأوا بالرقي متى ما نُبِّهوا وبُثَّ فيهم روح النماء، فلا صحوة بخنق تلك العقد الحياتية''.[41]

الأخوة سبب لتوثيق أواصر المحبة، فكما نحب إخواننا الذين هم من دمائنا لكونهم من آبائنا، فكذلك يتولَّد حبنا لأخوتنا في الإيمان لارتباطهم بنا معنوياً برباط مقدس وهو الإسلام، يستشف هذا المعنى من قول الأستاذ: ''مشربهم: المحبة وإنماء المحبة المندمجة في بذرة الأخوة الموجودة بين المؤمنين لتصبح شجرة طوبى مباركة''،[42] ويزيد المسألة شرحا بقوله: ''إن مشربنا: محبة المحبة، ومخاصمة الخصومة، أي إمداد جنود المحبة بين المسلمين، وتشتيت عساكر الخصومة فيما بينهم...، إن كل مؤمن هو منتسب -معنىً- لجماعتنا[43] وصورة هذا الانتساب هو القاطع على حياء السنة النبوية في عالمه الخاص، فنحن ندعو باسم الشريعة أولئك المرشدين من العلماء والمشايخ من طلاب العلوم إلى الاتحاد قبل أي أحد سواهم''.[44]

إن هذه القاعدة الأخوية وسيلة لقهر أنانية النفس وغرورها وحرصها وشرهها، فتنجو بذلك من الرياء، يجلي الأستاذ هذه القاعدة بقوله: ''ولما كان طلاب رسائل النور قد حولوا 'أنا' إلى 'نحن' أي تركوا الأنانية ودخلوا ضمن دائرة الشخصية المعنوية للجماعة ويسعون في أعمالهم باسم تلك الشخصية أي يقولون 'نحن' بدلاً من 'أنا' وكما نجا أهل الطرق من الرياء بوسائل قتل النفس الأمارة بقاعدة: 'الفناء في

الشيخ' و 'الفناء في الرسول'، فإن إحدى تلك الوسائل هي 'الفناء في الإخوان'، أي إذابة الشخصية الفردية في حوض الشخصية المعنوية لإخوانه وبناء أعماله على وفق ذلك، أقول: إنه كما قد نجا أهل الحقيقة بتلك الوسائل من ورطة الرياء، ينجو بإذن الله طلاب النور بهذا السر أيضا''.[45]

إن تنامي الأخوة بين المسلمين يسرع في هزِّ المدنية الحاضرة ويقرب دمارها، وستتبدل صورة المدنية الحاضرة، وسيقوَّض نظامها، وعندها تظهر المدنية الإسلامية، وسيكون المسلمون أول من يدخلونها بإرادتهم.[46]

الأخوة سلاح إيماني بها يتمكن المسلمون من التصدي لجميع المؤامرات التي يشنها أهل الضلالة والنفاق، يقول النورسي: ''وحيث إن طلاب رسائل النور الحقيقيين قد أذابوا أنانيتهم الشبيهة بقطعة ثلج في الشخص المعنوي والحوض المشترك للجماعة، فلا يتزعزعون بإذن الله في غمرة هذه العواصف والأعاصير. نعم، إن خطة مهمة ومجربة للمنافقين هي: جمع أمثال هؤلاء الذين كل منهم يملك شخصية ضابط وحاكم، في مسألة واحدة، في مكان ضيق يهيج الأعصاب ويورث الضجر والنقاش الحاد والجدال والنقد، ويثيرون فيهم النزاع لبعثرة قوتهم المعنوية. ثم يؤدبون من فقد قوته المعنوية بيسر وسهولة. فطلاب رسائل النور لأنهم يسلكون مسلك الخلة والأخوة و **'الفناء في الإخوان'** سيُفشلون هذه الخطة المهمة المجربة للمنافقين بإذن الله''،[47] ويستشف تأكيد هذه المعاني من قوله: ''وإن شئت أن تعدد دوائر الأعداء المحيطة بالإسلام، فهم ابتداء من أهل الضلالة والإلحاد وانتهاء إلى عالم الكفر ومصائب الدنيا وأحوالها المضطربة جميعها، فهي دوائرٌ متداخلةٌ تبلغ السبعين دائرة، كلُّها تريد أن تصيبكم بسوء، وجميعها حانقة عليكم وحريصة على الانتقام منكم، فليس لكم أمام جميع أولئك الأعداء الألداء إلاّ ذلك السلاح البتار والخندق الأمين والقلعة الحصينة، ألا وهي **'الأخوة الإسلامية'**. فأفِق أيها المسلم !واعلم أن زعزعة قلعة الإسلام الحصينة بحججٍ تافهة وأسباب واهية، خلاف للوجدان الحي وأيُّ خلاف ومناف لمصلحة الإسلام كلياً.. فانتبه!''[48]

ج- تحقيق المصالح الأخروية

إن الرغبة في استدامة الحصول على الثواب، والتطلع لمضاعفة الأجر في الآخرة، هي الغاية العظمى من قاعدة ''الفناء في الإخوان'' ففي ظل الشخصية المعنوية المنبثقة من الجماعة التي انتظمت في قالب نوراني ملبية نداء ربها وخالقها، يستطيع الفرد أن

يغنم تلك الغاية فيكون من الفائزين في الآخرة.

ومن تأمل رسائل النور يدرك أن الإمام النورسي كثيراً ما أكد على هذه الفكرة من خلال إرشاد طلابه الذين تآلفوا على خدمة الرسائل التي ''هي المعجزة المعنوية للقرآن الكريم''،[49] فيقول: ''وإن رابطة الأخوة الموثوقة بسلسلة رسائل النور لحَسنة عظيمة تذهب بألف سيئة فينبغي التعامل بالمحبة والصفح فيما بينكم حسب رجحان الحسنات على السيئات كما هو في الحشر الأعظم حيث تذُهب العدالة الإلهية السيئات برجحان الحسنات''،[50] ويقرب من هذه المعاني قوله في مقام آخر: ''لمِاَ أنكم قد ارتبطتم برسائل النور رغبة بثواب الآخرة، وأداء لنوع من العبادة، فلا شك أن كل ساعة من ساعاتكم -تحت هذه الشروط والأحوال الصعبة- تصبح في حكم عبادة عشرين ساعة، والعشرين ساعة من العمل في خدمة القرآن والإيمان -لما فيها من جهاد معنوي- تكسب أهمية مائة ساعة، والمائة ساعة التي تمضي في لقاء مجاهدين حقيقيين من إخوة طيبين -كل منهم يعادل في الأهمية مائة شخص- وعقد أواصر الأخوة معهم، وإمدادهم -بالقوة المعنوية- والاستمداد منهم، وتسليتهم والتسلي بهم، والاستمرار معهم في خدمة الإيمان السامية بترابط حقيقي وثبات تام، والانتفاع بسجاياهم الكريمة، وكسب أهلية الطالب في مدرسة الزهراء بالدخول في مجلس الامتحان هذا، في هذه المدرسة اليوسفية، وأخذ كل طالب قسمته المقسومة له قدَرَا، وتناوله رزقه المقدرّ له فيها، نوالا للثواب تستوجب الشكر على مجيئكم إلى هنا''،[51] لهذا تراه معتنيا بأهمية التساند الحقيقي والاتحاد التام النابع من الإخلاص، فاعتبره المحور الذي ''تدور عليه منافع لا تنتهي، كذلك فهو ترس عظيم، ومرتكز قوي للوقوف تجاه المخاوف العديدة، بل أمام الموت، لأن الموت لا يسلب إلاّ روحا واحدة، لأن الذي ارتبط بإخوانه بسر الأخوة الخالصة في الأمور المتعلقة بالآخرة وفي سبيل مرضاة الله، يحمل أرواحا بعدد إخوانه، فيلقى الموت مبتسما وقائلا: لتسلم أرواحي الأخرى. ولتبق معافاة، فإنها تديم لي حياة معنوية بكسبها الثواب لي دائما، فأنا لم أمت إذن. ويُسلّم روحه وهو قرير العين. ولسان حاله يقول: أنا أعيش بتلك الأرواح من حيث الثواب ولا أموت إلاّ من حيث الذنوب والآثام''.[52]

ويبيّن الأستاذ النورسي في موضع آخر أهمية الكسب المعنوي الجماعي، فقال: ''إن الدليل القاطع على أنّ كلّ طالب صادق لرسائل النور سيكسب ذلك الكسب الخارق النابع من سر ليلة القدر والتي يكسب فيها المرء ثلاثاً وثمانين سنة من عمر

معنوي، **ومن سر الإخلاص والتساند والاشتراك في الأعمال الأخروية الجارية بين طلاب رسائل النور**''، وهذا ''هو: الاحتمال القوي أن لا يكسب ذلك الكسب الخارق واحدٌ أو اثنان أو عشرة أو عشرون، بل مئات ضمن دائرة النور التي تضم أربعين ألفا بل مائة ألف من المؤمنين الحقيقيين الخالصين. فبسر الإخلاص وبدستور الاشتراك في الأعمال الأخروية نتوجه نحن وأنتم كذلك إلى هذه الحقيقة -حقيقة ليلة القدر- فنفترض أنفسنا ضمن جميع الأخوة وكل منّا يتكلم باسم الجميع في هذا الشهر المبارك فنقول بصيغة الجمع: أجرنا، ارحمنا، واغفر لنا، ووفقنا، واهدنا، واجعل ليلة القدر في هذا الشهر شهر رمضان خيراً في حقنا من ألف شهر. وننوى في كل دعاء ضمن (نا) ضمير الجمع جميع إخواننا. وعليكم معاونة أخيكم هذا الضعيف بالذات في وظيفته المرهقة بتلك النية الخاصة''.[53]

ثانيا: المستلزمات الأساسية لتحقيق قاعدة(الفناء في الإخوان) - عرض وتحليل-

لما كانت رسائل النور برهاناً باهراً للقرآن الكريم، وتفسيراً قيّما له، ولمعة براقة من لمعات إعجازه المعنوي،[54] كان من الضروري على الأمة الإسلامية في هذا العصر أن تسخّر الأضواء المنعكسة من تلك اللمعة وتوظفها لتحقيق قاعدة ''الفناء في الإخوان''، فتحيا سعيدة وضّاءة تنير لنفسها وللعالم أجمع دروب الخير والسعادة في الدارين، مساهمة منها في إسعاف الخلق لبلوغ دار السلام الذي دعا الله تعالى إليه في محكم كتابه قائلا: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾. يونس:٢٥

قال بديع الزمان سعيد النورسي: ''فيا طلاب رسائل النور ويا خدام القرآن! نحن جميعا أجزاء وأعضاء في شخصية معنوية جديرة بأن يطُلق عليها: الإنسان الكامل ونحن جميعا بمثابة تروس ودواليب معمل ينسج السعادة الأبدية في حياة خالدة فنحن خدام عاملون في سفينة ربانية تسير بالأمة المحمدية إلى شاطئ السلامة وهي دار السلام. نحن إذن بحاجة ماسة بل مضطرون إلى الاتحاد والتساند التام''،[55] هذا هو المسلك العام لرسائل النور لهذا فهي ''أقوى وسيلة وأنجع دواء لهذه الأمة في هذا البلد في سبيل إعادة الأخوةّ الإسلامية السابقة والمحبة السابقة وحسن الظن والتعاون المعنوي بين ثلاثمائة وخمسين مليون مسلم، وفي سبيل البحث عن وسائل هذا

التعاون''.[56]

لم تكتف رسائل النور بالبيان العام بل عرضت التعريف بالدعائم والمرتكزات المحققة لقاعدة ''الفناء في الإخوان''، فضلاً عن بيانها لأهم السبل والآليات المنهجية المساهمة في زيادة توثيق رابطة الأخوة الإيمانية، وذلك في المطلبين الآتيين:

١- دعائم ومرتكزات قاعدة ''الفناء في الإخوان''

انتهيت بعد قراءة تحليلية وبحث مستقصي في مضامين رسائل النور إلى أنّ الأخوة والمحبة المتبادلة ترتكز على ثلاث دعامات أساسية وهي: الإيمان، والإسلام، والإنسانية، وهو صريح قول الأستاذ قول النورسي: ''إن أسباب المحبة هي الإيمان، والإسلام، والإنسانية، وأمثالها من السلاسل النورانية المتينة والحصون المعنوية المنيعة. أما أسباب العداوة والبغضاء تجاه المؤمن فإنما هي أمور خاصة تافهة تفاهة الحصيات...''[57]

ولبيان تأثير تلك الدعامات على تقوية أواصر الأخوة من خلال فكر بديع الزمان نعرض جملة منها باختصار:

أ- الإيمان هو شعاع إلهي متى تسرب إلى القلب أصبح الجسد ربانيا تحفوه قوة تجعله من أن يتحكم الإنسان بجوارحه، ويكون صلدا في مواجهة جميع الفتن التي تحيط به، ولاسيما إذا اجتمعت القلوب المتنورة بذلك النور فإنها تكون كالحصن المنيع للأعداء الذين يبغون النفوذ إليه ليستبيحوا كرامته، ومن هنا كان الإيمان هو العنصر المقوي للجماعة ومن دونه كان العمل هباء لا خير فيه ولا قوة .

يقول النورسي: ''إن الإيمان بعقيدة واحدة، يستدعي حتما توحيد قلوب المؤمنين بها على قلب واحد. ووحدة العقيدة هذه، تقتضي وحدة المجتمع . فأنت تستشعر بنوع من الرابطة مع من يعيش معك في طابور واحد، وبعلاقة صداقة معه إن كنت تعمل معه تحت إمرة قائد واحد، بل تشعر بعلاقة أخوة معه لوجودكما في مدينة واحدة، فما بالك بالإيمان الذي يهب لك من النور والشعور ما يريك به من علاقات الوحدة الكثيرة، وروابط الاتفاق العديدة، ووشائج الأخوة الوفيرة ما تبلغ عدد الأسماء الحسنى. فيرشدك مثالا إلى: أن خالقكما واحد، مالكما واحد، معبودكما واحد، رازقكما واحد، وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ الألف. ثم إن نبيَّكما واحد، دينكما واحد، قبلتكما واحدة،

وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ المائة. ثم، إنكما تعيشان معا في قرية واحدة، تحت ظل دولة واحدة، في بلاد واحدة. وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ العشرة''.[58]

ويقول في موضع آخر: ''ولأن الإيمان يؤسس الأخوةّ بين كل شيء، لا يشتد الحرص والعداوة والحقد والوحشة في روح المؤمن؛ إذ بالدقة يرَى أعدى عدوّه نوع أخ له''.[59]

وبسرِّ الإيمان تتميز مدنية المؤمنين عن مدنية الكافرين، فيقول ما نصه: ''اعلم أن الفرق بين مدنية الكافرين ومدنية المؤمنين، أن الأولى: وحشة مستحالة ظاهرهُا مزينّ، باطنهُا مشوّه، صورتها مأنوسة، سيرتها موحشة، ومدنية المؤمنين باطنهُا أعلى من ظاهرها، معناها أتم من صورتها، في جوفها أنُسية وتحببّ وتعاون والسر: أن المؤمن بسر الإيمان والتوحيد يرى أخوةّ بين كل الكائنات، وأنُسية وتحببا بين أجزائها، لاسيما بين الآدميين ولاسيما بين المؤمنين ويرى أخوة في الأصل والمبدأ والماضي، وتلاقيا في المنتهى، والنتيجة في المستقبل''.[60]

وما تجدر الإشارة إليه هو أن الإيمان المجرد من الإخلاص لا يمكن أن يحقق قاعدة ''الفناء في الإخوان''، لهذا فإنّ اقترانه بالإخلاص شرط ضروري لاستجلاب مضامين القاعدة ''الفناء في الإخوان''، يقرر هذا الحكم قول النورسي: ''فكما أن للولاية كرامة، فإن للنية الخالصة كرامة أيضاً، وللإخلاص كرامة أيضاً، ولاسيما الترابط الوثيق والتساند المتين بين الإخوان ضمن دائرة أخوة خالصة لله، تكون له كرامات كثيرة، حتى إن الشخص المعنوي لمثل هذه الجماعة يمكن أن يكون في حكم ولي كامل يحظى بالعنايات الإلهية''،[61] هذه المعاني مهيمنة على رسائل النور، بحيث لا تخلو منها جملة الرسائل، ذلك لأنّ طلبة النور ''بحاجة ماسة بل مضطرون إلى الاتحاد والتساند التام وإلى الفوز بسر الإخلاص الذي يهيئ قوة معنوية بمقدار ألف ومائة وأحد عشر '١١١١' ناتجة من أربعة أفراد نعم، إن لم تتحد ثلاث 'ألفات' فستبقى قيمتهُا ثلاثا فقط، أما إذا اتحدت وتساندت بسر العددية، فإنها تكسب قيمة مائة وأحد عشر '١١١' ، وكذا الحال في أربع 'أربعات' عندما تكتب كل '٤' منفردة عن البقية فإن مجموعها '١٦' أما إذا اتحدت هذه الأرقام واتفقت بسر الأخوة ووحدة الهدف والمهمة الواحدة على سطر واحد فعندها تكسب قيمة أربعة آلاف وأربعمائة وأربع وأربعين '٤٤٤٤'،'' ثم يستشهد الأستاذ التاريخ القديم والحديث في الدلالة على أنّ

الاتحاد عبر التاريخ شاهد إثبات القوة والمنعة، قال الأستاذ: ''وقوتها هناك شواهد ووقائع تاريخية كثيرة جدا أثبتت أن ستة عشر شخصا من المتآخين المتحدين المضحين بسر الإخلاص التام تزيد قوتهُم المعنوية وقيمتهُم على أربعة آلاف شخص أما حكمة هذا السر فهي أن كل فرد من عشرة أشخاص متفقين حقيقة يمكنه أن يرى بعيون سائر إخوانه ويسمع بآذانهم أي إن كلاً منهم يكون له من القوة المعنوية والقيمة ما كأنه ينظر بعشرين عينا ويفكر بعشرة عقول ويسمع بعشرين أذُنا ويعمل بعشرين يداً''.[62]

ويذكر النورسي مثالاً رائعاً في الإخلاص والتفاني في حب الإخوان: ''ولما كنت أرى أن الشعور الأخوي الخالص الذي أبداه أخونا الحافظ علي[63] تجاه أحد إخواننا الذي سيكون منافساً له في الاستنساخ اليدوي جدير بأن تطلعوا عليه، أذكره لكم وهو الآتي:

جاءني الحافظ علي وقلت له: إن خط الأخ فلان أجود من خطه وأنه أكثر منه عملاً ونشاطاً. وإذا بي أجد أن الحافظ علي يفتخر بإخلاص ومن الصميم بتفوق الآخر عليه، بل التذ بذلك وانشرح، وذلك لأن الآخر قد استطاع جلب محبة أستاذه وثنائه عليه. راقبت قلبه أمعنت فيه بدقة، وعلمت انه ليس تصنعاً قط. بل شعرت أنه شعور خالص. فشكرت الله تعالى على أن في إخواننا من يحمل هذا الشعور السامي، وسينجز هذا الشعور بأذن الله كثيراً جداً من الخدمات. والحمد لله فان ذلك الشعور الأخوي قد سرى تدريجياً في صفوف إخواننا في هذه المنطقة''.[64]

فمثل هذا الحب والافتخار بمزايا الأخوة النابع من الإيمان الخالص، وإن خلا من الحب خلا القلب من الإيمان، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم[65]: (لا يُؤْمِنُ أحدكم حتى يُحِبَّ لأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ).[66] إن الفهم الحقيقي لهذا الحديث يجعل المؤمن أن يكون حريصا على أخوته المؤمنين ومخلصا في إرادة الخير لهم لأن خلاف ذلك معناه انتفاء الإيمان من القلب وهذا وبال نسأل الله تعالى العصمة منه.

أ- الإسلام

الإسلام هو الدين الذي اختاره الله تعالى للبشرية وفطرهم عليه، مصداقا لقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾،[الروم:٣٠] واتحاد الناس في هذا المنهج يوجب عليهم توثيق روح

الأخوة فيما بينهم، لتكون الأمة متكاملة في القوة، وبالغة السمو والرفعة.

قال الأستاذ النورسي: ''إذ إن حجر الأساس في بناء أمتنا وقوام روحها إنما هو الإسلام...، وهكذا فبفضل هذه الرابطة المقدسة التي تشد الأمة الإسلامية بعضها ببعض يصبح المسلمون كافة كعشيرة واحدة فترتبط طوائف الإسلام برباط الأخوة الإسلامية كما يرتبط أفراد العشيرة الواحدة ويمُد بعضهم بعضا معنوياً، وإذا اقتضى الأمر فمادياً، وكأن الطوائف الإسلامية تنتظم جميعها كحلقات سلسلة نورانية فكما إذا ارتكب فرد في عشيرة ما جريمة فإن عشيرته بأسرها تكون مسؤولة ومتهّمَة في نظر العشيرة الأخرى وكأن كل فرد من تلك العشيرة هو الذي قد ارتكب الجريمة، فتلك الجريمة قد أصبحت بمثابة الألوف منها، كذلك إذا قام أحد أفراد تلك العشيرة بحسنة واحدة، افتخر بها سائر أفراد العشيرة وكأن كل فرد منها هو الذي كسب تلك الحسنة'' لهذا فإنّ المسيء ليس ''هو وحده المسؤول عن سيئته، بل تتضرر الأمة الإسلامية بملايينها بتلك السيئة وستظهر أمثلة هذه الحقيقة بكثرة بعد أربعين أو خمسين سنة''.[67]

ج- الإنسانية

بما أنّ الناس من أب واحد وأم واحدة هما آدم وحواء -عليهما السلام- فإنّ جميعهم إخوة تفرض عليهم هذه الصفة التعارف والتكاتف والتعاون، وإن تباعدت حلقات السلسلة البشرية، وتنوعت ألسنتها، وتباينت ألوانها، واختلفت أوطانها، وإلى هذه الحقيقة أشار الله تعالى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾،[الحجرات:١٣] أي خلقناكم طوائف وقبائل وأمما وشعوبا كي يعرف بعضكم بعضا وتتعرفوا على علاقاتكم الاجتماعية، لتتعارفوا فيما بينكم، ولم نجعلكم قبائل وطوائف لتتناكروا فتتخاصموا.[68]

ومن هذا المنطلق توجب المعرفة بالأصل الواحد لبني آدم على المسلمين أن يؤصلوا رابطة أخوتهم تبعاً لوحدة أصلهم، وقد سماها النورسي بالقومية الإيجابية، فيذكر أنّ: ''القومية الإيجابية نابعة من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية، وهي سبب للتعاون والتساند، وتحققِّ قوة نافعة للمجتمع، وتكون وسيلة لإسناد أكثر للأخوة الإسلامية هذا الفكر الإيجابي القومي''، ثم يحث المسلمين على التعامل الإيجابي مع هذه المعاني ، فيذكر مرشدا المسلم في العصر الحديث بقوله:'' ينبغي أن يكون خادما للإسلام، وأن يكون قلعة حصينة له، وسورا منيعا حوله، لا أن يحل محل الإسلام، ولا

بديلاً عنه، لأن الأخوة التي يمنحها الإسلام تتضمن ألوف أنواع الأخوة وإنها تبقى خالدة في عالم البقاء وعالم البرزخ. ولهذا فلا تكون الأخوة القومية مهما كانت قوية إلاّ ستاراً من أستار الأخوة الإسلامية. وبخلافه، أي إقامة القومية بديلاً عن الإسلام جناية خرقاء أشبه ما يكون بوضع أحجار القلعة في خزينة ألماس فيها وطرح الألماسات خارج القلعة''.[69]

٢- الوسائل المحققة لقاعدة "الفناء في الإخوان"

إن غريزة تلبية نداءات الشهوة نابعة من حب الإنسان لنفسه، ولذلك قلما تجد إنساناً متحكماً في ترويضها من دون مرشد ولا كتاب منير، وهذا أمر طبيعي بالنسبة للنفوس لكونها أمارة بالسوء، فوظيفة الإنسان بعد العلم والبيان الإلهي لمواطن الضعف فيه، وعلاج الأمراض المتسرّبة من خلجات نفسه، تحتم عليه أن يسمو بنفسه نحو الكمال كي يكون مؤهلاً لأداء مهامه في الأرض خليفة لله تعالى، ومادام الإنسان محاطاً بالنفس والشيطان والبيئة الفاسدة وعوامل أخرى فقد لا يستطيع أن يحقق بمفرده دوره القيادي -وهذه نتيجة مفهومة-، ولذلك يفترض عليه أن يختار لنفسه أفراداً مخلصين يذكِّرونه عند الغفلة، ويؤنسونه حين الوحشة، ويدخل معهم في رابطة معنوية تصقل جوهره المغبر بغبار الدنيا ولذائذها.

وللظفر بهذه الرابطة وتحقيق صورتها كما ذكرنا، مهَّدت رسائل النور السبل الموصلة لتحقيق هذا الهدف المنشود، ولعلّ رأس ما أشارت إليه ما موجزه النقاط الآتية:

أ- العبادات الجماعية

عدَّ النورسي العبادات الجماعية وسيلة لجمع شمل المسلمين وتوثيق أواصر الأخوة بينهم مما يساهم بقسط وافر في تعزيز إقامة أواصر الأخوية والحفاظ عليها بما يشع منها سناء الرحمة، ولطائف المودة ليشمل جميع الموحدين في ظل تلك الشخصية المعنوية المنبثقة من الأخوة الإيمانية المخلصة المسالمة.

يوضح الأستاذ النورسي هذه القضية بقوله: ''ما كانت 'ن' التي في نعَبْدُ ونسَتْعَينُ تبين لنا الجماعات العظيمة الثلاث؛ ولاسيما جماعة الموحدين في جامع العالم الإسلامي وبخاصة ملايين المصلين الذين يؤدون الصلاة في ذلك الوقت؛ وتجعلنا ضمن صفوفهم؛ فاتحة أمامنا طريقا سويا لنكسب حظا من أدعيتهم، ولنغنم تصديقهم

لنا لنطقهم بمثل ما ننطق به نحن، ولنحظى بنوع من شفاعتهم؛ فنحن كذلك بقولنا: 'آمين' نعزز أدعية أولئك الموحدّين المصلين؛ ونصدقّ دعواهم؛ ونرجو بكلمة 'آمين' أن يستجيب الله سبحانه وتعالى لاستعانتهم وشفاعتهم، محولِّين عبوديتنا الجزئية ودعاءنا الجزئي ودعوانا الجزئية إلى عبودية كلية ودعاء كلي ودعوى كلية إزاء ربوبية كلية شاملة. بمعنى أن كلمة 'آمين' تكَسبِ كلية واسعة بل يمكن أن تكون بمثابة ملايين ''آمين'' بسر الأخوة الإيمانية والوحدة الإسلامية وبواسطة راديوات معنوية ورابطة الوحدة لجماعة يربون على الملايين من المصلين المتراصين في الصلاة في مسجد العالم الإسلامي''.[70]

ب- اللقاءات والمجالسات

إن اللقاءات المنظمة والمجالسات المستمرة بين الإخوان تزيد من نشاط الأفراد الداخلين في إطار هذه القاعدة -الشخصية المعنوية- وتكون عاملاً مهماً للثبات على هذه الرابطة النورانية، فضلاً عن تأثيرها على الذين لم يدخلوها بعد، فيقتبسوا من أنوارها ما يحرك مشاعرهم ويستفيقوا من الغفلة التي خيَّمت عليهم، فتتجلجل قلوبهم استعداداً للتحليق في رحاب تلك الشخصية.

يقول النورسي: ''إن لقاء الأصدقاء ومجالسة الإخوان منبعٌ ثرٌ للسلوان، لما يعاني منه الإنسان من سرعة تبدل هذه الحياة الدنيا، ومن زوالها وفسادها، ومن فنائها وفناء متعها التي لا تجدي شيئاً، ومن صفعات الفراق والافتراق التي تنزلها بالإنسان ..نعم! قد يقطع إنسان مسافة عشرين يوماً ويصرف مائة ليرة لأجل لقاء أخيه لساعات معدودة. ففي هذا الزمان العجيب الذي قلما يوجد فيه صديق صدوق، لا تعد هذه المشقات والمصاعب التي نزلت بنا مع ضياع الأموال ذات أهمية تذكر إزاء رؤية أربعين أو خمسين من الأصدقاء الصادقين الإخوة المخلصين دفعة واحدة طوال شهرين من الزمان، ومجالستهم ومحاورتهم في سبيل الله، والتسلي بهم وتسليتهم تسلية حقيقية. فانا شخصياً كنت أرضى بهذه المصاعب والمشقات رجاء رؤية واحد من إخوتي هنا فحسب بعد فراقي عنهم عشر سنوات''.[71]

ويقول أيضاً: ''وهذا النوع من اللقاء له ثلاث ثمرات: الأولى: أخذه لجواهر القرآن درسا مني أو من 'رسائل النور' ولو كان درسا واحداً، هذا من حيث الدعوة إلى القرآن الثانية: يكون مشاركا لي في ثوابي الأخروي وهذا من حيث العبودية لله، الثالثة: نتوجه

معا إلى الرحمة الإلهية مرتبطين قلبا متساندين في خدمة القرآن ونسأله التوفيق والهداية''.[72]

ثالثا- المعوقات الأساسية لقاعدة (الفناء في الإخوان)

لخّص الأستاذ النورسي أهم المعوّقات، وأبرز العقبات التي تعترض طريق تحقيق قاعدة (الفناء في الإخوان)، في مرضين خطيرين: هما الحسد، والأنانية وحب النفس، وفيما يأتي بيانهما باختصار:

١- الحسد

يرى النورسي أنّ حرص الإنسان على اكتساب المنافع المادية، والتطلع لامتلاكها يولد فيه الحسد[73] ومن شأن الحسد أن يفسد الإخلاص الذي هو أساس قاعدة الأخوية، يفسر الأستاذ الموقف بقوله: ''الحسد الناشئ من المنافع المادية هذا الحسد يفسد الإخلاص تدريجياً، بل يشوه نتائج العمل، بل يفوتّ حتى تلك المنافع المادية أيضاً. نعم، لقد حملت هذه الأمة دائما التوقير والقدر للعاملين بجد للحقيقة والآخرة، ومدت لهم يد العون فعلاً، وذلك بنيةّ مشاركتهم في تلك الأعمال والخدمات الصادقة الخالصة لوجه الله فقدمت لهم هدايا وصدقات لدفع حاجاتهم المادية ولئلا ينشغلوا بها عن خدماتهم الجليلة؛ فأظهروا بذلك ما يكنوّنه من احترام للعاملين في سبيل الله؛ إلا أن هذه المساعدات والمنافع يجب ألا تطُلبَ قط، بل تؤهب فلا يسُأل حتى بلسان الحال كمن ينتظرها قلباً وإنما تعُطى من حيث لا يحتسب وإلاّ اختل إخلاص المرء وانتقض، وكاد يدخل ضمن النهي الإلهي في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً﴾''،[البقرة:٤١] وبهذا ''يحبط قسم من أعماله فالرغبة في هذه المنافع المادية وترقبّها بدافع من أثرَة النفس الأمارة وحرصها على كسب المنافع لذاتها، تثير عرق الحسد وتحرك نوازعه تجاه أخيه الحقيقي وصاحبه المخلص في الخدمة الإيمانية، فيفسد إخلاصه ويفقد قدسية دعوته لله، ويتخذ طورا منفرّا لدى أهل الحقيقة، بل يفقد المنافع المادية أيضاً''.[74]

ويؤكد النورسي على خطورة الحسد في موضع آخر، معتبرا الحسد من دسائس الشيطان النابع من جهة الأنانية، يؤكّد هذا المعنى بقوله: ''إن أخطر جهة من الأنانية في عملنا هذا هو الحسد والغيرة، فإذا لم يكن العمل خالصاً لله وحده، فان الحسد يتدخل فيفسد العمل. فكما أن إحدى يدي الإنسان لا تحسد الأخرى ولا تغار منها، وكذا لا تحسد العين أذنه ولا يغار قلبُه من عقله، كذلك انتم، فكل منكم في حكم عضو

وحاسة في الشخص المعنوي لجماعتنا هذه. فواجبكم الوجداني ألاّ يحسد بعضكم بعضاً، بل يفتخر كلٌ منكم بمزايا الآخر ويُنسَرُّ بها''.[75]

ولعلاج هذا المرض يصف النورسي الدواء الشافي في رسائله المستفادة من صيدلية القرآن الكريم، فقال: ''وعلاج الحسد هو: أن يلاحظ الحاسد عاقبة ما يحسده، ويتأمل فيها، ليدرك أن ما ناله محسودهُ من أعراض دنيوية -من مال وقوة ومنصب- إنما هي أعراض زائلة فانية فائدتهُا قليلة، مشقتها عظيمة''.[76]

٢- الأنانية وحب النفس

اعتبر الأستاذ النورسي الأنانية مرض العصر[77] وهو المولد الفعّال لكثير من الأمراض التي تؤثر في إخلاص الإنسان وتَحول بينه وبين الاشتراك الجماعي ضمن نطاق قاعدة (الفناء في الإخوان)، يستفاد هذا التشخيص من قول أحد تلاميذه في التعريف بمسلك الأستاذ: ''كان الأستاذ يتحدث في أغلب دروسه عن: الأخوة والإخلاص فكان يشخصّ مرض زماننا هذا بـ: الغرور والأنانية وحب النفس، قال الأخ زبير يوما: أستاذي الحبيب! إنني أكاد أرتعد من خوفي من الغرور والأنانية فأجابه الأستاذ: نعم، خف وارتعد من الغرور ففي هذا الزمان -وهو زمان الغفلة عن الله- ترى أصحاب الأفكار المنحرفة عن الدين يجعلون كل شيء آلة ووسيلة لمصالحهم الخاصة، فتراهم يستخدمون الدين والعمل الأخروي وسيلة لمغانم دنيوية ألا أن حقائق الإيمان والعمل لنشر رسائل النور هذا العمل المقدس لا يمكن أن يكون وسيلة لجر مغانم دنيوية قط، ولن تكون غايته سوى رضي الله سبحانه بيد أن الاصطدامات التي تحدث جراء التيارات السياسية الضالة تجعل المحافظة على الإخلاص، والحيلولة دون جعل الدين وسيلة للدنيا عسيرة والحل الوحيد أمام هذه التيارات هو الاستناد إلى العناية الإلهية واستمداد القوة منها''.[78]

ويقول الإمام في موضع آخر: ''إن أول ما نوصيه وآخرهَ: الحفاظ على الرابطة فيما بينكم، والحذر من الأنانية والغرور والمزاحمة، مع أخذ الحذر وضبط النفس''.[79]

ويقول أيضاً: ''ويلزم على إخواننا المحافظة على قوة التساند والأخوةّ وذلك بإبداء التضحية وترك الأنانية والتواضع قدر الإمكان''.[80]

ومن خلال البحث والتأمل في رسائل النور نخلص إلى حقيقة جلية وهي: أن

الأنانية المتأتية من حب النفس تتولد عنها كثير من المشاكل التي تؤثر في العلاقات الأخوية الإيمانية، وتساهم في تصدُّع أركانها واندثار معالمها، وتشتيت شملها، وتبديد أحلام رجالها، ومن أبرز تلك المشاكل:

أ- التعصب، سواء كان قومياً أو مذهبياً وينتج عنهما الظلم والعداء.

يقول النورسي: ''إن غرور الإنسان وحبّه لنفسه قد يقودانه أحيانا إلى عداء إخوانه المؤمنين ظلماً ومن دون شعور منه فيظن المرء نفسه محقاً. مع أن مثل هذه العداوة تعدّ استخفافاً بالوشائج والأسباب التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض -كالإيمان والإسلام والإنسانية- وحطاً من شأنها. وهي أشبه ما يكون بحماقة من يرجّح أسباباً تافهة للعداوة كالحصيات على أسباب بجسامة الجبال الراسيات للودّ والمحبة''،[81] ويذكر النورسي في قضية خطورة مشكلة العنصرية والتعصب القومي وأثارها السلبية على الإنسان عموما والمسلم على الخصوص: ''إن العصبية العنصرية الجاهلية، ما هي إلاّ الغفلة المتساندة المتصالبة، وإلاّ الضلالة والرياء والظلم المتجاوبة المتعاونة. فيصير الخلقُ وملّتهُ كمعبودِه -العياذ بالله-، وأما الحمية الإسلامية فهي النور المهتز المنعكس من ضياء الإيمان''.[82]

وأما داء التعصب لرأي أو لمذهب معين فإنّ النورسي كثيرا ما حذّر منه وأرشدنا إلى الصواب في هذه المسألة، فيقول: ''عندما تعلم أنك على حق في سلوكك وأفكارك يجوز لك أن تقول: 'إن مسلكي حق أو هو أفضل' ولكن لا يجوز لك أن تقول: 'إن الحق هو مسلكي أنا فحسب' لأن نظرك الساخط وفكركَ الكليل لن يكونا محكّاً ولا حَكَما يقضي على بطلان المسالك الأخرى''،[83] ويؤيّد الفكرة نفسها مشردا الناس إلى مسالك تدبيرها عمليا فقال: ''إن كنت طالبا للاتحاد فاتخذ هذا دستورك: لابد أن يكون 'هو حق' بدلا من 'هو الحق' و 'هو حسن' بدلا من 'هو الحسن' إذ يحق لكل مسلم أن يقول في مسلكه ومذهبه: إن هذا 'حق' ولا أتعرض لما عداه فإن يك جميلا فمذهبي أجمل بينما لا يحق له القول في مذهبه: إن هذا هو 'الحق' وما عداه باطل وما عندي هو 'الحسن' فحسب وغيره قبيح وخطأ! ضيق الذهن وانحصاره على شيء، ينشأ من حب النفس ثم يكون داءً ومنه ينجم النزاع''.[84]

ب- سوء الظن بالآخرين والتفتيش عن عيوبهم

يبعث سوء الظن في الإنسان البحث عن عيوب إخوته، مما يدفع به إلى التجسس

ومحاولة الإنقاص من شأنهم بتخطئتهم ومعاداتهم، وفي ذلك يقول النورسي: ''الذي أراه إن من يخطّئ الآخرين -ويرى نفسه في صواب دائما- مصاب بمرض ضيق الفكر وانحصار الذهن الناشئين من حب النفس. ولاشك أنه مسؤول أمام رب العالمين عن تغافله عن شمول خطاب القرآن الى البشرية كافة. ثم إن فكر التخطئة هذا، **منبع ثر لسوء الظن بالآخرين**، والانحياز، والتحزب في الوقت الذي يطالبنا الإسلام بحسن الظن والمحبة والوحدة! ويكفيه بعدا عن روح الإسلام ما شق من جروح غائرة في أرواح المسلمين المتساندة، وما بثه من فرقة بين صفوفهم، فأبعدهم عن أوامر القرآن الكريم''،[85] تستشف هذه المعاني من قول أحد طلبته: ''ذات مرة جاءت من مدينة 'قونيا' جماعتان من طلاب النور لزيارة الأستاذ فشكت الجماعة الأولى من تصرفات الجماعة الثانية إلى الأستاذ قائلين: إنهم لا يأخذون حذرهم ولا يحتاطون للأمر بل يقومون بإلقاء الدرس في المسجد، والجماعة الثانية شكت أيضا من الجماعة الأولى، فقال لهم: إخوتي! إن الإسلام لا حاجة له بخدمتكم وعملكم بقدر ما هو بحاجة ماسة إلى تساندكم وترابطكم، فعليكم أن تقرؤوا بين حين وآخر كلا من رسائل: 'الإخلاص' و 'الأخوة' و 'الهجومات الست' فيما بينكم ذلك لأن تساندكم وإخلاصكم وثباتكم وصلابتكم السائدة فيما بينكم منذ البداية ستكون مفخرة لهذه البلاد''.[86]

ج- تبادل الانتقادات والجدال من دون مبالاة لروح الأخوة، وهذا مما لاشك فيه يضعف الود والوئام بين الأفراد.

يقول النورسي: ''حذار حذار من فتح باب النقد فيما بينكم؛ إن ما يستحق النقد خارج الصف كثير بل كثير جدا؛ فكما أنني أفتخر بمزاياكم وأجد الراحة والسلوان من مزاياكم التي حرُمت منها، وأعدها كأنها عندي وأنا المالك لها، فأنتم كذلك عليكم النظر إلى مزايا إخوانكم على هذا النمط فليكن كل منكم ناشرا لفضائل الآخرين''.[87]

يتّضح مما تقدّم أنّ ما يعترض جمع الأخوة، وما يعيق وحدتهم المعنوية نابع من حب الإنسان لنفسه فهو مصدر وباعث تشكّل كثير من الأمراض الفتاكة كالحسد والغرور والأنانية، وإن كانت هناك عوامل أخرى خارجية لم أتطرق إليها لكي لا تتجاوز عدد صفحات البحث الحد المطلوب، وتتمثل في وساوس الشيطان وحيله، فضلاً عن المؤامرات الخفية والظاهرة التي يحيكها أهل الضلال والباطل لتفكيك

أواصر المحبة والألفة والأخوة بين الجماعة.

الخاتمـــة

بعد بحثنا مسألة ''الفناء في الإخوان'' برؤية تأصيلية من خلال رسائل النور التي تمثّل رشحة من رشحات البحر القرآني، استنارت قلوبنا، واطمأنت نفوسنا إلى أن المستقبل للإسلام بالرغم من التحديات الكثيرة والخلافات المريرة، فمادام القرآن الكريم يتلى آناء الليل وأطراف النهار، وما دامت رسائل النور تقرأ في أغلب أرجاء المعمورة موضحة لنا هدي الإله في التأكيد على أخوية أهل الإيمان، فإن شمل المسلمين سيتحد، وجمعهم سيحتشد، فيستعيدوا مكانتهم بين الأمم.

وتوصل الباحث بعد الغوص في التفاصيل المستفادة من رسائل النور، خلص الباحث إلى جملة من النتائج، أبرزها:

١- إن قاعدة ''الفناء في الأخوان'' يراد بها إفناء الفرد شخصيته في شخصية إخوانه وإيثارهم على نفسه، وبواسطة هذا الفناء يكسب الفرد الواحد أرواحاً كثيرة، وعلى إثره ترتبط أرواح الداخلين في هذه الرابطة المعنوية النورانية فينسى كل أخ أحاسيسه النفسانية، ويعيش فكراً مع مزايا إخوانه وفضائلهم.

٢- استلهم الأستاذ قاعدة ''الفناء في الإخوان'' من القرآن الكريم والسنة النبوية، وهي قاعدة يشهد لها بالإعمال والتمثّل الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم- لما طبقوا هذه القاعدة تطبيقاً عملياً على أرض الواقع، وهو ما به استطاعوا أن يكونوا أسياد الأرض يحكمون أهلها بالعدل والإحسان.

٣- ركّز الأستاذ على قاعدة ''الفناء في الإخوان'' لأنّها قاعدة ألجأت إليها الضرورة الملحة، ابتغاء استعادة الأمة الإسلامية أمجادها، وتوحيدها بعد تشتت، والتحامها بعد تمزّق... فبناء الجماعة استناداً على هذه القاعدة انطلاقة عظمى نحو الشموخ، وميلاد جديد للعزة والرفعة، وبناء حضارة ربانية يتفيأ ظلالها أهل الإيمان وهم يعبدون الله وينصرونه ويتناصرون فيما بينهم، ويتواصون بالصبر والحق، وتتكافأ دماؤهم، ويسعى في ذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم.

٤- إن تطبيق قاعدة عظيمة كهذه لابد أن تستند على أسس ودعامات معنوية تحفّها العناية الإلهية من كلّ جانب، والمدخل الأساسي لهذا الأمر: الإيمان الخالص المستقر

في القلوب الحية، والإسلام التطبيقي، والإنسانية الجامعة.

٥- هناك وسيلتان أساسيتان تعينان المسلمين للاستفادة في مضمون هذه القاعدة، وتبعثان على تنشيط الهمّة ودفعان إلى المداومة والثبات عليها وهما: العبادات الجماعية، واللقاءات المستمرة التي تقوم على مبدأ التواصي بالحق والصبر، والتذكير والإرشاد.

٦- رأس البلاء الذي أصبنا في هذا الزمان حب الإنسان لنفسه، وسعيه لإرضاء شهوته، وهو ما يدفع به إلى معادات إخوته وظلمهم بالحسد تارة، وبالأنانية والغرور تارة أخرى، فتراه متكبرا، ويظن أنّه بهذا الصنيع قد أصبح شريف نسب، وأنبل حسب، وأكرم عرق، وأحسن رأي، وأصوب فكر، وتعد هذه الأمور مثار التنازع والتخاصم الذي يولد الحقد بين المؤمنين، ويقطع رابطة الأخوة فيما بينهم.

٧- إن كثرة النقد والجدال تؤثر سلبا على العلاقات الأخوية فتضعفها أو تكاد تمحوها كلياً، لذا فمن الضرورة بمكان أن يفتخر الفرد بمزايا إخوانه، وبعدها من مزاياه.

* * *

قائمة المصادر والمراجع

- بعد القرآن الكريم

١- إحياء علوم الدين: لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت-لبنان.

٢- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: لبديع الزمان سعيد النورسي (ت١٣٧٩هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، مصر-القاهرة، ط٦، ٢٠١١م.

٣- التوقيف على مهمات التعاريف: لمحمد عبد الرؤوف زين الدين المناوي(ت١٠٣١هـ)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، ودار الفكر - بيروت، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ.

٤- دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، تحقيق: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، لبنان – بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٥- السيرة الذاتية: لبديع الزمان سعيد النورسي (ت١٣٧٩هـ)، ترجمة وإعداد: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، مصر-القاهرة، ط٦، ٢٠١١م.

٦- الشعاعات: لبديع الزمان سعيد النورسي (ت١٣٧٩هـ)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، مصر-القاهرة، ط٦، ٢٠١١م.

٧- صحيح البخاري(الجامع الصحيح المختصر): لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة،بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ .

٨- صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٩- صيقل الإسلام: لبديع الزمان سعيد النورسي (ت١٣٧٩هـ)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، مصر-القاهرة، ط٦، ٢٠١١م.
١٠- الكلمات: لبديع الزمان سعيد النورسي (ت١٣٧٩هـ)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، مصر-القاهرة، ط٦، ٢٠١١م.
١١- لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط١.
١٢- اللمعات: لبديع الزمان سعيد النورسي (ت١٣٧٩هـ)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، مصر-القاهرة، ط٦، ٢٠١١م.
١٣- المثنوي العربي النوري: لبديع الزمان سعيد النورسي (ت١٣٧٩هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، مصر-القاهرة، ط٦، ٢٠١١م.
١٤- معجم مقاليد العلوم: لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت٩١١هـ)، تحقيق: أ.د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة-مصر، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
١٥- مفردات ألفاظ القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني(ت٥٠٢هـ)، دار القلم، دمشق.
١٦- المكتوبات: لبديع الزمان سعيد النورسي (ت١٣٧٩هـ)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، مصر-القاهرة، ط٦، ٢٠١١م.
١٧- الملاحق: لبديع الزمان سعيد النورسي (ت١٣٧٩هـ)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، مصر-القاهرة، ط٦، ٢٠١١م.

* * *

الهوامش:

[1] دكتوراه في التفسير والدراسات القرآنية، ومدرس في كلية العلوم الإسلامية، بجامعة صلاح الدين / أربيل - العراق

[2] الشمس المعنوية مصطلح استخدمه النورسي وأراد به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. ينظر: المكتوبات٢٧٠، والشعاعات١٦٣.

[3] الشعاعات٤٣٩-٤٤٠

[4] صيقل الإسلام٤٩٨.

[5] ينظر:لسان العرب١٥/١٦٤.

[6] ينظر: دستور العلماء٣/٣٣، ومعجم مقاليد العلوم٢١٢.

[7] ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف٥٦

[8] ينظر: دستور العلماء٣/٣٣.

[9] وردت هذه القاعدة في مواضع عديدة من رسائل النور.ينظر: اللمعات ٢٥٥، والشعاعات ٣٥٥، والملاحق-بارلا ٥٥- وقسطموني ١٨٤- وأميرداغ ١/٢٥٧، والسيرة الذاتية٢٩٢.

[10] اللمعات٢٣٠.

[11] ينظر: المصدر السابق٣٩٣.

[12] المصدر السابق ٢٢٥.

[13] الملاحق-أميرداغ ١/٢٥٧

[14] قال النورسي: "العناية الربانية الثانية التي تخص الخدمة القرآنية هي: أن الله سبحانه وتعالى قد أنعم عليّ بإخوة أقوياء جادّين، مخلصين، غيورين، مضحين، لهم أقلام كالسيوف الالماسية، ودفعهم ليعاونوا شخصاً مثلي لا يجيد الكتابة، نصف أمي، في ديار الغربة، مهجور، ممنوع عن الاختلاط بالناس. وحمّل سبحانه

كواهلهم القوية ما أثقل ظهري الضعيف العاجز من ثقل الخدمة القرآنية، فخفف بفضله وكرمه سبحانه حملي الثقيل.فتلك الجماعة المباركة في حكم أجهزة البث اللاسلكي (بتعبير خلوصي) وبمثابة مكائن توليد الكهرباء لمصنع النور (حسب تعبير صبري). ومع أن كلاً منهم يملك مزايا متنوعة وخواصّ راقية متباينة إلاّ أن فيهم نوعاً من توافقات غيبية (حسب تعبير صبري) اذ يتشابهون في الشوق الى العمل والسعي فيه والغيرة على الخدمة والجدية فيها، اذ إن نشرهم الأسرار القرآنية والأنوار الإيمانية إلى الأقطار وإبلاغها جميع الجهات، وقيامهم بالعمل دون فتور، وبشوق دائم وهمة عالية، في هذا الزمان العصيب (حيث الحروف قد تبدلت ولا توجد مطبعة، والناس بحاجة إلى الأنوار الإيمانية) فضلاً عن العوائق الكثيرة التي تعرقل العمل وتولد الفتور، وتهوّن الشوق .. أقول إن خدمتهم هذه كرامة قرآنية واضحة وعناية إلهية ظاهرة ليس إلاّ ''. المكتوبات٤٧٠.

[15] يقصد بالحوض العظيم شخصية الأخوة وذلك في سياق قوله:''وأن سر الأخوة هو إفناء الفرد شخصيته في شخصية إخوانه''. ينظر: اللمعات٢٣٠.

[16] هامش اللمعات٢٣٠.

[17] ينظر: صيقل الإسلام٣٩٦.

[18] المكتوبات ٣٣٤.

[19] الملاحق- بارلا٥٥

[20] المثنوي العربي النوري٢٠٨.

[21] صيقل الإسلام ٤٩٨، ٥٠٢

[22] أخرجه البخاري١٨٢/١، كتاب الصلاة- باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره-برقم٤٦٧، ومسلم١٩٩٩/٤-كتاب البر والصلة والآداب-باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم-برقم٢٥٨٥، من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

[23] المكتوبات٣٣٥.

[24] اللمعات٣٩٣.

[25] أخرجه البخاري من حديث أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) ١٢١٣/٣، كتاب الأنبياء-باب الأرواح جنود مجندة-برقم٣١٥٨، ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ٢٠٣١/٤، كتاب البر والصلة والآداب-باب الأرواح جنود مجندة-برقم٢٦٣٨.

[26] صيقل الإسلام ٤١٩.

[27] إحياء علوم الدين١٨٨/٢.

[28] اللمعات٢٢٤.

[29] أخرجه مسلم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه ٢٠٠٠/٤، كتاب البر والصلة والآداب- باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم-برقم٢٥٨٦.

[30] ينظر: اللمعات٢٢٥ بتصرف.

[31] ينظر الشعاعات٤١٧.

[32] السيرة الذاتية ٢٩٤.

[33] يقول النورسي في الإتحاد: ''أما أهدافه ومقاصده فهي إعلاء كلمة الله. هذا وإن نسبة الأخلاق والعبادة وأمور الآخرة والفضيلة في الشريعة هي تسع وتسعون بالمئة بينما نسبة السياسة لا تتجاوز الواحد بالمائة، فليفكر فيها أولياء أمورنا. والآن فإن مقصدنا هو سوق الجميع بشوق وجداني إلى كعبة الكمالات بطريق الرقي، وذلك بتحريك تلك السلسلة النورانية، إذ إن الرقي المادي سبب عظيم لإعلاء كلمة الله في هذا الزمان، وهكذا فأنا أحد أفراد هذا الإتحاد ومن الساعين لرفع رايته وإظهار اسمه، وإلاّ فلست من الأحزاب والجمعيات التي تسبب الفرقة بين الناس''. صيقل الإسلام ٤١٨.

[34] الكلمات ٤٦٩.

[35] المثنوي العربي النوري٣٩٧.

[36] الملاحق-بارلا ٥٥
[37] إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ٢٥.
[38] أخرجه مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ١٣٨٤/١، كتاب الجهاد والسير-باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر-برقم١٧٦٣.
[39] اللمعات٢٣٠
[40] الشعاعات٣٤٩، والسيرة الذاتية٥٧٦.
[41] صيقل الإسلام ٣٤٨ .
[42] المصدر السابق ٥٠٣
[43] يقول الأستاذ النورسي: "هذه المقالة والتي تعقبها دعوة واضحة إلى الاتحاد الإسلامي والرجوع إلى الشريعة والتمسك بأهداب الدين ونبذ الخلافات مهما كانت صورها، وهي في الوقت نفسه تمهيد للأذهان لقبول "الاتحاد المحمدي" بمفهومه العام الشامل لجميع المسلمين، والذي أعلن عنه رسمياً في ٥/نيسان/١٩٠٩ ضمن احتفال مهيب في جامع آيا صوفيا". ينظر: هامش صيقل الإسلام-الخطبة الشامية٥٠١.
[44] صيقل الإسلام ٥٠١.
[45] الملاحق-قسطموني ١٨٣-١٨٤.
[46] ينظر: الكلمات٨٤٠.
[47] الشعاعات ٣٥٥
[48] المكتوبات ٣٣٤.
[49] الملاحق-قسطموني١٩١
[50] الشعاعات٣٦٥.
[51] الشعاعات٣٤٥
[52] هامش اللمعات٢٢٣.
[53] الملاحق-قسطموني ١٨٠.
[54] المصدر السابق ٢٠٨.
[55] اللمعات٣٢٣.
[56] الشعاعات٤٢١.
[57] صيقل الإسلام ٤٧٩
[58] المكتوبات٣٢٦
[59] المثنوي العربي النوري١٦٥.
[60] المصدر السابق١٨٦.
[61] المكتوبات٤٧٠.
[62] اللمعات٢٢٣.
[63] هو من أوائل الذين تتلمذوا على يد الأستاذ النورسي، كان دؤوباً في الاستنساخ، لما أنعم الله عليه من جودة الخط ومن علو الهمة، يرد اسمه كثيراً في الرسائل، استشهد في سجن (دنيزلي) سنة ١٩٤٤ من أثر التسمم عن (٤٦) سنة من العمر رحمه الله رحمة واسعة.ينظر: الملاحق- قائمة نبذ عن بعض الأعلام٤١٠.
[64] الملاحق-بارلا ٥٥، والسيرة الذاتية ٢٩٣.
[65] استشهد النورسي بهذا الحديث من باب ضرورة تبادل الحب والألفة بين المؤمنين. صيقل الإسلام٣٩٦.
[66] أخرجه البخاري١٤/١، كتاب الإيمان-باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه-برقم١٣، ومسلم٦٧/١، كتاب الإيمان-باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير-برقم٤٥، وكلاهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.
[67] صيقل الإسلام ٤٨٠

[68] المكتوبات٤٠٠.
[69] المصدر السابق ٤٠٢.
[70] الشعاعات٦١٩-٦٢١.
[71] المصدر السابق٣٤٥، والسيرة الذاتية٤٠١
[72] المكتوبات٤٢٩
[73] الحسد هو تمني زوال نعمة من مستحق لها، وربما كان مع ذلك سعي في إزالتها. ينظر: مفردات ألفاظ القرآن١/٢٣٣.
[74] اللمعات٢٢٧.
[75] المكتوبات٥٤٢.
[76] المصدر السابق٣٢٩.
[77] السيرة الذاتية٥٩٦
[78] المصدر السابق٥٩٦.
[79] الشعاعات٥٤٧.
[80] المصدر السابق٣٥١.
[81]صيقل الإسلام ٤٧٩.
[82] المثنوي العربي النوري ٢١٦.
[83] المكتوبات ٣٢٧.
[84] الكلمات ٨٤٩.
[85] صيقل الإسلام ٣٢٨
[86] السيرة الذاتية٥٩٥
[87] الملاحق-بارلا٥٥.

الحوار والإصدارات والمؤتمرات

حوار مع الأستاذ أديب إبراهيم الدبّاغ

تسعد مجلة النور للدراسات الفكرية والحضارية باستضافة الأستاذ أديب إبراهيم الدبّاغ، بغرض التواصل معكم والنهل من علمكم، من خلال تعريف بعطوفتكم لقرائنا الكرام، نكتشف من هذا التواصل العلمي، قصة البدايات مع عالم الكتابة والأدب، وبواكير الاتصال برسائل النور للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، وقصة أوائل ما كتبت عن رسائل النور والأستاذ.

أسئلة الحوار:

١- نستهل لقاء بالأستاذ أديب إبراهيم الدباغ بسؤال جرى استحضاره في اللقاءات التواصلية، نريد أن تعرّف قراءنا الكرام بشخصكم الكريم.

أديب إبراهيم الدباغ من مواليد ١٩٣١/الموصل/العراق، دبلوم تربية وتعليم.

٢- يلاحظ المتابع فيما تكتبون مسحة أدبية راقية، لا شك أنّ لها استمداد، فكيف صنعتم هذه المسحة الأدبية الراقية؟

قرأتُ كثيرًا لأعلام الفكر والأدب العربي والعالمي، ولعلَّ أكثر هؤلاء أثرًا في تكويناتي الفكرية والأدبية ''العقّاد'' و''الرافعي'' و''المنفلوطي'' و''المازني'' و''الزيّات''.

٣- لو تفضّلتم بتعريف أشمل بالشخصيات الأدبية والعلمية التي كان لها بعد الله فضل في صقل موهبتكم الأدبية؟ ومتى كان أوّل تمرّس بالكتابة الأدبية؟ وهل وجدت تشجيعا في وسطك الاجتماعي والعلمي؟

أما تكويني الديني فهو مدين لكلٍّ من ''العقّاد'' و''الرافعي'' و''سيّد قطب''. وأذكر أنّ أول مقال نُشر لي كان في جريدة اسمها ''الوحدة'' يمتلكها صحفي موصلي، وكانت تصدر -على ما أذكر- أسبوعيًّا في كركوك، أما عنوان المقال فكان ''دعوة إلى الله''، ثم تابعتُ النشر بعد ذلك على الصفحات الأدبية للجرائد الموصلية ولعلَّ أهمّها جريدة ''فتى العراق''.

٤- متى كان أوّل تعرّفكم على رسائل النور للأستاذ بديع الزمان؟ وكيف؟

أول معرفتي برسائل النور كان عن طريق الأخ الأستاذ إحسان قاسم الصالحي في أواخر السبعينات من القرن الماضي ولاسيما ترجماته الأولى لرسائل النور، حيث كان يترجم بادئ ذي بدء **مقطعات** من هذه الرسائل، وبحكم صداقتي معه فكان يطلعني على هذه الترجمات أولاً بأول.

٥- يلاحظ في العقود المتأخّرة ميلكم إلى الكتابة عن رسائل النور، فما الذي استوقفكم فيها؟ موضوعا ومنهجا.

رسائل النور وهج فكري وروحي جذَّاب، وهي بحر زَخَّار بالدرر واللآلي، إنها حافز قوي لقوانا الروحية والفكرية الجوَّانية، فمهما كتبنا عنها أو كتبنا فيها فإنها تُشعرنا بأنّنا لم نوفّها حقّها وأنها تنتظر منّا المزيد من الكتابة لتجليتها والكشف عن أسرارها.

٦- مما يعلم أنّكم عايشتم كثيرا من المؤتمرات العلمية التي عقدت لأجل خدمة رسائل النور.. متى كان أوّل مؤتمر شاركتم فيه؟ وما تعليقكم على مستوى ما عرض في المؤتمرات العلمية؟

أول مؤتمر عالمي لرسائل النور شاركتُ فيه كان -على ما أذكر- في أوائل التسعينات من القرن الماضي، وأعتقد أن ''النورسي'' (صاحب الرسائل) قمّة ليس بمقدور قلم أن يطالها، فشخصيته وإن كانت كتابًا مفتوحًا يمكن أن يقرأه كل إنسان إلاّ أنّ أعماقه الروحية والفكرية كثيرًا ما تستعصي على المدارك المسطَّحة، وفإذا كنّا لا نستطيع ملاحقة ''النورسي'' من خلال تحليقاته خارج حدود ''الرسائل'' فلن نعود من قراءاتنا له بشيء ذي بال.

٧- ما خلاصة ما استوقفكم في رسائل النور للعلامة الأستاذ النورسي؟

أعتقد أنّ ''النورسي'' شبيه بقارَّة إيمانية وفكرية شاسعة الأبعاد، يجذبنا إليها ما يكتنفها من مجاهيل، ويشوّقنا إليها ما يغشاها من غموض، والإنسان بطبعه ميَّال إلى كل بعيد وغامض ومجهول، فالنورسي يرهبنا بأبعاده الروحية ولكنه يجذبنا في الوقت نفسه ويشدنا إليه فنفهم عنه على قدر إدراكاتنا وفهمنا.

٨- يقال أنّ العالم الإسلامي المعاصر بحاجة إلى التعرف على رسائل النور، ما وجه الحاجة إلى ذلك في العصر الحديث؟

إذا سلّمنا بأنّ روح العالم مهدد اليوم بالاجتثاث من أصوله وجذوره، فإنه في حاجة إلى ثقل إيماني قادر على إيقاف هذا الزحف المادي على معاقله، فأعتقد أنّ رسائل

النور يمكن لو ترجمت إلى اللغة التي يفهمها العالم المعاصر فإنها يمكن أن تشكل حاجزًا يمنع روح العالم من الانهيار الأبدي.

٩- عايشتم تجربة مراجعة ترجمات رسائل النور، فما موارد الإفادة في مراجعة الترجمات، والتعليق على ما كتب.؟

كانت ترجمة الرسائل إلى العربية من أهم الأعمال التي اضطلع بها الأستاذ الصالحي، فقد بذل الرجل ولسنوات عديدة من الجهد والصبر والأناة ما لم يستطعه إلاّ الرجال من أصحاب العزائم التي لا تقهر، فالرسائل ليست كأي كتاب إنما هي ومضات وخاطرات وإيماءات وسانحات وإشارات ورمزيات تحتاج إلى جهد عظيم وصبر طويل وفهم عميق، حتى استطاع أن يطوعها ثم يصبها في عبارات عربية تستسيغها الذائقة العربية من غير أي إخلال **بالنصية** التي يريدها المؤلف.

١٠- عشتم عن قرب تجربة تلاميذ تحققوا برسائل النور وعايشوها وعاشوها في الواقع، فماذا استوقفكم في تجربة معايشة المنتمين إلى خط رسائل النور في المجتمع التركي؟

استطاع النورسي من خلال رسائله أن يغرس في عقول تلامذته فكرًا إيمانيًّا تحقيقيًّا راسخ البيان، ويشعل في قلوبهم جذوات أشواق ولوعات إلى الله تعالى، يمكن ملاحظة آثارها على وجوه هؤلاء التلاميذ.

١١- يذكر بعض الباحثين أنّ منهج الدعوة في رسائل النور، حري بالاستثمار والانتفاع به، فما زوايا الانتفاع والاستثمار في هذا المسلك؟

لقد أثبت منهج الدعوة في رسائل النور نجاعات عالية خلال السنين الخمسين الماضية، وهذا لا يعني أن تتجمد عليه ولا نحاول تطويره وتجديده بحسب مقتضيات تغيرات العصر المتلاحقة، فلكل عصر أسلوب ومنهج وإنْ كانت ''الرسائل'' تبقى هي المرجعية الأم مهما جددنا وابتكرنا.

١٢-هل من كلمة أخيرة؟

شكر الله للأخ الصالحي وتقبل عمله في أعمال الصالحين، وجزاه عنّا وعن كافة المسلمين كل خير، فلولاه -وتوفيق من الله- لم يكن العرب ليعرفوا النورسي كما يعرفونه اليوم.

* * *

الإصدارات

قراءة في كتاب

الكتاب: قضايا وتجليات في رسائل النور
تأليف: د. مأمون فريز جرار.
دار النشر: دار المأمون، الأردن.
الطبعة: الأولى، ٢٠١٤

يستمر العطاء المتدفق حول رسائل النور كتبا ودراسات تكشف لطلاب النور وللدارسين جوانب مما اشتملت عليه الرسائل. في هذا العدد نقف مع كتاب جديد للدكتور مأمون فريز جرار، جاء في ٢٦٠ صفحة، ويتضمن تسع موضوعات سعى الكتاب إلى تقريب صورتها وجلائها للقراء، وهذه الموضوعات التسعة هي:

العمل الإيجابي البنّاء ومنزلته في دعوة النور، ومستقبل العالم الإسلامي كما يتجلى في الخطبة الشامية، والأستاذ النورسي والسعي إلى التحديث، وتجليات الشفقة والرحمة في حياة النورسي وفكره، ونظرات في إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، والتصوف في مرآة رسائل النور، وصورة الموت في رسائل النور، وحاجة البشرية إلى النبوة، وأكاديميون في رحاب رسائل النور.

وقد جاء في مطلع الكتاب مقدمة قصيرة منها:

"هذا الكتاب يضم مجموعة من الدراسات التي كتبتها حول رسائل النور، وشاركت فيها في مؤتمرات في: مصر والهند وتركيا.

ومن حسنات المشاركة في المؤتمرت الخاصة برسائل النور أنها تتيح المجال للرحلة عبر الرسائل وتدبرها موضوعيا، حين يختار الباحث محورا محددا ويرى تجلياته في الرسائل. والباحث هو أول المنتفعين بهذا العمل وهو أولى الناس بذلك حين لا يكون هدفه (أكاديميا) فحسب، بل يكون مقصده الأول المزيد من معرفة عوالم الرسائل والانتفاع بها عقلا وقلبا، والاستنارة بها دنيا وبرزخا وآخرة.

أرجو ممن يطلع على هذا الكتاب أن يعذرني في تقصيري بالوفاء بحق الموضوعات التي بحثتها، فهذا جهد الطاقة، ولعل من يطلع عليها يشمر عن ساعد

الجد ويجلو ما غمض، ويتمم ما نقص، ويصلح ما يجد من خلل، وحسبي أنني اجتهدت، والخير أردت''

ومن الملاحظ أن المؤلف لم يلتزم القواعد الأكاديمية الصارمة في كتابه، بل كان سعيه إلى عرض ما ورد في رسائل النور مما يتعلق بكل موضوع، وكان يستشهد بنصوص طويلة يهدف من ورائها إلى أن يسمع القارئ صوت الرسائل نفسها لا استنتاج المؤلف، فكأنه في كتابه مبلّغ عن الرسائل لا باحث فيها.

وقد سعى المؤلف في بحث التصوف في مرآة رسائل النور إلى تصحيح صورة تتراءى للناس ولبعض الباحثين حول التصوف في مسلك رسائل النور، وسعى في ذلك إلى استيعاب أكثر ما ورد في الرسائل حول هذا الموضوع.

ونختم هذا العرض الموجز لهذا الكتاب بفقرات من البحث الأخير فيه: أكاديميون في رحاب رسائل النور:

'' أراني وأنا أقرأ رسائل النور أحس بلهب التجربة وراء كل حرف من حروفها وكلمة من كلماتها. أسمع آهات الأستاذ النورسي وتسبيحاته ونشيجه تتجاوب أصداؤها من قمة شجرة الدلب إلى وديان بارلا، إلى قمة جبل جام لتتماوج على سطح بحيرة أجريدر لتطوف معه حيث حل: في كل منفى أو سجن أو محكمة.

أراني وأنا أركب أجنحة الإيمان الشهودي وأرحل على أجنحة رسائل النور محلقا مع الأستاذ في تأملاته، وفي رحلة برزخية تتخطى عالم الشهادة لتغوص في جنبات الغيب الذي لا يفصلنا عنه إلا غشاء شفيف يعمينا عن رؤيته وكشفه ما نحن فيه من مشاغل وحجب لا تزال تتوارد وتتكاثف حتى يصبح ذلك الحجاب الشفيف كردم ذي القرنين الذي يحجب يأجوج ومأجوج.

أراني أستبطن النفس بنور رسائل النور فتتجلى فيها وديان الضعف وتبرز من بُعد قمم الهمة، وتتجلى الجسور ما بين تلك الوديان والقمم، وأراني أعبر بنور الرسائل تلك المسافة التي هي من جانب تقاس بالأميال وتبدو كأنها رحلة تحتاج إلى عمر ممتد طويل يقاس بيوم الألف أو يوم الخمسين ألف سنة كحال الإنسان وهو يعاني من كابوس تنفتح له الأرض من تحت خطواته، وتكاد نفسه تهوي مع كل خطوة تحط على فوهة بركان أو منفتح واد.

ولكنها تبدو من جانب آخر كأنها مسافة بين عدوَتي واد تقطعه بنظرة تمتد من هذه إلى تلك، أو تعبره بخطوات واثقة على جسر يعفيك من عناء النزول أو عنت الصعود، بل تكاد تعبره بسرعة خاطر يلوح فإذا هو حقيقة متجلية.''

وتظل رسائل النور موردا عذبا لطلاب الحقيقة الباحثين عن طمأنيتة القلب ورضى رب العالمين، الساعين إلى النجاة من شر النفس والشيطان وزخرف الدنيا، المتطلعين إلى نيل مقعد صدق عند مليك مقتدر.

المؤتمرات والحلقات الدراسية

سلسلة ندوات رسائل النور بالهند: في فبرائر – شباط

دأبت مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم تقريبا كل سنة على تنظيم ندوات ومؤتمرات حول رسائل النور في داخل تركيا وخارجها، ومن بين هذه الدول التي تنظم بها الندوات بشكل مستمر دولة الهند التي انعقدت بها هذه السنة سلسلة من الندوات في أربع جامعات مختلفة من الهند وذلك في شباط – فبراير ٢٠١٤ حول رسائل النور باتفاق بين مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم والجامعات الهندية التي احتضنت تلك الندوات وانعقدت بها حلقات نقاش واجتماعات مكثفة تخص مواضيع مهمة من الرسائل، ولقد شهدت الهند في السنوات الأخيرة عدة ندوات حضرها كبار علماء الهند، فقد قال سعيد النورسي: ''لو كان أحمد الفاروقي السرهندي الإمام الرباني حيا في زماني ودعاني لزيارته إلى الهند لذهبت إليه وزرته رغم ما أعانيه من متاعب ورغم كل المصاعب التي قد ترافق ذلك السفر...''

اجتماع حول دراسات النورسي بالجامعة الملية الإسلامية في ١٠ شباط – يناير ٢٠١٤:

تعتبر الجامعة الملية الإسلامية من أكبر الجامعات في الهند وقد نظمت بها في السنة الماضية الندوة الدولية حول بديع الزمان سعيد النورسي تحت عنوان: ''دراسات في رسائل النور''، وقد شارك في الندوة عدة أساتذة قدموا من دول مختلفة مثل تركيا، الأردن، العراق، الجزائر، ماليزيا، الولايات المتحدة الأمريكية والهند، كما تمت مناقشة إمكانية عمل مشترك بين الجامعة المذكورة ومؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم فيما يخص تنظيم الندوات والتنسيق في دراسات رسائل النور، وقد شارك في هذه الندوة طالب سعيد النورسي ورئيس مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم الأخ فرنجي ومترجم رسائل النور للغة العربية الأستاذ إحسان قاسم الصالحي ومدير المؤسسة أ.د. فارس قايا والأستاذ علي قاطي ئوز وهو واحد من أشهر علماء تركيا والدكتور إسحاق ئوزكيل من الهيئة التنفيذية للمؤسسة والأخ جميل شانلي، وقد شارك من الجزائر أ.د. عمار جيدل أستاذ العقيدة بجامعة الجزائر ورئيس تحرير مجلة النور للدراسات

الحضارية والفكرية، و أ.د. عشراتي سليمان، أما من الأردن فقد شارك د. مأمون فريز جرار، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من العلماء الأفاضل والأساتذة الكبار قدموا من مختلف أنحاء العالم، كما قام بعض طلاب الجامعة الملية الإسلامية الذين يحضرون أطروحات الماجستير والدكتوراه حول رسائل النور بتقديم مداخلاتهم في الندوة، وقد حضرت وسائل الإعلام الوطنية المكتوبة والمرئية لهذه الندوة أيضا.

ندوة رسائل النور الدولية بجامعة عليكره الإسلامي في ١١– ١٣ شباط / فبراير ٢٠١٤

باشتراك بين جامعة علي كره مسلم ومؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم تم تنظيم الندوة الدولية الثالثة لبديع الزمان سعيد النورسي وكان موضوعها تحت عنوان: ''العلم، الإيمان والأخلاق من منظور رسائل النور''، وقد استمرت لمدة ثلاثة أيام وتمت فيها معالجة علمية ومناقشة أكاديمية لمجموعة من المواضيع المبثوثة في رسائل النور وكلها تنطوي تحت موضوع العلم والأخلاق والإيمان في الرسائل، وقد استئنفت مجريات هذه الندوة بعد تلاوة آيات بينات من الذكر الحكيم بعدها أخذ الكلمة عميد كلية العلوم الإجتماعية د. عبيد الله فهد الذي تحدث عن زيارته لتركيا قبل ثمان سنوات ورؤيته لأحوال الإسلام والمسلمين وأنها لازالت بخير وذكر أنه قد فهم فيما بعد أن الفضل يعود لحركة النور التي ساهمت في إنقاذ الإيمان والقرآن والتي أخذت مشعل الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله، ثم تلاه العالم الهندي سلمان حسين الندوي، أعقبه عضو هيئة التدريس بكلية الفنون الجميلة د. أسماء كاظمي الذي أهدى للأستاذ محمد فرنجي تصويرا جميلا: ''بورتريه''، وبعده أخذ الكلمة طالب الأستاذ النورسي الأخ محمد فرنجي وتحدث بعده أ.د. فارس قايا وتلاه الأستاذ إحسان قاسم الصالحي وبعد ذلك تحدث أ.د. عمار جيدل من الجزائر.

وفي النهاية تم توزيع الجوائز والهدايا والصور التذكاريةعلى المشاركين الذين شاركوا في فعاليات الندوة بعد ذلك نظمت جوقة الجامعة حفلا موسيقيا استمع فيه المشاركون لبعض الأناشيد.

استمرت الندوة العلمية في جامعة علي كره ثلاثة أيام في قاعتين مستقلتين: قاعة أجريت فيها المداخلات العربية وقاعة أخرى قدمت فيها المداخلات باللغة الإنجليزية، وقد شارك في هذه الندوة حوالي ١٠٥ من المتدخلين منهم خمسون أستاذا من جامعة

علي كره و ٤٥ أستاذا قدموا من جامعات هندية مختلفة وعشرة أساتذة من خارج الهند، بعد ذلك تم اختتام الندوة.

مؤتمر فهم النورسي بجامعة جواهر لال نهرو في ١٤ شباط / فبراير ٢٠١٤:

عقدت جامعة جواهر لال نهرو بنيو دلهي باشتراك مع مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم المؤتمر الدولي تحت عنوان: ''فهم وإدراك رسائل النور وبديع الزمان''، وقد حضر هذا المؤتمر كل من د. مجيب الرحمن الذي ألقى كلمة الافتتاح عقبه أ.د. أسلم إصلاحي من الهند بلكمة شكر وترحيب وقد قام أيضا بإدارة مداخلات الجلسة العلمية، بعد ذلك تم تقديم شريط سينمائي قصير يحكي حياة الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، أعقب ذلك د. فرقان أيدن ار من المملكة العربية السعودية وقد ألقى بحثه باللغة الإنجليزية وكان حول المشاريع التعليمية لبديع الزمان ومدى تأثير هذه الحلول على المجتمع والإنسانية، ثم انتقل إلى الحديث عن مناهج القرآن الكريم وأساليبه في الاقناع وأن الدين والعلم جناحان بهما يتحقق رقي الأمة الإسلامية وأنهما يلتقيان أكثر مما يفترقان، ثم أعقبه د. ئوزكور كوجا وهو من جامعة بالولايات المتحدة الأمريكية وقدم بحثه حول موضوع حساس يتعلق بالحياة الاجتماعية أي المشاكل التي يتخبط فيها المجتمع ونظرة النورسي وتقديمه الحلول الملائمة والملموسة، ثم أخذ الكلمة د. خلدون صبح من جامعة جواهر لال نهرو الذي تحدث عن كيفية فهمنا للنورسي في هذا العصر الحديث مؤكدا على الإسلام التقليدي السائد والمنتشر في كل مكان من أنحاء العالم الإسلامي. بعد انتهاء المداخلات تم الانتقال مباشرة إلى شق الأجوبة على أسئلة الحاضرين، وكانت الأسئلة بما يتوافق مع مداخلات الندوة تنبئ عن الفهم الدقيق والاستيعاب العميق لمداخلات الأساتذة، كما تشير إلى تناول البحوث مواضيع في الصميم وكذا تجاوب جمهور الأساتذة وطلاب الدكتوراه والماجستير معها بشكل جيد، فقد طرحت أسئلة فيما يخص وجوب تعميم أفكار النورسي في أرجاء العالم الإسلامي لكي تتم الاستفادة منها بشكل جيد كما تم التركيز على وجوب فهم أفكار النورسي في جل مجالاتها الحيوية وتم التنبيه إلى ضرورة عقد لقاءات أخرى لتعميق النقاش حولها كما تم التطرق إلى مسألة تدريس هذه الأفكار في المعاهد والكليات وأن يعطى لها الوقت الكافي والجهد اللازم لتعم سائر الأرجاء حتى يتمكن الشباب من الاستفادة منها، بعد انتهاء النقاش أعلن عن اختتام الندوة من قبل رئيس الجلسة أ.د. أسلم إصلاحي وبعدها مباشرة تم إهداء جميع المتدخلين

لوحات تذكارية ''بلاكيت'' تكريما لهم على مجهوداتهم الفكرية، وفي النهاية قام الأستاذ أحمد أيكان من مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم بكلمة شكر وتقدير باسم المؤسسة إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في تنظيم هذه الندوة العلمية وإلى كافة الأساتذة والمشاركين، وقد صاحب الندوة معرض للكتاب احتوى كليات رسائل النور بكل من اللغة العربية والإنجليزية والتركية كما تضمن المعرض الكتب المؤلفة حول حياة بديع الزمان الفكرية وكتبا أخرى عن حياته بلغات متعددة.

ندوة العلماء الإسلامية العالمية بجامعة دار العلوم لكناو في ١٤ ـ١٥ شباط / فبراير

تعتبر جامعة دار العلوم من أكبر الجامعات في الهند من حيث عدد الطلاب الذين ينتمون إليها وكذا من حيث الكليات والفروع المنبثقة عنها، ففي هذه الجامعة وباشتراك معها عقدت مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم ندوة علمية استغرقت يومين حول موضوع: ''...'' وقد تم عقد اجتماع خاص لمدارسة مشروع تدريس رسائل النور في هذه الجامعة ثم أعقب ذلك الندوة العلمية التي شارك فيها أجلة من الأساتذة المتخصصين في فكر بديع الزمان سعيد النورسي من مختلف ربوع العالم، وبهذا فقد تحقق قول الأستاذ سعيد النورسي رحمه الله حينما قال: ''وهاهو الهندي الابن الكفوء..'' الذي يعني الذكي والثاقب وذا الكفاءة لتحمل الأعباء للقيام بأعمال تدل على إخلاصه في خدمته للإسلام، وطبعا الخدمات هي وظيفته والنتائج لا دخل له فيها فهي لله، فهو مجبر على القيام بوظيفته فحسب ولا يأبه للنتائج وهذا من مظاهر الإخلاص.

* * *

ندوة إحياء الحضارة في ضوء رسائل النور
في إندونيسيا / نيسان – أبريل

عقدت مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم بمدينة جاكارتا ندوة علمية دولية حول موضوع: ''إحياء الحضارة في ضوء رسائل النور''، وقد تمت مناقشة مواضيع عدة في هذا الصدد منها على سبيل المثال الخدمات التي قام بها سعيد النورسي والرسالة التي أداها في خدمة الإيمان والقرآن كما تم التطرق إلى استمراريتها والشكل الذي يمكن أن تأخذه في سائر بقاع العالم، أي في تفاصيل هذه الخدمات وإنزالها على واقع آخر غير الواقع الذي نبتت فيه.

انعقدت فعاليات هذه الندوة في جامعة أكبر دولة إسلامية وذلك بالعاصمة جاكارتا بالجامعة الإسلامية شريف هداية الله، وقد تابع مجموعة من الأساتذة والعلماء قدموا من دول مختلفة من العالم. وفي الافتتاح تحدثت عضو هيئة التدريس بنفس الجامعة دة. بطانيا مفلح وقد تحدثت عن أن النورسي جعل من الحقائق الإيمانية أساسا بثها في سائر مؤلفاته ومن هذه الحقيقة الكبرى انطلق وهي هدفه ألا وهي إنقاذ الإيمان مما قد يلحقه من الذل والهوان، وقد أنار الطريق للعديد من الشباب في تلك الفترة ولازالت مؤلفاته الإيمانية تنقذ الناس من ضعف الإيمان وقلة اليقين ليس في تركيا وحدها فحسب بل وفي كل أنحاء العالم، ليس لشيء إلا لأنها انطلقت من أهم موضوع في حياة الفرد والمجتمع وناقشت نقطا حساسة تهم كل الفئات العمرية والاجتماعية كالشباب والشيوخ والنساء وكذا الأغنياء والفقراء... وبذلك أنارت الطريق وأضاءتها لكافة المجتمع.

أوضحت دة. مفلح في مداخلتها أوضاع العالم الإسلامي وأنه منذ بداية القرن التاسع عشر صار هناك ابتعاد أكثر عن الحقائق الدينية نتيجة تطور التكنلوجيا والعلم والمعرفة، لكن رسائل النور وبسبب الحقائق الإيمانية التي ركزت عليها أصبح هناك ارتباط أكثر بالدين والإيمان، يعني أنها منعت من الابتعاد عن الدين وذلك بفضل ما تحتويه من مواضيع حساسة بحيث تناقش أمور الآخرة والإيمان، فكانت بمثابة سد منيع ضد الإلحاد والطغيان وكسرت ظهر الزندقة والكفر، وأنقذت مئات الآلاف من الشباب، فلقد استعمل الأستاذ النورسي أسلوبا بارعا لصد الأفكار الملحدة المتفشية في عصره وإقناع طلابه وكل من يقرأ رسائل النور. ويمكن أن نقول إن النورسي كسب من تقنيات التواصل ما مكنه من جلب قلوب الآخرين وجذبهم إليه قلبا وفكرا فكان

بذلك إنقاذهم من مهاوي الضلال، فأنجد بحقائق الإيمان مجتمعا بكامله، لذلك يمكن اعتبار رسائل النور مؤلفا نقتاد به عصرنا هذا لنصد به هجوم الملاحدة وأفكار الطواغيت، فرسائل النور إذن تتحدى بأسلوبها مفكري هذا العصر الذين يخالفون عن أمر الله.

وفي مداخلته القيمة أبلى أ.د. سيد محمد محسن من جامعة العالمية الإسلامية بلاء حسنا إذ تحدث عن الدور الذي لعبته ولازالت تلعبه رسائل النور في وحدة المجتمع التركي خصوصا والمجتمع الإسلامي بشكل عام، وهو ما أسماه بالتكامل الاجتماعي، حيث ساهم الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي في انسجام وتوحد الأمة على كلمة سواء ومنعها من الاختلاف بوضع إبهامه على موطن الجرح وذكر مجموعة من الأفكار البناءة التي تهدف لها الرسائل وذكر المقومات التي من شأنها الرفع من مستوى الفرد والأمة وكلها على ضوء رسائل النور، وقد أوفى الدكتور في تحليله للعلاقة السائدة بين ازدهار المجتمع وأفكار بديع الزمان الحية التي سرت ومازالت تسري فيه، مقتفيا في ذلك آثار العلماء الأجلة رحمهم الله.

لقد أثبتت ندوة أندونيسيا هذه جدارة كبيرة حيث إنه ومنذ ما يقرب من ١٥ سنة توطدت علاقة مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم مع هذه الجامعة وذلك بفضل الاتفاقيات التي تم عقدها بعد الزيارة الميمونة لطالب النور المرحوم مصطفى صونغور لهذه الديار حيث تم الاتفاق على الاشتراك والتعاون بين المؤسستين في مختلف المجالات وخاصة المجال العلمي الذي يهم تنظيم الندوات والمؤتمرات وزيارة طلاب الدكتوراه والماجستير للمؤسسة لأجل الاستفادة أكثر من تراث الأستاذ النورسي، فكانت هذه الندوة بمثابة تتويج لتلك العلاقة الحميمية والصداقة الدائمة وذلك من خلال إنجاز مجموعة من المشاريع عادت كلها بالخير على كل من طلاب الجامعة وخدمات رسائل النور والحمد لله، فأثمرت الزيارات العلمية والثقافية والفكرية المتبادلة وكان لها نتائج مبهرة أيضا، كما تم الاتفاق على تدريس كليات رسائل النور في كلية الشريعة بالجامعة وذلك بإحداث كرسي علمي خاص في هذا الصدد.

* * *

الندوة العلمية الدولية بمدينة فاس بالمغرب حول موضوع: "الأسرة والمجتمع في فكر بديع الزمان النورسي"

عقدت هذه الندوة العلمية الدولية جامعة القرويين بفاس المغرب وذلك بتاريخ السبت ٣١ ماي والأحد ٠١ يونيو ٢٠١٤ وذلك بحضور مجموعة من الأساتذة الأفاضل، حيث عالجت الموضوع من زوايا متعددة، واستهلت الجلسات بقراءة عطرة من القران الكريم وأعقبها الأستاذ الدكتور محمد الروكي رئيس الجامعة بكلمته القيمة فقال:

''إن بديع الزمان سعيد النورسي هو منحة الله الربانية وعطيته النورانية، جدد الفكر وصحح المفاهيم، وأيقظ المشاعر، وأحيى في الناس حديث القلب والروح، وثوّر فيهم خطاب القرآن وربطهم بمعانيه وأخلاقه وهديه ومنهاجه، ونفع الله به خلقا كثيرا، ومازالوا ينتفعون بفكره وثقافته إلى الآن.

إن بديع الزمان النورسي من أئمة الإصلاح في العصر الحديث، ويعتبر تراثه الفكري المودع في رسائل النور ولواحقها وتوابعها مادة خصبة وزادا مشبعا في تربية الأفراد والجماعات وحملهم على القيم الإسلامية والأخذ بأيديهم إلى التي هي أقوم وأرشد في بناء الإنسان السوي وصياغة المجتمع الراشد القوي.

إن فكر بديع الزمان النورسي هو فكر نوراني مستمر كله من القرآن الكريم، وهو فكر واسع يستوعب الحياة كلها بجميع مجالاتها ومراحلها ومحطاتها، وما من جانب من هذه الجوانب إلا وكتب فيه ما يشفي الغليل، ببصيرة نيرة وحكمة بالغة وعبرة عميقة، وفكرة دقيقة، كلامه يطرق الآذان ويدخل القلوب بغير استئذان... فهو جدير بالدراسة وحري بالبحث والتنقيب في مناجمه، والتنقيب عن دقائقه وكنوزه، وقد قامت جهات متعددة برصد جوانب من فكره ودراستها والبحث فيها من خلال ندوات ومؤتمرات وملتقيات سلطت الأضواء على تراثه العلمي والثقافي من خلال مؤلفاته ورسائله واستخراج ما فيها من القيم التربوية والحقائق العلمية والنظريات الإصلاحية والمناهج الفكرية والثقافية، ومع ذلك مازالت رسائله في حاجة إلى مزيد من الاستكشاف والاستنباط، ولأجل ذلك نظمت جامعة القرويين ندوتها الدولية في موضوع: ''الأسرة والمجتمع في فكر بديع الزمان سعيد النورسي''، وهو اختيار قائم على جملة من أسس ومسوغات يمكن تلخيصها فيما يأتي:

١- أن بديع الزمان النورسي رجل رباني، وفكره قرآني نوراني، فهو جدير بالاقتباس منه والاستفادة منه.

٢- وأن رسائل النور سجل حافل بالتجارب الراشدة والخبرات الرائدة والأفكار القاصدة، فقد أودع فيها بديع الزمان النورسي عصارة فكره وخلاصة تجربة حياته ولباب آرائه واجتهاداته، وحصيلة عمره الذي أفناه في قراءة الكتاب المسطور والكتاب المنظور، فهي جديرة بالاسترشاد، حرية بالاستبصار وللاستعانة بها في وضع اليد على الأجوبة الشافية لأسئلة العقل والقلب والروح.

٣- كما أن سيرة بديع الزمان النورسي وما تميزت به من جهاد وصبر وتحمل، وما دلت عليه من صدق وإخلاص ورشد وحكمة وعفة وشهامة وعزة نفس وعلو همة ونظر بعيد سديد، وغير ذلك مما يجعل هذه السيرة الحافلة بالأمجاد جديرة بأن يبحث في فكر صاحبها ويقتدى بمنهاجها ويحتذى على منوالها ولا سيما في زمن الفتنة والفراغ الروحي.

٤- وأن مدرسة بديع الزمان النورسي البينة بأصولها وقواعدها، ومنهاجها وأسسها القائمة على ما تركه مؤسسها من الكتب والرجال، فهي أيضا قد بلغت من المستوى العلمي والثقافي والتربوي ما يحمل العقلاء على الاهتمام بها والإقبال عليها بالدراسة والبحث واستخلاص ما ينفع الناس ويفيد العباد.

٥- كما أن استمرار مدرسته وامتدادها واستمرار أفكاره وآرائه من خلال ذلك، وفي ذلك على جدارتها بصرف الجهود والطاقات للبحث العلمي فيها.

٦- وأن استمرار خلائف النورسي وتلامذته وأتباعه الذين واصلوا المسيرة بإخلاص وحافظوا على المدرسة النورية الأم، ورسخوا جذورها وفرعوا فروعها ومدوا أغصانها مما يدل على نفاسة ما تركه الرجل وغزارة ما ورثه.

٧- كما أن حاجة واقعنا المعاصر إلى الاقتباس من مثل هذا الرجل الرباني القرآني، فما أكثر ما يعرفه واقعنا المعاصر من الفتن والمحن والمشاكل والأزمات والويلات بسبب ما يعانيه من فقر مدقع في رصيده الإيماني والخلقي، وضحالة ما عنده من الزاد التربوي الذي يحتاجه في طريقه ومسيره في الحياة وفي فكر النورسي ورسائله غنية وكفاية. وفي مدرسته ومنهاجه ما يحقق هذه الغاية.

٨- كما أن قلة المادة العلمية في موضوع الأسرة عند النورسي ولعل ذلك يرجع إلى أنه عاش طول حياته عزبا، فلم يعش آراءه وأفكاره في الأسرة والعلاقة الزوجية

معاني الأبوة والأمومة والبنوة، وإن كان ذلك في غالب أمره مجرد إشارات مبثوثة في رسائله ومؤلفاته، لكن اللبيب يستطيع أن يستنطق هذه الإشارات يقرأ فيها ما وراء السطور.

٩- كما أن مكانة الأسرة وأهميتها في الحياة والحاجة إلى منهاج بنائها...

١٠- كما أن أهمية المجتمع والحاجة إلى الوعي بصياغته الصياغة المحكمة المتينة.

لأجل هذه الاعتبارات ذات القيمة العلمية والفكرية والتربوية، ولأجل هذه الخصائص والمميزات التي تطبع فكر بديع الزمان النورسي نظمت رئاسة جامعة القرويين بفاس هذه الندوة العلمية في هذا الموضوع الذي نعلم أن مادته العلمية قليلة ولكننا نعلم أيضا أنه من خلال بحوث هذه الندوة ومن خلال ما سيقوم فيها من الدراسات والمناقشات نعلم أنه من خلال ذلك ستقدم رؤية واضحة عن آراء النورسي وأفكاره واجتهاداته في الأسرة والمجتمع وأن أعمال هذه الندوة ستغني هذه الزاوية من زوايا فكر النورسي، فهي أعمال متكاملة، وبحوث متناسقة، اهتم بعضها بدراسة المفاهيم والمصطلحات والأسس النظرية العامة للأسرة والمجتمع عند النورسي، واتجه بعضها إلى إبراز مقومات بناء الأسرة عند النورسي والكشف عن رؤيته النورانية وتصوره القرآني حولها، وما يتصل بذلك من علاقة الزوجين داخل منظومة الأسرة وعلاقة الأولاد بهما. واتجه بعضها إلى تعميق النظر في موقع الأسرة في المجتمع وعلاقة بعضها ببعض، وما يتبع ذلك من أسس البناء وقواعد الإصلاح. وغير ذلك مما يسهم في تجلية موضوع الأسرة والمجتمع في فكر بديع الزمان النورسي وفي تراثه ورسائله ومؤلفاته. فما أحوج الأسر والبيوتات، والأفراد والجماعات، إلى التشبع بمثل آراء النورسي وفهومه لتصحيح البناء وترشيد المسير.

إننا نأمل من هذه الندوة أن تكون نفسا جديدا من أنفاس الفكر التربوي الراشد، وشرحا جديدا من شروح رسائل النور يتسم بالجدة والابتكار والدقة والإبداع، وبعد النظر وعمق الاستنباط وتحديث القراءة وتحيين تنزيلها، فلا يعرف قيمة رسائل النور إلا من ذاق حلاوتها، ولا يدرك مكانتها إلا من ارتقى إلى مقامها، إنها رسائل فعلا للفرد والأسرة والمجتمع، ونور فعلا لمن كان يبحث عن النور ويريد أن يقتبس منه، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

وفي ختام هذه الكلمة نتقدم بالشكر الجزيل لجميع الأساتذة والباحثين الذين

أسهموا في هذه الندوة المباركة ببحوثهم وقراءاتهم ودراساتهم وما ستفضي إليه من مناقشات ومباحثات وأجزل الشكر لكل الذين تجشموا مشاق السفر وتحملوا وعثاءه للمشاركة في هذا العرس العلمي البهيج. ومن باب عطف الخاص على العام أتقدم بوافر الشكر والثناء وصادق الود وخلاص الدعاء لضيوفنا الأعزاء وأحبابنا الأجلاء الذين شرفوا هذا الملتقى بحضورهم من أرض تركيا الشقيقة، منبت بديع الزمان ومنبع فيوضاته ومطلع أنواره، من بلد رسائل النور ومعهدها ومحضنها الأول، وفيهم من استنار بصحبة النورسي واغترف من معينه. فمرحبا بهذه الثلة النورية ذ. إحسان قاسم الصالحي وذ. كنعان دميرطاش وجميع الأحبة المرافقين لهم من مصابيح النورسي ونجوم رسائله، كما أتقدم بجزيل الشكر للجنة المنظمة وجميع المساعدين لهم من الطاقم الإداري لرئاسة جامعة القرويين، والشكر الجزيل لكل من أسهم في إنجاح هذه الندوة من قريب أو بعيد.

وقد ازدانت وتوجت بتنظيم المسابقة الثالثة لجائزة جامعة القرويين في حفظ القرآن وتجويده، وقد وزعت على الفائزين في نهاية الجلسة الافتتاحية الجوائز.

عرض سريع لجلسات الندوة العلمية الدولية بمدينة فاس بالمغرب:

في **الجلسة الافتتاحية** تناول الكلمة السيد د. عبد العزيز بلاوي عن عمداء المؤسسات التابعة لجامعة القرويين، شكر فيها رئاسة الجامعة وجميع الحاضرين وأعطى لمحة عن الأسرة في المجتمع موضحا رأي الإسلام فيها. كما تناول الكلمة ذ. إحسان قاسم الصالحي ممثل رسائل النور بتركيا الذي شكر في كلمته السيد رئيس الجامعة كما شكر الحضور الكرام وكل الذين سهروا على تنظيم هذه الندوة.

ففي **الجلسة الأولى** كانت المداخلة الأولى لـ أ.د. محمد أزهري في موضوع: ''مفهوم الأسرة والمجتمع لدى النورسي من خلال رسائل النور، دراسة مصطلحية''. أما المداخلة الثانية فكانت لـ د. سعيد شبار رئيس المجلس العلمي ببني ملال وأستاذ بكلية الآداب ببني ملال حول موضوع: ''فلسفة العلاقة بين الزوجين عند النورسي''. أما المداخلة الثالثة فكانت في موضوع: ''علاقة الأولاد بالآباء والأمهات عند النورسي'' لـ د. محمد الفقير التمسماني وهو عميد كلية أصول الدين بتطوان. والمداخلة التي أعقبتها كان موضوعها بعنوان: ''تربية الأولاد عند النورسي''، لـ د. عبد السلام فيغو رئيس المجلس العلمي بإقليم الفحص، طنجة، وأستاذ بجامعة محمد

الخامس. بعد ذلك بدأت المداخلة التي كان موضوعها: ''الإسلام والعنف من منظور رسائل النور''، لـ د. توفيق الغلبزوري من كلية أصول الدين بتطوان. بعد ذلك تم التطرق للمداخلة الأخيرة التي كانت حول موضوع: ''موقع الأولاد من منظومة الأسرة في رسائل النور''، ألقاها د. أحمد شاوف، باحث ومدير مركز التوثيق والأنشطة الثقافية بالمندوبية الجهوية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بمكناس.

تمحورت عروض **الجلسة الثانية** حول مقومات بناء الأسرة عند النورسي: استهل السيد رئيس الجلسة د. حسن الزاهر كلمته شاكرا ومرحبا بالضيوف والحضور. ثم تولت دة. كريمة بوعمري عرضها وقد خلصت إلى أن أهم الأسس التي يقام عليها البناء الأسري في تصور الأستاذ سعيد النورسي استمدادا وامتدادا لما سلفه من العلماء والمصلحين هو: أن الدين عقيدة وعبادة وأخلاق، ثم ما يعزز هذا الأساس قوة متانة، ويتجلى تحديدا في الرأفة والرحمة والمودة وفي الوفاء والحب والإخلاص بين الزوجين. وأعقب الدكتور خالد مدرك عرضه الذي كان بعنوان: ''المرتكزات العقدية في بناء الأسرة عند النورسي''. تلا ذلك الدكتور منير الجابري بعنوان: ''أثر العقيدة في بناء الأسرة عند النورسي'' ثم تلاهما عرض رصين عن أثر العبادة في بناء الأسرة عند سعيد النورسي استعرض د. عبد السلام العلوي البلغيتي، لخصها من خلال قراءته المتأنية لأعمال النورسي في تهيئته النشء وإعداد الجيل لتحمل الأمانة والمسؤولية وتوطين النفس على الصبر والتحمل والتضحية والإيثار وهي مقاصد اجتماعية رائدة. ثم قدمت دة. خديجة الأشهب مداخلتها التي ركزت فيه على تحديد مفهوم المودة والرحمة وبيان الحكمة منها عند النورسي ومن سبقه من الفقهاء والمفسرين وعلماء المقاصد. ثم تلا ذلك مداخلة د. سليمان خنجري في موضوع: ''أثر رعاية حرمة الزواج في منظومة الأسرة عند النورسي. وبعد تدخل د. عبد الرحيم الأمين بموضوع: ''أثر العدل في بناء الأسرة''. ثم أخذ الكلمة د. حسن القصاب تناول فيها موضوع أثر التكارم بين الزوجين في بناء الأسرة عند النورسي''. وختمت الجلسة بمداخلة الأستاذ التهامي بنعزوز في موضوع: ''أثر الوفاق بين الزوجين على بناء الأسرة عند النورسي''

ترأست **الجلسة الثالثة**: دة. كريمة بوعمري من جامعة محمد الخامس بالرباط، وعرض د. عبد العزيز بلاوي، عميد كلية الشريعة بأكادير موضوعه تحت عنوان: ''نظرات في الفكر الأسري عند بديع الزمان النورسي''. أما العرض الثاني فقد ألقاه د. عمر أجة من كلية الآداب بوجدة. تحت عنوان: ''قواعد في بناء الأسرة عند

النورسي''. أما المداخلة الثالثة فقد كانت لـ د. الأمين القريوار، جامعة القرويين، كلية أصول الدين بتطوان، تحت عنوان: ''القيم الأسرية في فكر بديع الزمان النورسي''، وفي العرض الرابع قدم د. إدريس جويليل بحثه تحت عنوان: ''الحوار الأسري عند بديع الزمان النورسي''. أما العرض الخامس فقد كان من إلقاء د. العربي البوهالي، تحت عنوان: ''إصلاح الأسرة عند النورسي''.

اما **الجلسة الرابعة**: فقد ترأسها د. الزاهي، عميد كلية اللغة بمراكش. فالمداخلة الأولى التي كانت من إلقاء د. أحمد مونة، أصول الدين بتطوان، تحت عنوان: ''مقومات المجتمع المسلم من خلال الرسائل''. أعقبته المداخلة الثانية التي ألقاها د. عبد العالي ملوك، تحت عنوان: ''علاقة الأسرة بالمجتمع عند النورسي''. ثم تلته المداخلة الثالثة حيث قدم د. مصطفى الزعري، كلية العلوم الشرعية بالسمارة، عرضا تحت عنوان: ''اصلاح المجتمع عند النورسي''. تلا ذلك المداخلة الرابعة لـ د. أسامة الروكي، باحث. تحت عنوان: ''قواعد في الإصلاح الاجتماعي عند النورسي''. وفي ختام الجلسة شكر الرئيس المتداخلين على احترام الوقت المخصص ثم فتح باب النقاش في وجه الحضور.

* * *

التقرير العام
للندوة العالمية السادسة للأكاديمين الشباب في رسائل النور
أيام٢٠ -٢٤ يونيو ٢٠١٤ اسطنبول– بورصة، تركيا.

أعده الباحث عبد العزيز الإدريسي

بسم الله الرحمن الرحيم

نظمت مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم ومؤسسة بورصة للثقافة الندوة العالمية السادسة للأكاديميين الشباب في رسائل النور للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، خلال الفترة الممتدة من ٢٠ إلى ٢٤ يونيو ٢٠١٤. وقد شارك في هذه الندوة الطلبة الباحثون في سلك الماجستير والدكتوراه بالجامعات، وكان عددهم ١٦ باحثا وباحثة من الدول الآتية: المغرب، الجزائر، مصر، السودان، نيجيريا، اليمن، ماليزيا، الهند، كردستان العراق، الأردن، وقد أشرف على الدورة من الناحية الأكاديمية الأساتذة الأفاضل: د. أشرف عبد الرافع الدرفيلي من مصر و د. مأمون فريز جرار من الأردن و أ.د. نجيب السودي من اليمن و أ.د. سليمان عشراتي من الجزائر و أ. د. رعد الجيلاني من العراق، وقد كان ضيف الشرف طوال أيام الندوة الأستاذ الفاضل إحسان قاسم الصالحي مترجم كليات رسائل النور من اللغة التركية إلى اللغة العربية.

وقد انتظمت فعاليات هذه الندوة العالمية في ست جلسات:

أشغال اليوم الأول: الجمعة ٢٠يونيو٢٠١٤/مدينة اسطنبول

ترأس الجلسة الأولى الدكتور مأمون جرار، حيث افتتحت بآيات بينات من الذكر الحكيم بتلاوة الدكتور أشرف الدرفيلي على الساعة التاسعة صباحا، حيث ذكّر الأستاذ جرار بمقاصد وأهداف هذه الندوة التي تخدم رسائل النور أكاديميا ومعرفيا، وذكّر بضرورة تجديد النية وربطها بالله تعالى وتمثل رسالة الإخلاص للأستاذ بديع الزمان النورسي في الحركات والسكنات. داعيا الباحثين في رسائل النور إلى يكونوا طلاب نور حقا.

بعد ذلك تقدم الباحث بوعروة بكير من الجزائر ببحث تحت عنوان **"إسهامات النورسي في علم الفلك من خلال رسائل النور"** حيث ركز على فهم الأستاذ لحديث

الثور والحوت وإيراد بعض الأقوال والتأويلات التي تؤكد تضلع الأستاذ في علم الفلك، بعد ذلك فتح الباب أمام المداخلات والملاحظات والتعقيبات حيث اقترح أحد الباحثين على ضرورة تعديل العنوان إلى **"الدلالات الفلكية من خلال رسائل النور"** وهو ما وافق عليه الباحث، بالإضافة إلى توجيه الباحث إلى أهمية استقراء جميع أقوال الأستاذ النورسي في هذا الباب.

بعد ذلك تقدم الباحث عبد القادر لبيض من المغرب بورقة حول بحثه الموسوم: **"منهج بديع الزمان في إحياء العمل الإجتماعي"**، أكد من خلالها على محورية العمل الإجتماعي في المشروع الإصلاحي لبديع الزمان، وفتح المجال للمناقشة والمحاورة حيث نوه الحضور بموضوع البحث، واقترحوا عليه الجمع بين الجانب النظري المعرفي والجانب العملي التطبيقي، بالإضافة إلى ضرورة إبراز ملامح تميز العمل الاجتماعي عند النورسي، وكيف أن هذا الجانب بالذات كان ديدن الأستاذ في حياته الشخصية والدعوية.

بعد ذلك انتقل الحضور بعد ذلك الى استراحة شاي لمدة ربع ساعة، لتعتلي المنصة الباحثة محاسن البدوي بملخص بحثها المعنون: **"بديع الزمان النورسي وجهوده الدعوية"**، وقد تمت مناقشة ملخص هذا البحث من طرف الدكاترة والباحيثن مناقشة مستفيضة حيث دعوا الباحثة إلى أهمية الإنطلاق في هذا البحث من السيرة الشخصية للنورسي، والتركيز على قواعد الدعوة وصفات الداعية من خلال الكليات. ثم رفعت الجلسة الصباحية للغداء والصلاة.

وفي حدود الساعة الثانية زاولا انطلقت أشغال **الجلسة الثانية** برئاسة خفيفة الظل من الدكتور نجيب السودي من اليمن، مقدما الباحث محمد منديل من المغرب ببحث تحت عنوان: **"مفهوم الإختلاف وضوابط تدبيره عند بديع الزمان النورسي"**، حيث ركز على الجانب التأصيلي من خلال القيم الحاكمة لمسألة الإختلاف في الرسائل وعلى الجانب التنزيلي من خلال القواعد الناظمة لها على أرض الواقع، وقد نبه أحد المتدخلين إلى أن الأستاذ النورسي قد اعتمد على المحاججة العقلية في تدبيره للإختلاف بالإضافة إلى الجمع بين مخاطبة العقل والقلب، وضبط الذوق الوجداني، بله على ضرورة التركيز على الجانب التطبيقي في تدبير الإختلاف.

اما الباحثة إسراء أحمد صالح أحمد من السودان فقد قدمت ملخصا لبحثها

الموسوم: **"النورسي وأثر تدبر القرآن في منهج بناء الشخصية"**، أول الملاحظات كانت حول العنوان حيث أكد الأستاذ أشرف الدرفيلبي على ضرورة الدقة في العنوان والصياغة الدالة على فكرة البحث وقضيته، بالإضافة إلى مراجعة المنهج المعتمد في البحث وهوالمنهج المقارن الذي لا يتوافق وإشكاليات البحث ومقاصده، وقد تفاعلت الباحثة بشكل إيجابي حيث عدلت عنوان البحث إلى: "أثر تدبر القرآن في صياغة الإنسان، رسائل النور نموذجا". بالإضافة إلى توجيهات منهجية لعموم الباحثين من طرف الدكتور أشرف ونجيب السودي في التعامل مع الرسائل أهمها: عدم الإجتزاء وعدم الإستعجال بالإضافة إلى القراءة وتكرار القراءة، وقد نوه أحد الباحثين بالطالبة إلى تخصيص مطلب لأهم قواعد التدبر التي خلصت إليها.

في حين قدم الباحث محمد موسى عبد الرزاق من مصر الورقة الثالثة والأخيرة في اليوم الأول، حيث كان عنوانها: **"الحرية مفهومها وصورها عند الأستاذ بديع الزمان"** تحدث في ملخص بحثه خطة البحث وتصميمه وتعريف الحرية ومرتكزاتها وصورها، وقد أثار هذا البحث نقاشا كبيرا بين المشاركين، وكان على رأس المتدخلين الأستاذ **محمد فرنجي** أحد طلاب الأستاذ النورسي-وهو في سنه ٨٧ بارك الله له في علمه وإيمانه وصحته- حيث استشهد بالمقولة الفذة للأستاذ: **"الحرية عطية الرحمن لأنها خاصية الإيمان"**، وأكد الأستاذ **إحسان قاسم الصالحي** أن النورسي عمل على غرس قيمة الحرية في نفوس طلاب النور حيث أكد بأن شعار النورسي في الحياة هو: "أنا أعيش دون خبز لكن لا أعيش دون حرية"، في حين أكد الدكتور سليمان عشراتي على ارتباط الحرية بإنسانية الإنسان وآدميته، وأن الأستاذ بديع الزمان كان يواجه مخططات الأغربة والأسلبة والألحدة باسم الحرية والعلم.

لترفع الجلسة بعد أن ختمت بالدعاء الصالح، والتذكير ببرنامج **اليوم الثاني الموالي ٢٠١٤-٦/٢١** الذي تضمن فقرتين الأولى التعرف على مآثر إسطنبول صباحا ثم تناول وجبة الغداء في مدرسة رستم باشا الوقفية التراثية، ثم التوجه إلى مدينة بورصة بعد الزوال لاستكمال فعاليات الندوة العالمية بمؤسسة بورصة للثقافة، وهي عبارة عن وقف في منتجع في غاية الروعة والجمال في قمم جبال ريف مدينة بورصة.

أشغال اليوم الثالث: الأحد ٢٢ يونيو ٢٠١٤ / مدينة بورصة

ترأس الجلسة الثالثة الدكتور أشرف عبد الرافع الدرفيلي من مصر، وقدم الورقة

الأولى الباحث محمد عثمان عبد الله محمد من دولة السودان، وهي عبارة عن ملخص لبحثه الموسوم: **"جوانب تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين، دراسة في أعمال النورسي"** وقد عبر المتدخلون عن كثافة هذا البحث وشساعته، بالإضافة على اكتنازه، وقد نبه الدكتور مأمون جرار الباحث ومن خلاله كل الباحثين إلى أن الطالب عليه أن ينجز ما يريد ويأتي بالجديد، في حين أن الأستاذ إحسان قاسم الصالحي نوه بهذا البحث مشيرا إلى أنه سئل مرة سنة ٢٠٠٣ في المغرب في إحدى الندوات الدولية حول رسائل النور، لماذا ترجمت رسائل النور من التركية إلى اللغة العربية؟ فقال إن أخلاق طلاب النور هي الدافع إلى ترجمتها، لأنها جددت في صياغة الإنسان بالإيمان من خلال القرآن. وشدد أحد الباحيثن إلى التركيز على مبحث التجديد في المصطلح والمنهج عند النورسي.

أما الورقة الثانية فكان مقدمها هو الباحث علي رابحي من المغرب وهي عبارة عن ملخص بحث منجز تحت عنوان: **"الحكم النورسية من خلال رسائل النور" الكلمات" نموذجا،** مصنفا ومبوبا إياها حسب مطالب ومباحث توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، والزمان والمكان. ونبه بعض المعقبين إلى الإستفادة من كتابين في هذا الصدد وهما: اللؤلؤ والمرجان من حكم بديع الزمان للدكتور مأمون جرار، وكتاب: هكذا علمتني رسائل النور للدكتور نجيب السودي، أما أحد الباحثين فطلب من صاحب البحث أن يقوم بربط هذه الحكم بالجانب التطبيقي من خلال طلاب النور الذين يجمعه السفر الرائع: "الشهود الأواخر"، كما نبه الدكتور الدرفيلي إلى مراعاة شروط الحكم سواء من ناحية المبنى اللغوي أو المعنى البلاغي.

وقدمت الورقة الثالثة الباحثة سعاد دوفاني من الجزائر وكان ملخص بحثها: "**الإنبعاث الحضاري الإسلامي-التجربة الماليزية نموذجا والتجربة التركية وإبراز دور رسائل النور**"، أولا ملاحظة كانت هي طول العنوان وعدم حبكه، لكن الباحثة آثرت في الجميع بما صرحت به بأنها قبل الندوة كانت سعاد القديمة اما أثناء الندوة وبعدها فقد ولدت سعاد الجديدة تيمنا بسعيد القديم وسعيد الجديد، هنا تفجرت قريحة المشاركين من أساتذة وباحثين متحدثين عن دور رسائل النور في الإحياء والنهوض والتغير والإصلاح، وتأثيرها الإيجابي الذي عم جميع أرجاء العالم. وقد وعدت الباحثة بتعديل العنوان وإعادة صياغته.

أما الجلسة الرابعة فترأسها الدكتور رعد الجيلاني من العراق، وكانت أول ورقة مقدمة للباحثة هدى لغزاوي من المغرب في موضوع: **"المشروع الإصلاحي لبديع الزمان النورسي"**، وقد لاقى تقديم الباحثة قبولا من طرف المشاركين واستحسانا لبيانها السليم وأدائها القويم ومنهجها الحكيم، في مقابل ذلك نبه الأستاذ إحسان قاسم الصالحي إلى ضرورة التركيز في المشروع الإصلاحي للنورسي على فكرة إنشاء "مدرسة الزهراء" أيضا، كما نبهت "أم علاء" إلى ضرورة الإهتمام بقضية المرأة في رسائل النور وخاصة رسالة "مرشد أخوات الآخرة". وفي الأخير استدركت الباحثة وأكدت بأن هذا البحث هو عبارة عن نظرات -فقط- في المشروع الإصلاحي للنورسي.

أما الورقة الثانية

أما الورقة الثانية فكانت للباحث عبد السلام حمود غالب من الهند، بملخص بحثه المعنون: **"معالم الخطاب الديني عند الأستاذ النورسي"** تحدث في مقدمتها بأنه حديث عهد برسائل النور ولكنه تأثر بها تأثرا بليغا، دل على ذلك حرصه الشديد على المشاركة في هذه الندوة وطريقة إلقائه الحماسية، وكانت أول ملاحظة منهجية على بحثه تتعلق بالعنوان حيث أكد الدكتور نجيب السودي أن لفظة "الديني" تشوش على العنوان ولا تنسجم مع مضمون البحث فدعاه إلى استبدالها بلفظة "الدعوي"، بالإضافة إلى ما نبه الدكتور مأمون جرار إلى أهمية القراءة المتأنية لرسائل النور وضرورة إبراز هذه المعالم في شخصية الأستاذ النورسي.

وكانت الورقة الثالثة والأخيرة في هذا اليوم من تقديم الباحث آدم أحمد محمد من نيجيريا، في موضوع: **"منهج القرآن في حفظ الأمن من خلال رسائل النور لبديع الزمان النورسي ومؤلفات ابن فودي النيجيري دراسة مقارنة"**، أكد الباحث بأن مطلب الأمن مطلب ضروري في واقع الإنسانية عموما وفي واقع المسلمين خصوصا وفي الواقع النيجيري على وجه الخصوص لما تعيشه نيجيريا من قلاقل واضطرابات، وقد عرج في ملخصه على تعريف مقتضب بشخصية عثمان بن فودي واعتباره عالما مجددا في شمال نجيريا ومؤسسا للمدرسة الفودية التي تميل إلى الفقه أكثر. وفي المناقشة والتعقيب نوه أحد الباحثين بلغة الباحث الفصيحة وهمته في خوض غمار هذا البحث، بالإضافة إلى التقسيم المنهجي الذي قدمه الدكتور أشرف والمتمثل في ضرورة التمييز بين الأمن النفسي والروحي والإجتماعي والأقتصادي و...

بعد ذلك رفعت الجلسة لأداء صلاة العصر وتناول الفاكهة واحتساء الشاي، والإستعداد لحفل العشاء الذي يقيمه وقف بورصة على شرف المشاركين.

افتتح الحفل بآيات بينات من الذكر الحكيم تلاها الأستاذ ناجي بصوته الشجي وأدائه الندي مدير وقف بورصة، ثم تناول الكلمة منشط الحفل مرحبا بالضيوف وأهل الوقف طلاب النور، ثم بعد ذلك استدعى إلى المنصة سفير رسائل النور الأستاذ إحسان قاسم الصالحي إلى العالم الإسلامي عموما والعالم العربي خصوصا. وقد ألقى الدكاترة وممثلين عن الدول المشاركات كلمات الشكر والترحيب والتنويه. بالإضافة إلى كلمة نائب عمدة مدينة بورصة.

لينتقل الجميع بعد ذلك إلى جلسة نورية حميمية ماتعة شاهدة مشهودة سمت بالجميع في مدارج السالكين وحلقت بهم في معاني الإيمان والمحبة والأخوة وصفاء الروح والإنتساب إلى خدمة القرآن الكريم، أطرها الأساتذة الأجلاء محمد فرنجي وعلي جاقماق وإحسان قاسم الصالحي في حديث عن طرائف الذكريات وفرائد المكابدات، ثم قراءة عابدة نادرة لرسائل النور. ثم ختم اللقاء بالصلاة والدعاء الصالح.

أشغال اليوم الرابع: الإثنين ٢٣يونيو ٢٠١٤ مدينة بورصة

بعد التحاق المشاركين بقاعة الندوة انطلقت أشغال الجلسة الخامسة على الساعة التاسعة صباحا برئاسة الدكتور سليمان عشراتي من الجزائر، كانت أول ورقة قدمت في هذه الجلسة من طرف الباحث الطبيب سالم حسن محمد ذبيان من اليمن، بحث وسمه بـ: **"استراتيجية الدعوة عند الإمام النورسي وأثرها في الإصلاح"**، كان الإلقاء رائعا ومتميزا، دل على ذلك التفاعل الإيجابي من طرف المشاركين، فكانت الملاحظات والتعقيبات من قبيل جعل نقطة الإرتكاز في استراتجية االدعوة هي شخصية الاستاذ من خلال رسائل النور، ثم تساؤل من طرف أحد الباحثين جاء فيه: إلى أي حد وظف الباحث مبادئ الإستراتيجية وهي معرفة: نقاط القوة ونقاط الضعف والفرص والتهديدات في هذا البحث؟

أما الورقة الثانية فقدمها الباحث ياسين العمراني من المغرب تحت عنوان: **"منهج الدعوة عند النورسي من خلال رسائل النور"** ركز فيها على المقومات الأساسية للأستاذ بديع الزمان النورسي، بالإضافة إلى التحديات الداخلية التي كان تهدد

المجتمع المسلم. أجمع المتدخلون على ضرورة الإستفادة من البحوث المنجزة حتى يحصل التكامل بدل التداخل والتراكم بدل التزاحم.

وكان ختام الجلسة الخامسة بالورقة البحثية التي قدمها الباحث عبد العزيز الإدريسي من المغرب في موضوع: **"بناء الإنسان عند الأستاذ بديع الزمان النورسي: رؤية تربوية"** تمحور ملخص بحثه حول مركزية الإنسان في المشروع الإصلاحي للنورسي، باعتباره الفهرست الكوني الجامع وثمرة شجرة الخلق، وتأطرت مشكلة هذا البحث في السؤال الآتي: كيف استطاع الأستاذ النورسي في ظل واقعه الكالح أن يبني الإنسان بالإيمان من خلال رسالة القرآن؟ وما هي أهم عوامل فاعلية الرسائل في صياغة الإنسان صياغة جديدة؟ فتقاطرت الملاحظات والتعقيبات كالغيث تنبت التوجيه والتعديل والتصويب، من مثيل توجيهات الدكتور نجيب السودي المتعلقة بضرورة مراعاة جميع جوانب الإنسان التي شملتها رسائل النور: فكره وروحه وقلبه ونفسه وخياله وقلبه وفطرته وذاته و... أما مداخلة الدكتور رعد الجيلاني فركزت على شرط الأصالة والمعاصرة في البحوث. وفي التفاتة لطيفة للدكتور أشرف الدرفيلي قال: لو لم يسم الأستاذ رسائل النور بهذا الإسم لسماها رسائل الإنسان. لترفع الجلسة للغداء وصلاة الظهر.

ألقي في الجلسة السادسة التي كانت برئاسة الدكتور مأمون جرار، ملخص بحث وحيد وفريد للباحث بشرو علي عبد الله من كردستان العراق ببحثه الموسوم بـ: **"التربية الإيمانية عند النورسي من خلال "الكلمات"** بعد أن عرض خطته وملخص بحثه، تم توجيه جملة من الملاحظات من قبيل مركزية الإيمان في مشروع النورسي، وكيف يحقق الإيمان فاعليته، ضرورة التمييز بين الإيمان والإنتساب الإيماني ومقاماته عند النورسي.

أما الجلسة الختامية التي خصصت لتقويم المؤتمر فقد ترأسها الأستاذ إحسان قاسم الصالحي الذي عبر عن ابتهاجه بنتائج هذه الندوة حيث إن **الطلاب دخلوا باحثين في النور وخرجوا عاشقين** للنور، ودعا الله إلى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، كما أشاد المشاركون في الندوة بحسن التنظيم وحفاوة الإستقبال وكرم الضيافة وعمق المناقشات، وقد خلصت الجلسة الختامية إلى جملة من **التوصيات أهما**:

- لابد من إعداد بروشور من إدارة المؤسسة والأساتذة الأجلاء عن المجالات التي لم يكتب فيها بحوث في رسائل النور، شبيهة بما يكتب في المؤتمرات من استكتاب على أن تشترط المؤسسة موافقتها قبل بدء البحث.
- لابد للباحث من تسليم النسخة الخاصة بالبحث المنجز في إسطوانة؛ نسخة واحدة للمؤسسة وأخرى لمراكز النور أو مدارس النور في بلده، وعلى المؤسسة القيام بالأرشفة الألكترونية.
- على الباحث إرسال نسخة من البحث أو الخطة للمؤسسة، وعلى المؤسسة إرسال نسخة للأساتذة المشرفين على الندوة للقراء، وأن تطبع نسخة ورقية منها لكي تكون المتابعة سماعا ومشاهدة.
- تحديث موقع مؤسسة اسطنبول للثقافة والعلوم باللغة العربية ليكون شاملا لكل جديد.
- ترشيح إشكالية أو إشكاليات لكل ندوة في كل دورة، ثم وضع ضوابط للمشاركة فيها.
- الاستفادة من جهود العاملين في رسائل النور وخدمتها مثل جهود الدكتور مأمون جرار والأخت وفاء في الصفحة الإلكترونية في الفيس بوك.

والحمد لله رب العالمين.

* * *

معلومات عن النشر في المجلة

١. تنشر المجلة البحوث الأصيلة (تنشر أول مرة) المنجزة في الدراسات الحضارية والفكرية بمعناه العام.
٢. تسعى المجلة إلى نشر البحوث والدراسات المتوافقة مع العمل العلمي الجدي المتجلي في وضوح المقاصد والأهداف، ودقة المنهجية.
٣. لا ترى المجلة مانعا من نشر الدراسات التأصيلية في ميادين الدراسات الفكرية والحضارية، وخاصة إن حازت عناصر الجدة والدقة.
٤. ترحب المجلة بالبحوث المقارنة سواء تعلّقت بالدراسات المقارنة في ذات الفضاء الفكري أو من فضاءين مختلفين أو من فضاءات متعددة.
٥. تعمل المجلة على تشجيع الدراسات والبحوث النقدية الواضحة المقاصد الملتزمة بآداب الحوار والنقاش، المتقيّدة بالمنهجية العلمية.
٦. تشجع المجلة على التعريف بأعلام الفكر والدراسات الحضارية، لهذا تتبنى خدمة هذا الهدف بنشر الدراسات المعرّفة برجالات الفكر ولاسيما الشخصيات العلمية التي لم تحظ بالتعريف بالقدر الكافي.
٧. تخدم المجلة الباحثين الناشئين وتشجّع دراساتهم المنجزة، وتقدّم ملخصات مركّزة عن أعمالهم المقدّمة لنيل الدرجات العلمية الأكاديمية.
٨. تنشر المجلة بعنوان المقالات المحكّمة التغطية الجيّدة لأعمال المؤتمرات والورشات أو الأيام الدراسية العلمية الحضارية والفكرية.
٩. تنشر المجلة بعنوان الدراسات الأكاديمية، البحوث المنجزة في التعريف بالكتب النوعية في ميدان الدراسات الحضارية والفكرية، يقدّم فيها الباحث أهم عناصر الكتاب وأهم النتائج التي خلص إليها، مع بيان المآخذ التي سجّلها على الكتاب.
١٠. تعرض الدراسة أو البحث المقدم للنشر على محكّمين من أهل الاختصاص، تختارهم إدارة المجلة، ويُلْزَم صاحب العمل المقدّم بإعادة النظر في بحثه أو دراسته في ضوء الملاحظات المقدّمة له.
١١. يمنح صاحب البحث نسخا (عدة مستلات) من بحثه المنشور، فضلا عن عدد من المجلة التي نشر بها بحثه.
١٢. تحتفظ المجلة بحق نشر العمل المنشور في كتاب أو بشكل مستقل، بلغته الأصلية أو مترجما.
١٣. البحوث والدراسات التي وصلت المجلة لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.
١٤. ترسل البحوث والدراسات على العنوان الإلكتروني للمجلة editor@nurmajalla.com بشرط أن لا يزيد حجمها عن ٤٢٠٠٠ حرف (مع الهوامش والفواصل).

الإشتراك السنوي (عددان)

الإشتراك في تركيا: .....٢٠ ليرة تركية

الإشتراك في الأقطار الأخرى للأشخاص: .....١٥ دولار أمريكي

الإشتراك في الأقطار الأخرى للمؤسسات: ....٣٠ دولار أمريكي

العنوان للاشتراك

عبد الكريم بايبارا kerimbaybara@gmail.com
شركة سوزلر للنشر
٣٠ شارع جعفر الصادق – الحي السابع
مدينة نصر– القاهرة – جمهورية مصر العربية
تلفون + فاكس: ٩٣٨ ٦٠٢ ٢٢ (٢٠٢+)

Kalendarhane Mahallesi, Delikanli Sk.
No: 6, VEFA 34134 Fatih
ISTANBUL – TURKEY
Tel: +90 212 527 81 81 (pbx)
Fax: +90 212 527 80 80
info@nurmajalla. com
www. nurmajalla. com

Contents

Editorial

- Prof. Dr. Amar Djidel: Introductory Note 3

Miscellaneous Studies

- Prof. Dr. 'Aziz Muhammad 'Udman: The Qur'an's Textual Structure Between Fidelity and Literal Meaning and the Expansion of Meaning. A Study of Badi'uzzaman Said al-Nursi's Approach to the Problems of Figurative Language 7
- Prof. Dr. Abu Bakr al-'Azawi: al-Nursi, Man of Dialogue and Persuasion or Apposite Discourse, on the Link Between Dialogue, Argument, and Opposition 37
- Dr. Umid Najm al-Din Jamil al-Mufti: The Union of Hearts in the Risale-i Nur (According to the Principles of Fiqh) 55

Dossier: Aim and Purpose in the Risale-i Nur

- Dr. Sirhan b. Khamis: Bedi'uzzaman al-Nursi's Views on Striving and Heredity as Propounded in the Risale-i Nur 87
- Dr. 'Uthman Muhammad Gharib: The Bonds of the Universal Elements from the Viewpoint of Bedi'uzzaman al-Nursi 103
- Dr. Farhad Ibrahim Akbar al-Shawani: The rule of self forgetfulness for the sake of brothers according to the thought of Bediuzzaman 131

Interviews, Publications and Conferences

- Interview with al-Ustad Adib Ibrahim al-Dabbagh 165
- **Publications:** A reading of the book: Propositions and Manifestations in the Risale-i Nur 169

Conferences and Study Circles:

1. A series of conferences in India on the Risale-i Nur 172
2. A conference in Indonesia on civilizational revitalization according to the Risale-i Nur 176
3. International conference in Fez in Morocco 178
4. Sixth conference on the Risale-i Nur in Istanbul and Bursa for young academicians ... 184

- Information about publication of articles and papers in the Journal, al-Nur 192
- Annual subscriptions / Contents 193

– Only papers conforming to academic standards will be considered for publication